وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـــعة أدرار

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية

قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير تخصص علم اجتماع التنظيم والعمل

بعنوان

القيم والوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في الجزائر *دراسة ميدانية بولاية أدرار*

إعداد الطالبـــــة:

باشـــيخ أسمـــاء

إشراف الأستاذ الدكتور:

شوشان محمد الطاهر

الموسم الجامعي: 2013/2012

قاقال الله تعالى:

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

سورة يوسف الآية 76

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم (إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جاريه أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له)

أخرجه مسلم

فتشوا دائما عن الحقيقة وادافعوا عنها حتى وإن كلفتكم حياتكم إذ أن أولادكم سيعيشون بعدكم سعداء

MAXIME GORKI

إهـــداء

أهدي هذا العمل إلى كل من حمِل
العلم على أكتافه النزاهة والأخلاق.....

أهدي هذا العمل إلى كل مقدر للجهود
خير عابث بها.....

أهدي هذا العمل إلى كل من رعاني
واهتم لرقي ورفعتي(أبي وأمي و أساتذتي) .....

إلى كل هؤولاء أهدي ثمرة جهدي

شكر وتقدير

أناس لهم علينا من الفضل وديناً وأبحرا

جعلنا نتيه في شكل شكرهم أيكون شعراً أم نثرا

نقول لهم حييتم وطبتم إن رضيتم به شكرا

رغبنا في ملء الصفحة امتنانا لكم مع أننا نشك في أن يكفي لذلك ملء الصفحة حبرا

من خلال هذه الأسطر أوجه شكري للأستاذ المشرف أ.د/ *شوشان محمد الطاهر* الذي فضله علينا أبعد من مجرد المتابعة العلمية للعمل، بل له الفضل في ارساء عماد التخصص العلمي من أساسه "تخصص علم الإجتماع" في الجامعة الافريقية وكذا لابد أن نشكره على صبره ودقته في تتبع صفحات الدراسة إلى أن تم وضع القلم اعلانا عن نهايتها.

والشكر موصول إلى الدكتور*لعلى بوكميش* الذي أتاح لنا فرصة التكوين ضمن مشروع الماجستير الذي تابعه وأشرف عليه، ومنح على اثره الفرصة لطلبة علم الاجتماع كأول محاولة تكوين ما بعد التدرج ضمن هذا التخصص.

لا ننسى ضمن هذا الاطار الأستاذ * بوصنافه عبد الكريم* اللذي لا يتأخر عنا دائما في إدرار النصائح الهادفة والمشجعة، والذي يأبى إلا أن يكون حاضرا معنا في كل خطوات مشوارنا العلمي ببصمته المميزة.

نوجه شكرنا أيضا لعمال المركز الثقافي الاسلامي ولكل من ساعدنا من قريب أو بعيد في اجتياز صعوبات مراحل هذه الدراسة.

أسمـــــــــاء

فهـــرس المحتويات

ـــ الاهـــــــداء.....أ

ـــ شكر و تقديـــر.....ب

ـــ فهرس المحتويات.....ج

ـــ فهـــرس الجداول.....ي

ـــ فهرس الأشكال.....م

ـــ مقـــدمـــــــة..... س

الفصل الأول:الاطار المنهجي للدراسة

تمهـــيد.....02

أولا: تحديد موضوع الدراسة.....03

1) **الاشكالـــية.....03**

2) تساؤلات الدراسة.....07

3) **فرضيات الدراسة.....08**

4) **تحديد مفاهيم الدراسة (المفاهيم الاجرائية).....08**

أ.القيم والمفاهيم المرتبطة بها.....08

ب.الرقية والمفاهيم المرتبطة بها.....09

5) مخطط الدراسة (الأبعاد والمؤشرات).....10

ثـــانيا: المنهج المتبع في الدراسة.....13

ثالـــثا: أسباب اختيار الموضوع.....13

1) الأســـباب الذاتية.....14

2) الأسباب الموضوعية.....14

رابعا: أهمية موضوع الدراسة.....15

خامسا: أهـــــــــداف الدراسة.....15

سادسا: الاجراءات المنهجية الميدانية.....16

1) مجلات الدراسة.....16

2) العينة ومحددات اختيارها.....18

3) أدوات جمع البيـــــانات.....18

سابعا: صعوبات الدراسة.....21

خلاصة الفصل.....22

الفصل الـــــــثاني:مدخل نـــــــظري حول القـــــــيم

تمهيـــــد.....24

أولا: مفـــــــــــهوم القيـــــــم.....25

1) تعريـــف الـــقيم.....25

2) فروقات مفاهيمية مرتبطة بالقيم.....28

ثانيا: مفهوم النـــــسق القيمي.....31

1) تعريف النسق القيمي.....31

2)مكونات النسق القيمي.....33

ثالثا: خصائـــص القيـــــــــــم.....34

رابعا: تصنيـــــفات القيـــــــــم.....37

خامسا: أهميـــــــــة القـــــيـــم.....43

1) أهمية القيم بالنسبة للفرد.....43

2) أهمية القيم بالنسبة للمجتمع.....44

سادسا: القيم و المقاربة النظرية الثقافوية.....45

1) مفهوم النظرية الثقافوية.....45
2) أهم قضايا (افتراضات) النظرية الثقافوية.....46
3) القيم من خلال دراسات رواد الثقافوية.....48
4) موضوع الدراسة من خلال النظرية الثقافوية (اسقاط منهجي).....50
خلاصة الفصل.....52

الفصل الثالث:عـــــــمل الرقاة (تحديد مفاهيمي وإسقاط سوسيوتنظيمي)

تمهيـــــــــد.....55

أولا: مفهوم الرقـــــــية.....56

1) التعريف اللغوي للرقية.....56
2) المفهوم القرآني للرقية.....57
3) المفهوم النـــبوي للرقية.....59
4) مفهوم الرقية بين السوسيوعامية و السوسيوعلمية.....60
ثانيا: الرقية والمفاهيم السوسيوشعبية المرتبطة بها.....**62**
1) البعد السوسيوثقافي للصحة والمرض.....62
2) الطب الشعبي والبعد الاجتماعي له.....64
3) الرقـــية والميتافيزيقة الاجتمـــاعية.....69
ثالثا: ممارسة الرقاة وإشكالية البحث عن المفهوم التنظيمي.....71
1) ممارسة الرقاة ومعنى اصطلاح الوظيفة.....71
2) ممارسة الرقاة ومعنى اصطلاح المهنة.....72
3) ممارسة الرقاة ومعنى اصطلاح الحرفة.....74
4) ممارسة الرقاة ومعنى اصطلاح العمل.....75
رابعا: الرقاة والمتطلبات الشخصية والمعرفية لعمـــلهم.....76

1) المتطلبات الشخصية.....77
2) المتطلبات المعرفية 78
خامسا: اجراءات عمل الرّاقي ومـــــــراحله التنظيمية.....79
1) تنظيم مواعيد العمل.....75
2) تحديد مكان العمل والشروط الفيزيقية والاجتماعية له.....75
3) المباشرة الفعلية للعمل (مباشرة الرقية).....76
4) الأجر 77
سادسا: نماذج وصفية و عمليَة لحالة عمل بعض الرقاة.....83
1) الشيخ بنذر حالة عملية لنموذج عربي عن الرقاة (القاهرة).....84
2) الحاجة كلثوم حالة عملية لنموذج الراقي الجزائري و للمرأة الراقية 86
خلاصة الفصل.....91
الفصل الرابع: واقع الرقاة في الجزائر من خلال المدخل السوسيوقيمي
تمهيـــــــــد 93
أولا: الواقع القيمي للمجتمع الجزائري والتمهيد لظاهرة الرقاة..... 94
1) مرحلة التواجد العثماني في الجزائر (قيم الكرامات والتبرك).....94
2) مرحلة الدروشة الجزائرية (قيم الوثنية).....96
3) مرحلة الالتفاتة الدينية الصارمة (قيم السلفية الجهادية).....97
4) مرحلة الانتعاشة الدينية المنفتحة (القيم الاسلامية).....98
5) قيم المراحل السوسيوتاريخية في الجزائر والسير نحو تواجد الرقاة.....100
ثانيا:أهم العوامل المساعدة في توسيع قاعدة الرقاة في الجزائر.....101
1) موجة الفضائيات الدينية وبروز الرقية الفضائية.....102
2) المثل الشعبي الجزائري وتكريس الرقية.....104

3) الذهنية الجزائرية واحتضان عمل الرقاة.....106

ثالثا: مشاكل المجتمع الجزائري ووجود الرقاة 107

1) المشاكل المرتبطة بالزواج 108

2) المشاكل المرتبطة بالبطالة 113

3) المشاكل المرتبطة الجانب الصحي.....115

4) المشاكل المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية.....116

خلاصة الفصل.....117

الفصل الخامس: الخلفية السوسيوثقافية للمجتمع الأدراري

تمـــــهيد.....119

أولا: مدخل تعريفـــي بمنـــطقة أدرار.....120

1)التعريف من حيث التسمية والموقع.....120

2)التعريف من حيث المناطق الإثنوغرافية بالمنطقة..... 122

ثانيا: المحددات الكبرى للواقع السوسيوثقافي في منطقة أدرار.....124

1) الثقافويات التصنيفية في المجتمع الأدراري.....125

2) المحتوى القيمي لبعض عادات المجتمع الأدراري.....128

3) مؤسسة الزاوية والقيم الموجهة للمجتمع الأدراري (مضامين العلاقة).....130

خلاصة الفصل.....136

الفصل السادس: وصف لمفردات العينة والرؤية السوسيوتنظيمية لعمل الرقاة في منطقة أدرار

تمهيد.....138

أولا: وصف مفردات العينة من حيث الخصائص الشخصية.....139

1) متغير الجنـــس.....139

2) متغير الســـن.....141

3) متغير الحالة العائلـــــية.....142
4) متغير المستوى التعليمي.....143
5) متغير مكان الاقـــــامة.....145
6) متـــــغير العـــــــمل.....148
ثانيا:رؤية سوسيوتنظيمية لعمل الرقاة في منطقة أدرار.....150
1) مصادر التعرف على الراقي.....150
2) أسباب التوجه إلى الراقي.....156
3) مواعيد العمل.....160
4) آليات العمل ووسائله.....162
5) أساليب العمل وخطواته.....164
6) الأجر وضوابطه.....170
ثالثا: نماذج من الرقاة الأكثر شعبية بولاية أدرار (الحاج جلول/ لالة الزهرة).....181
1) الراقي "الحاج جـــلول".....181
2) الراقية "لالة الزهـــرة".....185
خلاصة الفصل.....
188

الفصل السابع: عمل الرقاة بمنطقة أدرار في ظل الخصوصية السوسيوقيمة لعينة الدراسة (مناقشة فرضيات الدراسة)

تمهيد 191
أولا: التفسير القيمي للمشاكل الاجتماعية و عمل الرقاة (الفرضية الأولى).....192
1) النظرة السوسيوقيمية للأمراض.....194
2) الترتيب السوسيوقيمي للمسببات مشكلة العنوسة.....198
3) الترتيب السوسيوقيمي لمسببات المشاكل الزوجية.....202

4) الترتيب السوسيوقيمي لمسببات العقم 206
5) الترتيب السوسيوقيمي لمسببات البطالة.....210
6) الاستنتاج الجزئي الأول.....213
ثانيا: علاقة القيم بالنموذج التصوري للعامل في الرقية (الفرضية الثانية).....215
1) الخصائص الشخصية للعمل 215
2) الجانب التكويني والمعرفي للعامل في الرقية.....219
3) الأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالعمل. 226
4) لباس العمل.....231
5) مكان العمل.....233
6) الاستنتاج الجزئي الثاني.....235
الاستنتاج العام.....237
خاتمـــــــــــة.....243
ملخص الدراسة.....245
قائمة المصادر والمراجع..... 247
المـــــــــلاحق.....256

فهرس الجـــداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	الفرق بين القيمة والاتجاه.	29
02	تصنيفات القيم.	42
03	توزع مفردات العينة حسب متغير الجنس.	139
04	توزع مفردات العينة حسب متغير السن.	141
05	توزع مفردات العينة حسب متغير الحالة العائلية.	142
06	توزع مفردات العينة حسب متغير المستوى التعليمي.	143
07	توزع مفردات العينة حسب مكان الاقامة.	145
08	توزع مفردات العينة حسب متغير العمل.	148
09	توزع أفراد العينة حسب مصدر التعرف على الراقي.	150
10	العلاقة بين مكان الاقامة ومصدر التعرف على الراقي.	151
11	تردد المبحوثين على نفس الراقي في كل مرة.	154
12	توزع أفراد العينة حسب سبب توجهم للراقي.	156
13	توزع أفراد العينة حسب سبب توجهم لرقية أبنائهم.	158
14	وجود مواعيد عمل لراقي.	160
15	الآليات (المواد) المستخدمة في عمل الراقي.	162
16	رفع الراقي لصوته عند الرقية.	167
17	طبيعة الرقية التي يتلوها الراقي.	167
18	آليات التأكد من أن الرقية هي رقية شرعية.	169
19	تحديد الراقي للأجر المقدم له.	170
20	قيمة المبلغ المقدم للراقي.	172
21	العلاقة بين عمل المبحوثين و قيمة المبلغ المقدم للراقي.	173

22	العلاقة بين تحديد الراقي لأجره والمبلغ المقدم من طرف المبحوثين.	174
23	امكانية تقديم مؤونة عوض المال كأجر للراقي.	176
24	العلاقة بين رد الراقي للأجر وانزعاجه من عدم تقديم أي مقابل له.	177
25	توزع المبحوثين حسب سبب محاولة التستر في تقديم أجر الراقي.	179
26	أسباب الإصابة بالأمراض حسب الأولوية.	194
27	علاقة ترتيب أسباب الاصابة بالأمراض بالمستوى التعليمي.	196
28	أسباب العنوسة حسب الأولوية.	198
29	علاقة ترتيب أسباب العنوسة بالحالة العائلية.	200
30	أسباب المشاكل الزوجية حسب الأولوية.	202
31	علاقة ترتيب أسباب المشاكل الزوجية بالحالة العائلية.	204
32	أسباب العقم حسب الأولوية.	206
33	علاقة ترتيب أسباب العقم بالمستوى التعليمي.	208
34	أسباب البطالة حسب الأولوية.	210
35	علاقة ترتيب أسباب البطالة بالعمل.	211
36	الجنس الأكفأ في ممارسة الرقية.	215
37	السن الذي يستحسن أن يكون فيه الراقي.	217
38	العلاقة بين الجنس و الأكفأ في عمل الرقية.	218
39	وجوب حفظ القرآن للعامل في الرقية.	219
40	أهمية التكوين العلمي العالي (الجامعي) للراقي.	221
41	علاقة المستوى التعليمي للمبحوثين بتفضيلهم أن يكون الراقي ذو مستوى تعليمي عالي.	223
42	ضرورة امتلاك الراقي لمعرفة في العلوم الأخرى (الطب ،علم الاجتماع، علم النفس..).	224

43	ضرورة أن يكون الراقي من أصل شريف (شرفة/مرابطين).	226
44	ضرورة أن يكون الراقي من خريجي الزوايا.	228
45	ضرورة زيارة الراقي لبيت الله (حاجا/ معتمرا).	229
46	ضرورة التزام الراقي بلباس معين عند الرقية.	231
47	خصائص مكان عمل الراقي حسب الأولوية.	233

فهرس الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	مخطط الدراسة(الأبعاد والمؤشرات).	12
02	تدرج القيم داخل النسق القيمي.	32
03	الرؤية الميتاقيمية لتأخر الزواج وعلاقتها بالرقاة.	111
04	الرؤية الميتاقيمية لمشاكل الزواج وعلاقتها بالرقاة.	113
05	تصنيف القصور التواتية.	147
06	العلاقة بين التفسير القيمي للمشاكل والأمراض وعمل الرقاة.	193

فهرس الصور

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	صفحة الشيخ بندر في الفايسبوك.	84
02	صورة للراقي محمد بن راشد الهاشمي.	104
03	خريطة الجزائر موضحا عليها ولاية أدرار.	122
04	خريطة توضح المناطق الأربع بإقليم توات.	115
05	مواعيد عمل الراقي جلول.	183
06	ورقة علاج بمحلول الزعفران.	184

مـــقدمـــــة:

لقد ساهمت الثورة الصناعية في الدفع نحو اللاهتمام بموضوع العمل ضمن الطرح العلمي المتخصص وذلك اثر ما خلفته من افرازات ضمن هذا الإطار، مما حفز ضرورة تتبع تلك الأنماط من الممارسات التي تواجدت في تنظيمات تميزت بالرسمية أي أنها أنماط عمل مهيكلة تسيرها منظومة قانونية و اجراءات تسييرية ادارية (خاصة المصانع)،إلا أن هذا التوجه لم يدم طويلا لضيق أفقه.

إذ حينها قرر الباحثون توسيع اطار الدراسة لتشمل كل ما من شأنه أن يشكل نسقا من الأنشطة التي يقوم بها الفرد لغرض أخذ مقابل مادي أو معنوي معين فأخذ العمل بذلك مفهومه الواسع*.

هذا المفهوم المتجسد أساسا في عمل الراقي، الذي يعد عملا شعبيا جاء نتيجة تغييرات قيمية مست المجتمعات الاسلامية، ونخص بالذكر المجتمع الجزائري الذي عرفت منظومة القيم لديه انتقالا متباينا بين أنماط القيم المختلفة التي تتميز بالانفتاح حينا وبالصرامة حينا آخر، الأمر الذي كان من شأنه أن ينعكس على الوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في ذات المجتمع.

والحديث عن العمل يعني الحديث عن أبعاده التنظيمية (مواعيد عمل، مكان عمل، زي العمل، الأجر...) التي يكون من شأنها اعطاء هذا الأخير صبغة العمل المقصود و الهادف حتى وإن كان هذا العمل شعبيا كعمل الراقي الذي يشكل الظاهرة قيد

* الأمر الذي كان من ضمن أسباب الانتقال من علم اجتماع الصناعي الى علم اجتماع التنظيم والعمل حتى تكون التسمية الأخيرة أكثر شمولية لكل أنماط العمل المتواجدة في المجتمع الرسمية وغير الرسمية (الشعبية والحرفية...)

الدراسة، والذي له من الخصوصية بما كان و التي من شأنها أن تعطي لتلك الأبعاد التنظيمية المذكورة آنفا معنى مميز غير تلك المعاني المألوفة عنها في الاطار الرسمي.

هذا الأمر الذي نحاول مناقشته من خلال هذه الدراسة المقسمة إلى سبع فصول متسلسلة الطرح حيث نبدأها بالفصل الأول الذي احتوى مجمل الاجراءات المنهجية للدراسة، ثم الفصل الثاني الذي يعالج موضوع القيم في مفهومها وخصائصها وكذا أهميتها ناهيك عن مفهوم النسق القيمي ومكوناته، دون أن ننسى في ذلك الاشارة إلى المقاربة النظرية المسقطة على هذه الدراسة (الثقافوية) والتي تجعل من القيم بعد رئيسيا في تحليلها.

ثم ننتقل إلى الفصل الثالث الذي تم فيه الاشارة إلى الدلالات المختلفة للرقية في معناها اللغوي والقرآني والنبوي، بالإضافة إلى تقديم بعض المفاهيم السوسيوشعبية المرتبطة بها و الاشارة إلى الاسقاطات التنظيمية لهذا النمط من العمل.

و في الفصل الرابع حاولنا الدمج بين القيم والرقاة في تمازج حاولنا فيه شرح وجه الربط بين القيم وعمل الرقاة في المجتمع الجزائري، حيث ثم الاشارة إلى التطور القيمي للمجتمع الجزائري وتمهيده لظهور فئة الرقاة والعوامل المساعدة على توسع قاعدة هذه الفئة، ثم أشرنا إلى مشاكل المجتمع الجزائري التي تعد أسبابا يتوجه الأفراد من أجلها للراقي مع اعطاء نظرة قيمية لهذه المشاكل.

أما في الفصل الخامس فقد حاولنا فيه الانتقال من المجتمع الجزائري إلى المجتمع الأدراري تحديدا كونه الميدان المباشر لهاته الدراسة، وقد تم ضمن هذا الفصل اعطاء لمحة تعريفية عن ولاية أدرار من خلال عدة جوانب متباينة(التسمية/الأقاليم

الاثنوغرافية)، و كذا الاشارة المختصرة للأطر الكبرى المشكلة للنسق الثقافي في هذا المجتمع.

وبانتقالنا إلى الفصل السادس تم مباشرة المعالجة السوسيواحصائية لتصريحات مفردات عينة الدراسة، حيث تم ضمن هذا الفصل الاشارة الى خصائص العينة انطلاقا من عدة متغيرات مختلفة، و الاشارة الى الرؤية السوسيوتنظيمية لعمل الرقاة في ولاية أدرار.

وفي الفصل السابع الذي يعد الفصل الأخير في هاته الدراسة تم مناقشة الافتراضات المقترحة حيث حاولنا فيه مناقشة مؤشرات الفرضية الأولى التي تحاول اجاد ربط بين القيم الميتافيزيقة والدينية وعمل الرقاة، ومؤشرات الفرضية الثانية التي حاولت ايجاد ربط بين القيم التقليدية والنموذج التصوري للعامل في الرقية.

وبهذا الفصل نصل انتهاءا لهذه الدراسة بعرض الاستنتاج العام الذي يحاول اعطاء تفسير لإشكالية الدراسة والإجابة على تساؤلاتها المنعكسة في الفرضيات السابقة.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

تمـــهيـــــد:

إنّ أي باحث يمضي في دراسة موضوع ما، نجده يتطلع إلى الحصول على نتائج ذات وزن علمي بعيدة عن الفوضى المربكة لجدية المعرفة العلميّة، وسيتمكن الباحث من ذلك إذا ما أشغل تفكيره في محاولة الضبط المنهجي لدراسته هاته، وعلى العموم هذا ما سنحاول القيام به من خلال هذا الفصل* وذلك بتناول عرض لمشكلة الدراسة وتساؤلاتها، وكذا الافتراضات المعتمدة فيها، ثم تدقيق وتحديد المفاهيم الأساسية في صلب البحث، وأيضا عرض لأسباب انتقاء هذا الموضوع وأهدافه وأهميته، ونصل انتهاءاً لهذا الفصل بعرض العوائق والصعوبات التي تم مواجهتها عند التنقل عبر مراحل هذا البحث.

*** سيلاحظ في هذا الفصل المنهجي غياب ذكر الدراسات السابقة كعنصر مستقل وذلك لاعتبارين هما:**

الاعتبار الأول: عدم وجود دراسات سوسيوتنظيمية للظاهرة قيد الدراسة (في حدود اطلاعنا) ونقصد هنا أن كل الدراسات حول القيم وما أكثرها إلا أنها تبتعد كثيرا عن دراستنا مثلا القيم لدى الطلبة، القيم لدى العمال، القيم التنظيمية...وكلها لا تشير للقيم بنفس خصوصية اشارتنا فهي لا تخدم موضوعنا مطلقا لأن توجهها مختلف بالرغم من أنها تدرس نفس الموضوع، أما فيما يخص الدراسات حول الرقاة ففي حدود اطلاعنا تم الحصول على دراسات ضمن تخصص علم النفس تعتبر الرقية كإجراء عيادي نفسي حيث مضمون الدراسة بعيد عن مقاربة تناولنا لذا تم تلافيا للحشو تجاوزها طالما لا تخدمنا في شيء.

الاعتبار الثاني: وجود بعض الدراسات التي هي في مجملها جاءت على شكل تأليف ضمن عناوين مختلفة كانت تخدمنا في بعض جزئيات (أي في أحد العناصر النظرية للبحث) لذا تم اعتماد ذكر تلك الدراسات حين العزم على الاستفادة منها، بمعنى تم ادراج كل دراسة في العنصر الذي تم الاستفادة منها فيه أنظر ص 48،ص 49،ص 58،ص 115،ص 132.

أولا: تحديد موضوع الدراسة:

1) الاشكاليـــة:

تعد الهوية الاجتماعية أهم معطى من شأنه أن يكرس الخصوصية و التميز عن الغير وهي أيضا الجدار الذي يحمي المجتمعات من الانصهار في الكيانات الاجتماعية الأخرى،كما أنّ هذه الأخيرة (الهوية) لا يمكن لها أن تحقق ذلك إلا عن طريق ما نسميه بالثقافة التي تشكل ذلك المحتوى المركب الذي غايته اعطاء معنى لممارساتنا الاجتماعية وصقلها بطابع ثقافي خاص؛ هذا مع العلم أنه ليس لنا منظور موحد لها فلكل مقاربته في تفسيرها، هذه المقاربات التي نجدها تنعكس على العملية التعريفية بالدرجة الأولى بحيث هي مثلا حسب "**مالك ابن نبي**" «تتجسد في مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه»[1] وهي أيضا حسب "**كلكهون kluckhohn**"«عبارة عن وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الانسان عبر التاريخ ...والتي تكون وسائل إرشاد من شأنها أن توجه سلوك الأفراد في المجتمع»[2].

من ذلك يمكن أن نستشف أن الثقافة هي قيم ومكونات أخرى غيرها، ونحن ضمن هذا الاطار لا تهمنا تلك المكونات الأخرى بقدر ما تهمنا القيم بمعناها الواسع وذلك باعتبارها محكمات توجه السلوك وتمكنه من انتقاء ما هو مرغوب وما هو منبوذ، هذا بالرغم من أن المعاني السوسيوتنظيرية للقيم قد تختلف من سوسيولوجي لآخر إذ ذلك متوقف أساسا على خصوصية المقاربة النظرية المتبناة في طرحه للقيم.

فالقيم مثلا حسب "**ميتشل دينكن**" «تعد حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي»[3] أما حسب "**تالكوت بارسونز**" هي «عنصر في نسق رمزي مشترك يُعتبر أساسا

---

[1] مالك ابن نبي، شروط النهضة، تر: كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ب ت، ص 83.

[2] . Kluchohn Kelly ,The conceptof culture,A .Lintion ,New york,1945 ,P 97

[3] دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، تر:احسان محمد حسن، دار الطليعة،ط2، بيروت، 1986،ص 250.

للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف»[1] في حين قد أشار اليها "**اميل دوركايم**" «على اعتبرها هي احدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد»[2] وذلك لكون للقيم كيانات خارجية، فهي ليست جزء من الانسان في تكوينها، ولكنها جزء منه في ممارستها، وهنا يَفْرُق الأمر بين وظيفة القيمة وأدوارها في الكيان الاجتماعي ولدى الفاعلين وبين طبيعتها التي يمكن أن نشير اليها على أنها «عبارة عن الرغبات والاهتمامات المتفق عليها اجتماعيا»[3].

فرغم مجمل تلك التباينات إلا أن الكل يشترك في كون القيم موروث اجتماعي منصهر في ثقافة المجتمع وموجهة لسلوك أفراده (مهما كان المجال والغاية، وسواء أدركنا ذلك أم لم ندركه) كما أن القيم برغم ثباتها النسبي إلاّ أنها تتعدل أحيانا بفضل التغيّر الاجتماعي الذي يفرض عليها وضعاً آخر تجد نفسها مضطرة للتكيف معه، فالقيم اذا تقوم بالوظيفتين التَغيير والتَغيُّر.

وفي هذا الاطار يمكننا ذكر كيف أن القيم تُغير من الذهنيات الشعبية ومن سلوكيات الأفراد بل وحتى ما اعتقدوا لحقبة من الزمن أنه من المبادئ التي لا تتبدل، وهنا قد نحاول الاشارة مثلا الى تلك الممارسات الشعبية المقامة لغاية اللإستطباب، والتي كانت بداية تمارس من طرف كبار السن خاصة النساء منهم، اذ كانوا يتقنون ذكر الأعشاب ومجالاتها العلاجية، فهذا للمغص وهذا للقي، وذاك للحمى، وآخر للطفل الذي ينبت أسنانا أو للمزكوم ...وغيرها من الحالات المرضية الأخرى التي كثيرا ما كنا نسمعها على لسان أجدادنا وينتابنا شعور بالغرابة والتهكم مما يقومون به، هذا

---

[1] ماجد الزيود،الشباب والقيم، دار الشروق، الأردن، 2006، ص 22.

[2] كمال التابعي ،ليلى البهنساوي، علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2007، ص 28.

[3] T .Parsons, *The system of modern societies,* traduit par G. Melleray, Englewood Cliffs, Prentice Hall, Dunod,1973, P170 .

بالرغم من أننا قد نمد أيدينا لهم اذا ما أمدونا بدواء تقليدي في حالة أرهقنا المرض و الألم، الأمر الذي ينم على التناقض الاجتماعي بين أننا لا نتقبلها كفكرة منطقية وبين أننا نتناولها، والآن قد أصبحنا نرى مختصين يمارسون الطب التقليدي امتهانا له فتسمع هناك مختص في التجبير وآخر في العقم أو المس الجني ومجالات أخرى عديد لا يهمنا كثيرا الاحاطة بها.

أما في الواقع الحالي فقد بتنا نسمع عن المعالجين الشعبيين بالقرآن أو الرقاة وهي بطبيعة الحال ليست مجالا من الطب الحديث (الرسمي)، بل ممارسة يقوم بها رجل أو امرأة يكون فيها التداوي بالقرآن والأدعية المأثورة هذا إذا تكلمنا عن الرقية الحقة أو كما ينعتها المختصون في العلم الديني ـــ الرقية الشرعية ـــ وهي تلك الرقية التي لا يُعتمد فيها عند العلاج ممارسات من الشعوذة.

ونحن نقول هذا لأن الواقع الاجتماعي يقدم لنا نمطين من الرقاة، فهناك من يمارس الرقية الشرعية، وهناك من يمارس الرقية ولكنها ممزوجة بالشعوذة (هذا مع أنه لا تُنزع منه تسمية **راقي** بل يظل يُنعت اجتماعيا بذلك المسمى) وذلك لكون المقبلين عليه يسمعون منه القرآن عند علاجهم وهذا كافي ليطمئنهم عن فعله معهم ولا يسعون بعدها إلى التدقيق في غيرها من الممارسات التي قد تصدر منه أثناء العلاج والتي يكون فيها نوع من الشعوذة، فكل الذي يهمهم أنه سمعوا فعلياً ذكره للآيات، لذا نجد أن النمطين معا يسمى ممارسهما **راقيا** بحسب الذهنية المجتمعية.

وقد باتت الرقية الآن ظاهرة اجتماعية تتسع عاما بعد عام، بل أصبحت تتخذ لنفسها أنماطا جديدة فمن الرقية الشعبية البسيطة، الى الرقية الفضائية (عبر الفضائيات التليفزيونية) ثم الى الرقية الالكترونية (عبر مواقع الواب والمجتمعات الافتراضية) هذا بالرغم من أنها لا تمارس انتقاءا جندريا (gender) بل هي ممارسة من الرجال و النساء؛ كما أنها لم تعد مجرد ممارسة ساذجة بل أضحت عملا ممنهجاً له بـــــــعده

التنظيمي(مواعيد عمل،مكان عمل، متطلبات عمل أجر...) ناهيك على أنه حاليا قد بدأ في الظهور المحتشم **لعيادات** المعالجة بالقرآن الكريم في بعض الدول* وهو مؤشر آخر على السير نحو تكريس بعد التنظيم في هذه الممارسة.

أما في الحديث عن الواقع الجزائري فيمكن أن نشاهد الظاهرة بشكل واضح للعيان إذ هي ليست خاصة بولاية دون الأخرى بل لكل نصيبه منها، بما في ذلك ولاية أدرار (التي تعد موقع ميدان هذه الدراسة)، والتي لها من الخصوصية السوسيوثقافية بما من شأنه أن يجعلها متفردة الى حد ما في تعاطيها** مع الظاهرة.

ونحن لا نقصد هنا معالجة ظاهرة عمل الرقاة في معزل عن كل المتغيرات الاجتماعية الأخرى بل الذي يهمنا والذي يعد صلب حديثنا هو ذلك الربط بين متغير القيم ومتغير عمل الرقية اذا من المعروف أن الرقية هي علاجات لأمراض جسدية ونفسية وكذا لأمراض غيبية ميتافيزيقية كالسحر والجن وغيرهما، هذا الأمر الذي يُحيل الى أن ذلك لا بد أن تكون له قيم تكرسه وتدعمه وتجعل الفاعلين يثقون بممارسها ويستمرون في الاقبال عليها، وكأنهم يعطونها الاعتراف الاجتماعي ويدعمون وجودها.

وفي اسقاط ذلك على الواقع الاجتماعي الجزائري يمكن أن نقول أنه مجتمع لطالما كرس تلك القيم الميتافيزيقية مع الدراويش والأولياء والقباب كإفرازات خلفها التواجد العثماني وراءه، هذا مع أنه قد تقلص ذلك بفعل حركات الاصلاح الديني ومساعي **"ابن باديس"** في اخراج المجتمع الجزائري من المتاهات الغيبية التي أكسبته السذاجة والبلادة لحقبة من الزمن.

---

* هناك تجربة لعيادة للمعالجة بالقرآن لأحد الرقاة هنا في الجزائر وتحديدا في ولاية غليزان "وهي في طور الإنجاز" غرضها التكوين الأكاديمي للرقاة، وعلاج حالات المرض بطريقة علمية ودينية وهي تحت اشراف الشيخ بلحمر الحاج صاحب جمعية بشائر الشفاء الجزائرية للعلاج بالرقية الشرعية لمزيد من الإطلاع أنظر: **http://www.bachairchifaa.net**/.

** نقصد هنا في اقبال المجتمع التواتي على الرقاة، وفي نظرتهم له وفي المواصفات التي يرون من الضروري التوفر فيهم...الخ.

ومع تجدد قيمنا الاجتماعية وانتعاش القيم الدينية بفعل الخطاب الديني في المجتمع وتنوعه وتدخل الفضائيات الدينية، وبروز موجة الدعاة التي باتت تدعو للعلاج بالقرآن والعودة للطب النبوي نمت في اثرها ظاهرة الرقاة التي وجدت لنفسها حيزا اجتماعيا يزداد في التوسع فترة بعد فترة إلاّ أن ذلك قد جنى على المشعوذين الذين أصبحوا قيد محاربة اجتماعية نتيجة كشف ألاعيبهم واستغلاليتهم وسلبيات أخرى حفزت على ضرورة القضاء عليهم، فرأى المشعوذين بذلك أنه لا بد من تغيير أنماط الخداع التي كانوا يوهمون بها أولائك المقبلين عليهم، فدخل بعضهم ميدان الرقية وهي بذلك تمارس الشعوذة بغطاء الرقية فهي تقرأ القرآن وتسخر الجن وتمارس السحر فيسميها المجتمع رقية لأنها ببساطة كما سبق لنا الذكر قد سُمعت بعض الآيات تتلى من ذلك الذي يسمى راقيا.

كما أنه ليس نمط القيم السائد في المجتمع هو المساعد على تكريس الوجود الاجتماعي لعمل الرقاة فحسب، بل حتى ما يعليه الفاعلون الاجتماعيون من قيم قد تجعل منهم مقبلين أو غير مقبلين وكأن لهم نسق قيمي خاص بهم يجعل منهم طيعين أمام الرقاة ويجعل منهم مقبلين مداومين على الرقية، ومن ثم فهم يعطونها فرصة في الوجود الاجتماعي ويدعمونها باعترافهم بها وذلك بتجسيد فعل المداومة على الاقبال عليها.

ومن جملة هذه الترابطات نجد أنفسنا في مواجهة تساؤل محوري مؤداه: **ما علاقة القيم بالوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار؟**

2) **تساؤلات الدراسة (التساؤلات الفرعية)**: من خلال التساؤل المحوري السابق الذكر يمكن لنا أن نحدد وجهتنا الدقيقة في معالجة هذا الموضوع، وللغاية ذاتها نقوم الآن بمحاولة تفكيكه (التساؤل المحوري) إلى تساؤلين فرعيين هما:

ـــ ما أهم القيم المجتمعية المدعمة للوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار؟

ـــ ما علاقة القيم في المجتمع الأدراري بالنموذج التصوري للعامل في الرقية ؟

3) فرضيات الدراسة:

❖ **الفرضية العامة**: تساهم القيم في تكريس الوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار.

❖ **الفرضيات الجزئية**:

ـــ تعد القيم الميتافيزيقية والقيم الدينية أهم القيم المجتمعية المدعمة للوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار.

ـــ للقيم التقليدية في المجتمع الأدراري دور في صياغة التصور النموذجي للعامل في الرقية.

4) تحديد مفاهيم الدراسة (المفاهيم الإجرائية)

أ. القـــــيم والمفاهيم المرتبطة بها:

❖ **القيم**: هي جملة التفضيلات التي يعليها الأفراد والتي يرجعون إليها في ممارساتهم الاجتماعية لتوجههم إلى ما هو مرغوب وما هو منبوذ، وهي ليست بالضرورة متشابهة لدى الكل، كما أنها محكمات يقر الفرد بتبنيها وتُرى ظاهرة من خلال سلوكه ومن أمثلتها قيمة العدل والصدق والأمانة...وغيرها .

❖ **النسق القيمي**: هو جملة القيم المتواجدة لدى الفرد **في ترتيبها** لديه، أي ما هي جملة القيم التي يتبناها الفرد دون الأخرى، وما هي القيم التي يعطيها أولوية عن الأخرى.

❖ **القيم الميتافيزيقة**: هي جملة التفضيلات التي يعليها الأفراد والتي ترتبط بمواضيع غيبية فالأفراد اللذين يعلون القيم الميتافيزيقية في تفسيراهم وسلوكاهم تجدهم يرجعون مرد كل مصاب يلحقهم الى تأثير الأرواح الشريرة كالعين والحسد والجن...وغيرها.

❖ **القيم الدينية**: هي جملة التفضيلات التي يعليها الأفراد والتي ترتبط بموضوعات مرتبطة بالدين الاسلامي وقيمه، حيث الأفراد اللذين يعلون القيم الدينية تجدهم في تفسيراهم يرجعون كل مشاكلهم ومعضلاهم الى القضاء و القدر أو الابتلاء أو العقاب الرباني...وهكذا.

❖ **القيم التقليدية**: هي قيم تتصف بأنها تجسد وضعيات غير حديثة، بمعنى أنها قيم تشجع تكريس تقاليد المجتمع في زيه، وتصنيفه المجتمعي، وفي نظرته للراقي في سنه وجنسه وعلمه...وغيرها، إلا أنّ القيم التقليدية لا تكون بالضرورة سلبية.

ب. **الرقيـــــة والمفاهيم المرتبطة بها**:

❖ **الرقية**: هي تعاويذ تقرأ (مهما كانت قرآنا أو أدعية أو غيرهما...)وفق ممارسات معينة (فرض وضعية معينة على المريض ...) وتقدم على اثرها وصفات علاجية إن رأى الراقي ضرورة ذلك، وهي تُقدم للمريض لغرض الاستشفاء من داء ما سواءا كان هذا الداء عضويا أو نفسيا أو ميتافيزيقيا(العين، الحسد..).

❖ **الرقـــــاة**: هو مسمى يطلقه الفاعلون الاجتماعيون على من يقوم بالرقية على اعتبار أن الرقية الشرعية هي العلاج بالقرآن الكريم، هذا مع أنه أحيانا يمزج هذا العلاج بأساليب انحرافية (شعوذة) فنحن هنا لا يهمنا الرّاقي الشرعي فحسب بل كل ما يسميه الأفراد في المجتمع بهذا المسمى (**راقيا**) سواء توفر في ممارسته صفة الشرعية الذي يطرحها الدين الاسلامي أم لم تتوفر،وهذا لأننا لسنا بصدد تحليل الحلال والحرام في تلك الممارسة (أي لدى الرقاة) إذ ذلك يعد من صلب اختصاص العلوم الدينيـــة

والشرعية، وإنما نحن بصدد تحلل الظاهرة كما أنتجها الواقع الاجتماعي بعيدا عن تلك الأحكام الدينية.

❖ **التصور النموذجي للراقي:** إن المقصود بالتصور النموذجي للراقي هو الصورة التي يرى الأفراد أن على شخص الراقي أن يكون عليها، وذلك من خلال جملة من الصفات التي يحددونها له مثل أصله العرقي، رأسماله الثقافي، جنسه، سنه، ...وغيرها من الصفات الأخرى.

❖ **المقبلين على الرقاة:** هم جملة الأفراد اللذين قاموا بتجربة الرقية عند أحد الرقاة شرط أن تتوفر فيهم صفة المداومة على الرقية لذلك تم تحديد عدد ثلاث زيارات كحد أدنى يجب أن تتوفر في أولائك المقبلين، ولا يهم إن كانت تلك الزيارات للرّاقي ذاته أم لرقاة مختلفين، فإذن نحن بذلك نستبعد من المقبلين على الرقاة كل من قلت زياراته عن ثلاث زيارات.

❖ **الوجود الاجتماعي لعمل الرقاة:** نعني هنا بالوجود الاجتماعي تلك الظروف العامة ومجمل المحكمات التي تشكل واقع عمل الراقي في المجتمع سواء من حيث الظروف التنظيمية لعمله، أو من حيث الاقبال عليه، وخصائص أولائك المقبلين عليه وكذا المشاكل الاجتماعية التي يساهم في حلها...وغيرها بمعنى نحن نقصد به تحديدا الاشارة الى **كيفية تواجد ممارسة الرقية في المجتمع بالإضافة إلى العوامل التي تكرس استمراريتها الاجتماعية.**

5) **مخطط الدراسة (الأبعاد والمؤشرات):** يقدم لنا مخطط الدراسة الصورة الفتوغرافية لتصور الباحث اذ من خلاله تتوضح متغيرات الدراسة (المستقل/التابع) ومن خلاله أيضا نحاول فك تجريدية المفاهيم (تحديد الأبعاد والمؤشرات) وبـــــذلك

نتمكن من قياس الظاهرة قيد الدراسة وعلى العموم يتجسد المخطط النموذجي لهاته الدراسة من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (01): مخطط الدراسة.

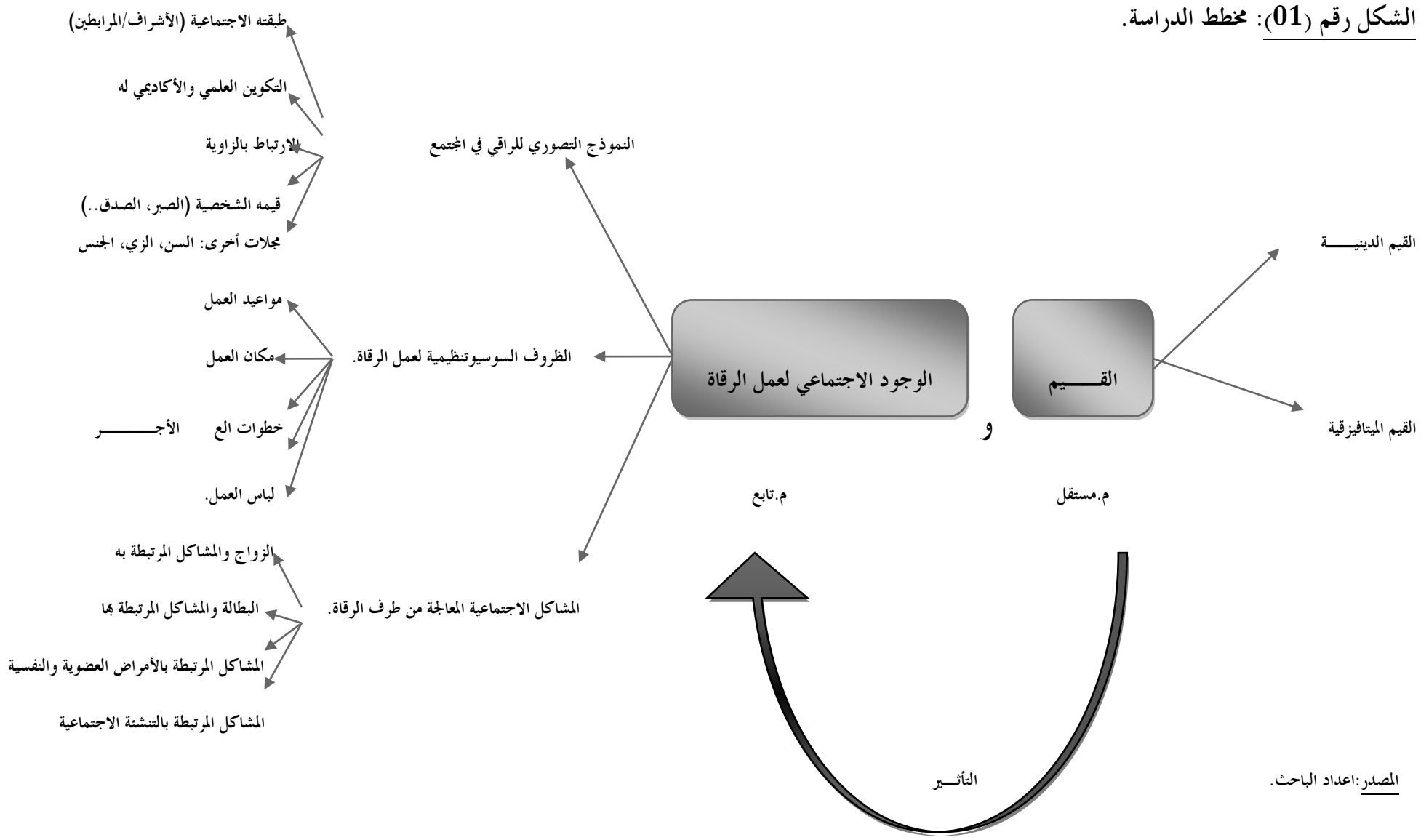

المصدر:اعداد الباحث.

ثانيـــا: منهج الدراسة:

إنه لمن العبث الخوض في الدراسات العلميّة، دون وجود منحى أو طريق ذا خطوات محددة تمكن الباحث من السعي المنظم والهادف، و لربما هذا ما قد يبرر ضرورة وأهمية المنهج العلمي في مختلف العلوم خاصة الإنسانية والاجتماعية منها، إذ يعمل هذا الأخير على إبقاء الباحث بعيدا عن الزيغ والعشوائية في تناول موضوع دراسته.

والمعروف أن موضوع البحث هو الذي يُصرح بنوع المنهج الواجب إتباعه من جملة المناهج المتاحة، لهذا تم الاعتماد في دراسة موضوع هذا البحث على "**المنهج الوصفي**" والذي هو في أبسط تعريفاته «طريق يستند على الوصف، على اعتبار الوصف هو التتبع الصارم للظاهرة ومحاولة الوقوف على أدق جزئياتها وتفاصيلها والتعبير عنها كيفيا أو كميا»[1] .

«أي أن هذا المنهج يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة»[2] .

وبهذا سينصّب الوصف في موضوع هذا البحث على شقين هما:

- وصف طريقة عمل الراقي وإجراءات هذا العمل والاختلافات الموجودة من راقي إلى آخر.
- وصف محتوى ونمط القيم التي تدعم وجود الرقاة في المجتمع.

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع: لا شك أنّ وقوع اهتمام الباحث على موضوع ما لا ينحدر من العدم، بل يرتبط بجملة من الأسباب منها ما هو مرتبط به، والتي تعد أسبابا شخصية أو ذاتيـــــة ومنها ما هو غير مرتبط به والتي تعد أســـبابا موضوعية وكلها

[1] أحمد عياد ، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2006،ص 61.

[2] أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطـــبوعات،ط6، الكويت، 1982، ص 234.

مجتمـــعة – الأسباب الذاتية والموضوعية – تعمل على توطيد صلة الباحث بموضوعه وتجعله أكثر تحملا لمشقات وعقبات دراسته، ومن هذا كان لنا بدورنا جملة من الأسباب الدافعة لدراسة هذا الموضوع دون غيره والتي نحصرها في ما يلي:

1) الأسباب الذاتية:

- الميل الشخصي للبحث في المواضيع المرتبطة بأنماط العمل غير المهيكلة أي غير الرسمية (الشعبية).
- الرغبة في اشباع الفضول الشخصي في التعرف على طرق عمل الرقاة خاصة في ذلك الجانب الميتافيزيقي لديهم.

2) الأسباب الموضوعية:

- الالتزام التخصصي (علم اجتماع التنظيم والعمل) والذي نجد أنه يحدد وجهة الباحث الى اختيار مواضيع بعينها والتي يكون عليها أن تتصف بصفة التخصص، فهي إما ترتبط بعمل رسمي أو غير رسمي (مثل موضوع دراستنا)، أو ترتبط بالبعد التنظيمي المؤسساتي وما تضمه من تفاعلات.
- المساهمة في تغيير نمطية المواضيع التخصصية حيث تتركز الدراسات في تخصص علم اجتماع التنظيم والعمل في الغالب حول الجوانب الرّسمية والتسييرية وحول المؤسسات كبناءات بما تضمه من عمليات ومشاكل تنظيمية في حين نجد تواجد ضيق لتلك الدراسات التي تلفت النظر الى الجوانب غير الرسمية والمهن الشعبية والصناعات اليدوية ...وغيرها (هذا طبعا في حدود اطلاعنا) الأمر الذي حفزنا الى ضرورة التوجه الى اختيار هذا الموضوع انطلاقا من هذا الاعتبار الذي غايته البحث في أطر سوسيوتنظيمية جديدة.

رابعا: أهمية موضوع الدراسة: تكمن أهمية هاته الدراسة في النقاط الثلاث التالية:

- تشكل دراستنا هاته مادة علمية تسعى إلى اعطاء مبررات موضوعية في وصف الظاهرة بعيدا عن الوصف الشعبوي الذي يقدمه كل واحد من أفراد المجتمع نتيجة تجربته الشخصية مع الرقاة وبحكمه الذاتي عنهم الأمر الذي يجعل أهمية هذه الدراسة تتركز هنا بالذات أي في أنها تحاول تقديم تأطير علمي للظاهرة.
- تمكننا من الوعي بممارسات الرقاة و الوعي بمبراتهم في عملهم واجراءاته.
- تبصرنا بخصائص الحالات المقبلة على الرقاة.

خامسا: أهداف الدراســـة: نحاول من خلال دراستنا هاته الوصول إلى جملة الأهداف التالية:

- تغيير نظرة الأفراد نحو ممارسة الرقية من مجرد الممارسة الشعبية الساذجة الى النظرة العلمية المنظمة وذلك بتقديم ممارسة الرقاة كعمل له خطواته التنظيمية من تحديد للمواعيد،التشخيص العلاج، الأجر...وغيرها من المحكمات التنظيمية الأخرى.
- محاولة اعطاء تفسير للآليات المدعمة لوجود ظاهرة الرقاة منطلقين بذلك من التفسير الثقافوي المرتبط بالقيم التي هي بدورها مفهوم رئيسي ضمن هذا البحث.
- تقديم نماذج واقعية لفئة من الرقاة ووصف طريقة عملهم.
- الوقوف على خصائص المقبلين على الرقاة وتحديد ما يميزهم على الصعيد السوسيوقيمي.
- محاولة ابراز الواقع القيمي للمجتمع الأدراري وعلاقته بترعرع ظاهرة الرقاة فيه وذلك من خلال ابراز نمط القيم المحتضّنة للرقاة في المنطقة.

سادسا: الاجراءات المنهجية الميدانية

1) مجـــلات الدراســـة:

❖ **المجال المكاني**: لقد تم اجراء هاته الدراسة في المجتمع الأدراري، أي أن ولاية أدرار هي موقع دراستنا، حيث تقع هذه الولاية في الجنوب الغربي للجزائر، ولها واقع اجتماعي وثقافي مميز عن غيرها من مناطق الوطن*.

❖ **المجال البشري**: يمثل المجال البشري المجتمع المعني به في البحث، والذي يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط التي من شأنها أن تجعله ملائم منهجيا وموضوعيا للموضوع قيد البحث، و في هاته الدراسة نجد أنفسنا أمام فئتين هما: فئة الرقاة وفئة المقبلين على الرقاة.

حيث في ما يخص المقبلين على الرقاة هم محددين بجملة من الشروط هي:

- أن يكون المقبلين على الرقاة من سكان ولاية أدرار (كونها ميدان هذه الدراسة) ولا تعنينا الولايات الأخرى.
- أن يكون الأفراد المترددين على الرقاة لا تقل عدد زيارتهم للرقاة عن 3 زيارات كحد أدنى.

أما عن الرقاة فقد تم اختيارهم وفق الشروط التالية:

- أن يطلق عليه المجتمع مسمى راقي (بمعنى ينعت اجتماعيا بهذا المسمى كقول الراقي الفلاني...) .
- لا يهمنا في الراقي إن كان يقوم بالرقية الشرعية أو يقوم بمزجها بالشعوذة**.

---

* سيتم التفصيل في التعريف بولاية أدرار في موقع لاحق من هذه الدراسة أنظر ص 120من هاته الدراسة.

** لقد تم توضيح هذه الجزئية في عنصر تحديد المفاهيم أنظر ص 09 من هاته الدراسة.

■ أن يكون لراقي شعبية نسبية في المجتمع ومعروف بأنه يعمل الرقية ويستقبل الأفراد لهذا الغرض وفق مواعيد محددة من طرفه***.

❖ **المجال الزمني**: لقد تم تقسيم عملنا على مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: تمتد من سبتمبر 2012 الى ديسمبر 2012 أي مدة "**أربعة أشهر**" حيث تم في هذه المرحلة ما يلي:

ـــ التحديد المنهجي للدراسة.

ـــ الاطلاع في أدبيات الموضوع وتحرير الفصول النظرية.

ـــ الصياغة المبدئية لأداة جمع البيانات.

هذا مع العلم أن هذه المرحلة تم فيها الاستطلاع الميداني للدراسة والمحاورة مع ذوي الاختصاص (أساتذة، رقاة، المقبلين على الرقاة، ذوي المعرفة ببعض جزئيات من موضوع الدراسة).

المرحلة الثانية: تمتد هذه المرحلة من جانفي 2013 الى أفريل 2013 حيث تم في هذه المرحلة مايلي:

ـــ التدقيق النهائي لأداة جمع البيانات (الاستمارة) وتحكيمها.

ـــ توزيع الاستمارة على عينة البحث.

ـــ تفريغ الاستمارات والتحليل الاحصائي والسوسيولوجي.

ـــ المراجعة العامة للعمل (التحرير، التنسيق، مراقبة الأخطاء، الاخراج...).

وبذلك تم استغراق مدة **سبعة (08)** أشهر لانجاز العمل بشكل نهائي.

*** لقد تم تحديد هذا الشرط لأنه تم ملاحظة أن كل من يدرس في الكتاتيب القرآنية (طَالَبْ) يمكن أن يذهب اليه الأفراد لطلب الرقية خاصة عند المرض المفاجئ في وقت لا يسعهم للذهاب للرقاة المعروفين إن كانوا بعيدين، فنحن لا تهمنا هذه الفئة بل تهمنا الفئة التي تضع مواعيد عمل ومكان عمل ويأتيها اقبال يومي من الأفراد طالبي الرقية.

2) **عينة الدراسة *sample*** : إن طبيعة مجتمع الدراسة ليس بالمجتمع الرسمي الذي قد تتوفر قوائم محددة لحجمه وخصائصة بل هو مجتمع محدد بمجموعة شروط التي تم ذكرها سابقا بحيث تكون وحدة البحث هي:

كل فرد يسكن بولاية أدرار وقد قام بزيارة أحد الرقاة 3 مرات على الأقل.

فإذن كما سبق لنا الذكر من الصعب بما كان أن يتوفر لنا العدد النهائي للأفراد المحقق فيهم هذا الشرط في ولاية مترامية الأطراف بكل دوائرها وبلدياتها(لغياب قوائم تحدد ذلك)، لهذا قد تم اختيار "**العينة القصدية**" كونها العينة الأنسب لوضعنا هذا،«حيث أنّ اللجوء إلى هذا الصنف من العينة يتم عندما لا يكون أمامنا أي اختيار إذ إنها الحالة التي لا نستطيع فيها أن نحصي مجتمع البحث المستهدف ولا اختيار العناصر بطريقة المعاينة الاحتمالية»[1] وقد وصلت العينة إلى حجم قدره 102* مفردة تم اعتمادها لتكون اجاباتها منطلقا لتحليلنا الميداني.

كما تم اختيار الرقاة الذي تم اعتمادهم كنماذج عن رقاة ولاية أدرار وفق مبدأ العينة القصدية وتم الاكتفاء براقيين من الجنسين (راقي وراقية).

3) **أدوات جمع البيانات**:لقد تم الاعتماد في الدراسة على أداتين هما: الملاحظة بالمشاركة والاستمارة بالمقابلة حيث تم اعتماد الأداة الأولى (الملاحظة بالمشاركة) لجمع البيانات من الرقاة في حين ثم اعتماد الاستمارة لجمع البيانات من المقبلين على الرقاة.

---

[1] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، تر:بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة،ط2، الجزائر،2006،ص 311.

* يعد هذا الرقم (102) العدد النهائي لحجم العينة، لكونه الحجم المسترد من الاستمارات وكذا بعد عملية اقصاء بعض الاستمارات التي كانت غير صالحة للتحليل لعدم اجابة المبحوث على أغلب تساؤلاتها فبلغ حجم العينة في النهاية 102 مفردة.

أ. الملاحظة بالمشاركة ***observation participante***:

تعد أداة الملاحظة بالمشاركة من بين التقنيات التي تتيح للباحث فرصة الاندماج في مجتمع بحثه «إذ هي حالة يشارك فيها الملاحظ في حياة الأشخاص الموجودين تحت الملاحظة»[1] وعلى العموم قد تم استخدام هذه الأداة لمعايشة ظروف ممارسة عمل الرقاة حيث تلخصت أبعاد الملاحظة في عدة نقاط هي:

- ملاحظات خاصة بمكان عمل الراقي.
- ملاحظات خاصة بشخصية الراقي.
- ملاحظات خاصة بطريقة العمل.
- ملاحظات خاصة بالمقبلين على الراقي.

وهذه الأبعاد الأربع للملاحظة قد تم تنظيمها في اطار منهجي ضمن ما يسمى بدليل الملاحظة أو شبكة الملاحظة* التي تعتبر «أداة لتسجيل المشاهدات المتعلقة بالظواهر التي تظهر ذات فائدة بالنسبة لمشكلة البحث...لأنه من غير المعقول أن نذهب إلى ميدان البحث دون أن نكون قد حضرنا أنفسنا مسبقا حول ماذا ستكون ملاحظتنا»[2] فإذن هذه الشبكة أو الدليل سيمكننا من تنظيم عملية الملاحظة و جعلها هادفة ومنهجية وغير عشوائية فهي تمنع الباحث من الزيغ عن موضوع بحثة وعن المشاهدات الهامة التي من شأنها تقديم تفسير لتساؤلاته.

ب. الاستمارة ***questionnaire***:

تعتبر أداة الاستمارة (الاستبيان) من بين الأدوات الأكثر ذيوعا في البحث العلمي السوسيولوجي نظرا لمقدرتها على توفير أكبر قدر من البيانات، وعلى العموم تعد

---

[1] **Loubet Del Bayle, Jean_Louis, Introduction aux méthodes des sciences sociale Toulouse, Privat, 1986 ,p234.**

*** أنظر دليل الملاحظة في ملاحق الدراسة.**

[2] **موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص ص 234، 237.**

الاستمارة «أداة من شأنها جمع جملة من المعلومات بأخذ شكل سلسلة من الأسئلة والبيانات المعدة مسبقا حيث توضع بطريقة موحدة الهدف ثم توجه إلى عينة من الأفراد، وفي النهاية هي تمكننا من إعداد روابط إحصائية تفسر ممارساتهم واتجاهاتهم أو أرائهم انطلاقا من وضعيتهم في المجال الاجتماعي»[1].

أما عن هيكلة الاستمارة فقد تم اعتماد أربع محاور تضم (40) سؤالا من شأنه الاجابة عن تساؤلات الدراسة حيث هذه المحاور متضمنة لما يلي[*] :

المحور الأول: متعلق بالبيانات الشخصية ويضم (08) تساؤلات.

المحور الثاني: متعلق بإجراءات عمل الراقي ويضم (13) تسائلا.

المحور الثالث: متعلق بالمشاكل الاجتماعية والنظرة القيمة لها ويضم (07) أسئلة.

المحور الرابع: متعلق بالنموذج التصوري للراقي وفق القيم المجتمعية ويضم (12) سؤالا.

وبعد الاعداد النهائي للاستمارة وتحكيمها من طرف بعض الأساتذة المختصين، تمت عملية توزيع الاستمارات حيث كان التوزيع بطريقة المقابلة "الاستمارة بالمقابلة" وذلك لأن عينة دراستنا لا تضع المستوى التعليمي العالي مؤشرا حاضرا فيها، بل تضم المتعلمين وغير المتعلمين الأمر الذي ألح علينا ضرورة التواجد مع غير المتعلمين لمساعدتهم على عملية التدويين في الاستمارة وكذا شرحها لهم.

أما فيما يخص تفريغها (الاستمارة) فقد تم الاعتماد على برنامج spss الذي ساعدنا على اخراج كل نسب الجداول المعتمدة في الدراسة في وقت وجيز جدا ناهيك عن

[1] **E .Savaers ,méthodes des science sociales ,Edition ellipses , Paris 2006,p 37 .**

[*] **أنظر الى الاستمارة في ملاحق الدراسة.**

الدقة التي يستطيع الباحث بلوغها من التفريغ الآلي خاصة أن التحليل السوسيولوجي بعد ذلك سيستند على تلك الحسابات وأي خلل في هذه الأخيرة سينعكس لا محالة على مدى الاقرار بتحقق فرضيات الدراسة.

سابعا: صعوبات الدراسة

ينطلق الباحث في دراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة، وهو على يقين أنّ سير البحث ستختلجه بعض الصعوبات التي عليه قهرها، وعدم إطلاق العنان لها، فما يلبث إلاّ ويواجه ما كان يتوقعه من هذه الصعوبات، بل وحتى صعوبات لم تخطر على ذهنه في وقت سابق على ظهورها.

وبذلك لم نخرج بدورنا عن هذه القاعدة، حيث تم التعرض في التنقل عبر مراحل هذا البحث لجملة من الصعوبات، التي كانت تتم محاولة التملص منها في كل مرة دون الإخلال بسلامة سير البحث العلمي والتي نذكرها في النقاط التالية:

- عدم توفر المراجع السوسيولوجية التي تعالج موضوع الرقية (في حدود اطلاعنا) وجل المراجع هي كتب في الشريعة بل حتى أنها كتب ليست لأكاديميين بل لممارسين للرقية، حيث يحاولون في هذه الكتب عرض الآيات الملائمة لكل داء وعرض بعض الحالات التي عالجوها فقط دون أن يكون هناك تأطير نظري لذلك.
- غياب الدراسات الميدانية السوسيولوجية (في حدود اطلاعنا) لموضوع الرقاة في معالجته من زاويته التنظيمية اللهم بعض الدراسات التي هي ضمن تخصص علم النفس والتي تعالج موضوع الرقية في جانبها السيكولوجي البحث أي كنمط علاجي نفسي عيادي.

إن هذين الصعوبتين جعلت من هيكلة البحث ليست بالأمر الهين في ظل غياب مادة علمية تصب في نفس توجه الدراسة والتي يكون من شأنها المساعدة في هذه الهيكلة بشكل أو بآخر.

خلاصة الفصل:

إنّ الظواهر الاجتماعية في مجملها وقائع لها خصوصيتها ولها نصيبها من التعقيد عند محاولة دراستها والإحاطة العلمية بها، مع أنّه تبقى دراستها ليست بالمستحيلة غير الممكنة وفي ذات الوقت ليست بالسهلة البسيطة، لذا كان لزاما على الباحث التقيّد المنهجي الصارم في دراسة أي واقعة مهما كان مجالها سوسيولوجيا أو غيره من المجالات التخصصية الأخرى.

وهذا ما يبرر هذا الفصل الذي حاولنا فيه طرح الاجراءات المنهجية لهذه الدراسة المنتظر منها تقديم محاولة فهم للعلاقة بين القيم والوجود الاجتماعي لعمل الرقاة.

بحيث تضمنت هذه الاجراءات طرحا خاصا لإشكالية البحث التي يعكسها التساؤل المحوري التالي: ما علاقة القيم بالوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار؟

هذه الإشكالية والتساؤلات التي تمخض عنها افتراضين تم فيهما إنشاء علاقة بين كل من القيم الميتافيزيقية والدينية وعمل الرقاة من جهة، والقيم التقليدية والنموذج التصوري للعامل في الرقية من جهة ثانية، وذلك بغية بلوغ هدف رئيسي قوامه الوقوف على الواقع الفعلي للظاهرة قيد الدراسة في ولاية أدرار تحديدا المعبرة عن ميدان دراستنا المقتصرة على 102 مفردة كونت لنا عينة البحث (عينة قصدية) التي تم اعتماد تصريحاتها في تحليل و تفسير فرضيات الدراسة.

بحيث سيتم كل ذلك بانتهاج المنهج الوصفي الملائم لمبتغى هاته الدراسة، محاولين في ذات الوقت تخطي الصعوبات البحثية المرافقة لمراحل دراسة هذا الموضوع دون الإخلال بالسلامة المنهجية والعلمية التي تتطلبها المعرفة العلمية.

الفصل الثاني

مدخل نظري حول القيم

تـــــمهيد:

إن الحياة اليومية للأفراد مبنية على مبدأ ميلهم الفطري إلى ترشيد أفعالهم وتصرفاتهم الاجتماعية، لذا هم يبحثون دائما عن دعائم تمكن من هذه الرشادة ومن هذه الدعائم نجد **القيم** (les valeurs) التي بها يُحَكِّم الفرد تصرفاته ويصقلها بمعنى معين يفهمه الوسط الاجتماعي الذي هو فيه، وما اختلاف أفعال الأفراد إلاّ دليلا على تنوع هذه القيم في مجالاتها من ناحية وفي انتظامها لديهم من ناحية أخرى، فإذن لكلٍ نسقه القيمي الخاص به الذي فيه ترتيب معين لقيمه وذلك حسب أولوياته الحياتية.

ثم إنّ موضوع القيم موضوع عميق وشاسع وتتقاسمه العديد من الإسهامات البحثية للمختصين اللذين يحاولون إبراز جزئيات معينة فيه (أي في موضوع القيم) وسيتم من خلال هذا الفصل محاولة الغوص في بعض جزئياته التي تعطينا تأصيل نظري لهذا المفهوم المحوري في دراستنا هاته.

أولا: مفـــــهوم القيـــــــم:

1) تعريــف القـــــيم:

إنَ أول شيء يواجهه الباحث في العملية التعريفية هو أنه قلّ ما تتفق التخصصات على تعريف موحد للشيء ذاته، حتى وإن كانت هذه التخصصات متقاربة في حيز الدراسة وذلك راجع إلى الزاوية المعالجة في كل تخصص دون الآخر أو لاعتبارات أخرى غيرها.

وهذا ما ينطبق أيضا على تعريف القيم الذي يختلف باختلاف الميادين المهتمة بتحديده ومن هذه الميادين علم النفس الاجتماعي، وعلوم التربية، وعلم الاجتماع وغيرها من التخصصات التي قد تمس جزئيا هذا الموضوع ولا تغوص فيه كعلم الاقتصاد مثلا في سير حديثه عن القيم الاقتصادية وأحيانا القيم الأخلاقية في التعاملات الاقتصادية وغيرها من الترابطات بين هذه المجالات والقيم.

وقبل الخوض في التعريفات الاصطلاحية المختلفة للقيم نرى ضرورة البدأ بمعرفة الدلالة اللغوية لهذا المفهوم إذ نجد أن القيمة في **التعريف اللغوي** «هي ثمن الشيء بالتقويم حيث نقول تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه»[1] وهي في تحديد آخر «تعبر عن القَدْر، فقيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر»[2] فالقيم ومفردها قيمة تعبر عن مكانة شيء ما سواء كان له قدر سامي كالقيم الفاضلة أو قدر وضيع كالقيم السلبية* مثلا.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، بيروت، ب ت، المجلد 12، باب الميم،ص 500.

[2] إبراهيم مصطفى ،المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، ج1، ط2، تركيا ،د ت،ص 768.

* هناك من يرى أن القيمة لا ترتبط بالسلبي ولا يطلق مفهوم (القيمة) إلا على الأمور الحسنة الحميدة فكل القيم هي ايجابية، أما الموضوعات السلبية لا يحق أن نطلق عليها مفهوم (القيمة)، وفي الآن ذاته نجد الكثير من يشير للقيم في جانب ايجابي وفي جانب سلبي بمعنى قد تكون قيما سلبية كما قد تكون قيما ايجابية، وربما يرجع الاختلاف هنا إلى أن فريق يتقيد بالمعنى اللغوي للمفهوم وهو القدر والمكانة أي أن يكون لموضوع القيمة قدر سامي ومكانة، وفريق ارتبط بالمفهوم الاصطلاحي للقيمة "كتصور يتشكل في ذهن الإنسان ويحتل مكانة بدوره" بحيث يختلف قدر هذه المكانة باختلاف الأشخاص مثلا الامثال لرئيس ما هناك من يراه أنه خنوعا وسلبية وهناك من يراه أنه طاعة وأمر ايجابي فيصعب الحكم على موضوع ما أنه ايجابي ايجابية مطلقة أو سلبي سلبية مطلقة.

أما **التعريف الاصطلاحي** للقيم كما يعبر عنه بعض المهتمون نجد أنها كثيرة ومتعددة، وقد قمنا بانتقاء بعضها والتخلي عن البعض الآخر الذي كنا نرى فيها عدم الدقة والحشو بالمصطلحات، كالتعريفات التي تعطي للقيمة معاني قد لا تتطابق معه تماما كقول القيم هي المعتقدات... أو القيمة هي الاتجاهات...فهي كل ما تقوم به اسقاط مفهوم القيم على مفهوم أكثر غموضا منه أو اسقاطها على مفهوم يشبهه في المعنى ولكن في النهاية لا يطابقه تمام الانطباق وعلى العموم سنحاول توضيح هذه الفروقات المفاهيمية لاحقا.

أما عن جملة التعريفات المنتقاة نجد منها من يعرف القيمة بأنها «تصور صريح أو ضمني مميز للفرد أو الجماعة يتعلق بالمرغوب فيه»[1] فالقيمة في طبيعتها حسب هذا التعريف شيء يتشكل داخليا كتصور على مستوى التفكير والوجدان وذلك لأنها تكوينات فرضية لا يمكن ملاحظتها مباشرة وإنما يمكن أن نستدل عليها من خلال التعبير اللفظي أو السلوكي للأفراد بمعنى هي موازنات يقوم بها الفرد ذهنيا في ظل معطيات تتوفر لديه و قد تتمثل هذه المعطيات مثلا في **ثقافته، وتعليمه، وتنشئته**...وغيرها من المحددات التي قد تتدخل في تفضيل قيمة عن أخرى.

وتُعرف القيم أيضا بأنها «محكات للتقويم يستعين بها الشخص في إضفاء نوع من التفضيل على أساليب معينة أو غايات بعينها»[2] أي هي الآلية التي من خلالها يستطيع الفرد تعزيز تواجد تعاملات معينة في حياته، فالفرد مثلا عندما يعلي القيمة العلميّة فإنه يُتبِع ذلك آليا الأنماط المكرسة لهذه القيمة فنجده مثلا يفضل العمل والمثابرة والاجتهاد والتحصيل وغيرها من الأمور العملية التي تجسد هذه القيمة.

---

[1] أسامة عبد الرحيم علي، القيم التربوية في صحافة الأطفال ، إتراك للنشر والتوزيع، مصر ، 2005، ص 18.

[2] كامل محمد عويضة ،علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى ،دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 177.

وعلى العموم إن ما سبق من التعريفات هي تعريفات من ميدان علم النفس* هذا الأخير الذي يركز على التشكُل الداخلي للقيم (عن طريق العمليات الذهنية) وعن عوائد القيم بالنسبة للفرد.

أما عن **التعريفات السوسيولوجية** فنجدها تُعرف القيم على أنها «اتفاقات مشتركة بين أعضاء التنظيم الاجتماعي الواحد حول ما هو مرغوب أو غير مرغوب، جيد أو غير جيد مهم أو غير مهم»[1] فالقيم تنشأ في محتوى اجتماعي إذ بها يتميز مجتمعا عن الآخر كتميز المجتمع الياباني مثلا بالقيم الروحية الأمر الذي يميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى.

إذن إن «القيم هي نتاج حياة الناس وثقافتهم في مجتمع أو طبقة ما، وتظهر إمّا بوصفها حقيقة واقعة وإما مُثلاً، والقيم تحدد وتنظم سلوك كل أعضاء المجتمع ونشاطاتهم الاجتماعية وهي تعكس المصالح الأساسية للطبقة المتقدمة والمنتصرة في المجتمع»[2] فالقيم حسب هذا التحليل الأخير للفكر الماركسي تولد نتيجة التفاعلات والاحتكاك الاجتماعي داخل المجتمع الواحد، كما قد تتولد لكل طبقة اجتماعية قيم خاصة بها ومميزة لكيانها.

وعلى العموم فالطبقة المسيطرة في الكيان الاجتماعي هي دائما من تبث قيمها في النهاية وذلك بآلياتها الخاصة بها، كما أن الماركسية تشير أن الطبقات المسيطرة في المجتمع تعمل على بث قيم تكرس تواجدها وتحفظ دوام مصالحها.

و إضافة إلى تعريف "**ماركس**" نجد تعريف كل من "**تالكوت بارسونز**" و"**اميل دوركايم**" اللذان يقولان في تعرفيهما على الترتيب أن القيم «هي عنصر في نسق

---

* تم الإشارة لتعريفات القيم من ميدان علم النفس – مع أنه الذي يهمنا هنا هو الحقل السوسيولوجي – وذلك لأنه رأينا في هذه التعريفات أنها تبرز جوانب معينة من شأنها أن تمنحنا توضيحا آخر مهم لمفهوم القيم خاصة فيما يتعلق عن طبيعتها، بالإضافة إلى أنها تتكامل مع التعريفات الاجتماعية ،وهذا دون تجاوز التعريفات السوسيولوجية كما هو موضح في ما ذكر أعلاه من التعريفات.

[1] عبد الله عقلة مجلي الخزاعلة، الصراع بين القيم الاجتماعية والقيم التنظيمية في الإدارة التربوية، دار الحامد،الأردن، 2009 ص 37

[2] أسامة عبد الرحيم علي ،مرجع سبق ذكره ، ص 19.

رمزي يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف»[1] وهي أيضا«إحدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد والخارجة عن تجسيداتهم الفردية»[2] .

من خلال التعريفات المذكورة أعلاه نجد أن القيم هي:

تصورات مجردة تتشكل ذهنيا نتيجة التجارب الشخصية للفرد وتنشئته والخصائص السوسيوثقافية لبيئته، إذ يستطيع الفرد من خلالها إعطاء معنى لحياته الشخصية وذلك من خلال التفرقة بين المطلوب والمنبوذ في أفعاله اليومية، أما على الصعيد الاجتماعي فمن خلال القيم نحافظ على انسجام البناء الاجتماعي وتناغمه وذلك باشتراك أبناء المجتمع الواحد في إعلاء قيم محددة وإبعاد قيم أخرى، كما قد تعتبر القيم عاملا لبلوغ الأهداف وذلك بتبني القيم الدافعة وترك القيم المثبطة ناهيك على أنه لا يمكن فهم دلالات فعل اجتماعي ما إلا بعد رده الى منظومة القيم المجتمعية هذا على الأقل اذا ما كنا ثقافويي* التحليل.

2) فروقات مفاهيمية مرتبطة بالقيم:

إن في المجال التعريفي للقيم واجهتنا بعض التعريفات التي تُطابق مفهوم القيم على مفهوم آخر كمفهوم المعتقد ومفهوم الاتجاه مثلا ـــ هذا كما سبق لنا الذكر ـــ في حين هناك من يعطي فروقا بينها أي بين القيم وهذين المفهومين الأخيرين (المعتقد، الاتجاه) والتي نوردها في التالي:

أ. **الفرق بين القيم والاتجاهات:** يعرف الاتجاه على أنه «استعداد مكتسب ثابت نسبيا لدى الأفراد إذ يُمكّن من تحديد استجابات الفرد حيال بعض الأشياء أو الأفكار أو الأشخاص...»[3] .

---

[1] ماجد زيود، مرجع سبق ذكره، ص 22 .

[2] نفس المرجع، ص 23.

* نسبة الى المقاربة النظرية الثقافوية والتي سيتم الاشارة اليها في نهاية هذا الفصل وهي المقاربة المتبناة في هذه الدراسة.

[3] محمد جاسم لعبيدي ،باسم محمد ولي، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة، الأردن ، 2009، ص 141.

فإذن من خلال هذا التعريف يكون«مفهوم القيم أعم وأشمل من مفهوم الاتجاه ...وذلك لأن القيمة قد تتضمن مئات الاتجاهات الفرعية ...فمثلا قيمة العلم تتجسد عند الفرد في مجموعة من الاتجاهات منها: الاتجاه نحو القراءة، والاتجاه نحو المدرسة، والاتجاه نحو المعلم، والاتجاه نحو طلب العلم، والاتجاه نحو البحث ... وغيرها فالاتجاه هو الوحدة الأساسية التي تتكون منها القيمة»[1].

والجدول الآتي نوضح من خلاله الفرق بين المفهومين من خلال خصائص عدّة.

جدول رقم (01) :الفرق بين القيمة والاتجاه.

الخاصية	الاتجـــاه	القيـــمة
درجة التجريد	أقل تجريدا	أكثر تجريدا
الثبات	أقل ثباتا فهو أسرع تغيرا	أكثر ثباتا تتغير ببطء
التكوين	يتكون بسرعة فهو لا يحتاج لخبرات كثيرة	تتكون ببطء لحاجتها لخبرات ومعرفة كثيرة
درجة العموم	يعبر عن موقف أو موضوع واحد أو عدد قليل من المواقف	لها صفة العمومية فهي تعبر عن أحكام عامة تعتمد على مجموعة من الاتجاهات
الموافقة الاجتماعية	قد لا يحتاج لموافقة اجتماعية فهو مجرد ميل لفعل ما مرغوب حول موضوع معين	تتطلب موافقة اجتماعية لإقرارها فهي تعبر عن فعل اجتماعي من حيث أهدافه وموضوعه
درجة الوعي	يمثل وعيا من جانب محتضنيه وهو غير ولا يصلح لأحكام نهائية	تمثل وعيا جماعيا لمحتضنها فهي ترسم لهم الأحكام والمعايير المتصلة بنشاطاتهم وتفاعلاتهم

المصدر:أسامة عبد الرحيم علي،مرجع سبق ذكره، ص 24.

[1] **نفس المرجع ،ص 29.**

ب.**الفرق بين القيم والمعتقدات:**

يذهب البعض إلى اعتبار القيم مجموعة من المعتقدات يتمسك بها الأفراد والمجتمع ويحكمون من خلالها على الأشياء بالقبح أو الحسن ومن التعريفات المقدمة في هذا المجال ما يأتي :

❖ القيم هي مجموعة من **المعتقدات** يعتنقها أفراد المجتمع تتعلق بما هو حسن أو قبيح أو ما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه .

❖ القيم هي **المعتقدات** والاتجاهات والمشاعر التي يفتخر بها الفرد ويعلن عنها و التي اختيرت بتفكر من بين عدة بدائل والتي تُطبق بصورة مكررة .

في حين يفرق بعض الباحثين بين القيم والمعتقدات كما يلي :

❖القيم تشير إلى الحسن مقابل السيئ أما المعتقدات فتشير إلى الحقيقة مقابل الزيف.

❖ المعارف في القيم تتميز عن باقي المعارف الأخرى بالخاصية التقويمية إذ يختار الفرد في ضوء تقويمه ما هو مفضل أو غير مفضل بالنسبة له فهي ليست مرادفة للمعتقدات وإنما تدور حول المعتقدات التي يتبناها الفرد[1] فقد يستعمل الفرد معتقداته لتبني قيما وترك قيم أخرى.

من ذلك نجد أن هناك من يطابق بين القيم والمعتقدات والاتجاهات وهناك من يفصل بينها إلا أنّ الذي لا يمكن الاختلاف فيه هو أن هناك جزء من التداخل بين هذه المفاهيم، بحيث قد تعتبر جزء من تكون المفهوم أي أن الاتجاهات والمعتقدات تساهم في تشكل القيم وقد تُقدم أحيانا نفس الوظيفة، الأمر الذي يخلق هذا

[1] **محسن الكناني، «القيم والنسق القيمي....التعريف والمفهوم »، كلية الإعلام بجامعة بغداد ،بغداد ،2009 ،ص 11.**

الارتباك في الفصل النهائي بين هذه المفاهيم لأن هذا الفصل قد نراه أحيانا مستحيلا كونها تساهم في تشكل بعضها ويعزز بعضها بعضا.

ثانيا: مفهوم النســـق القيـــــــــــــمي:

1) تعريف النسق القيـــمي:

إن حياة الأفراد لا تبنى على قيمة واحدة يعتقدون بها ويمارسونها، بل تضم حياتهم جملة من القيم التي هي ضمن مجالات عدة من حياتهم، وجملة هذه القيم تكوِّن ما يسمى بالمنظومة القيمية لدى الفرد، بحيث تنتظم هذه القيم ضمن مستويات يضعها الفرد ذاته، الأمر الذي يسمح بتشكل ما نصطلح عليه بالنسق القيمي للأفراد.

حيث يقصد بالنسق القيمي «بمجموعة قيم الفرد أو المجتمع مرتبطة وفقا لأولوياتها فهو إطار على هيئة سلم تتدرج مكوناته تبعا لأهميتها»[1] ويقصد به أيضا «ذلك الترتيب الهرمي لمجموعة القيم التي يتبناها الفرد ...ويُحكّم بها سلوكه»[2].

نجد في هاذين التعريفين إشارة **"للترتيب"** داخل نسق القيم بحيث يُعلي الفرد قيماً على قيم أخرى مع أنه «هناك من يفرق بين سلّم القيم الذي يُعنى بترتيب الإنسان لقيمه وبين نسق القيم الذي ينطلق من تصور مؤداه أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى»[3] لكننا وحسب منظورنا نجد أن مفهوم النسق يقتضي وجود منحى معين (سلّم) تتموضّع وفق تدرجاته مكونات هذا النسق، فلا يمكن وضع حدود فاصلة بين ترتيب القيم والنسق القيمي وكأنهما شيئان متباعدان

[1، 2] عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم ، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 71.

[3] أسامة عبد الرحيم علي ،مرجع سبق ذكره، ص 21.

تماماً، بل على العكس لا يمكن الحديث عن نسق القيم دون الحديث عن ترتيبها ولا عن الترتيب دون الحديث عن النسق ذلك لأن من خصائص القيم أنها تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا فتهيمن بذلك بعض القيم على غيرها.

.بمعنى أن قيما ما تهيمن على باقي القيم عند الفرد وتحتل الدرجة الأولى وقمة النسق القيمي لديه، وتكون في مركز الصدارة في حياته لأنها القيمة العليا من وجهة نظره وحسب تقديره للأمور وتقويمه للأشياء، فمن الأفراد من تسيطر عليهم القيمة السياسية مثلا، ومنهم من تسيطر عليهم القيمة الاقتصادية وهكذا، والقيمة العليا عند الفرد تسيطر على باقي القيم وتكون سيطرتها القوية عاملا من عوامل تكامل سلوك الفرد .بمعنى أنها توجه القيم الأخرى»[1] فالفرد سوءا وعى بذلك أم لم يعي تحكُمه القيم التي تنتظم عنده حسب أهميتها ودرجة إلحاحها بحيث تقل درجة الإلحاح كلما تدنى مستوى ترتيب القيمة ونوضح ذلك من خلال الهرم التالي:

شكل رقم (02): تدرج القيم داخل النسق القيمي.

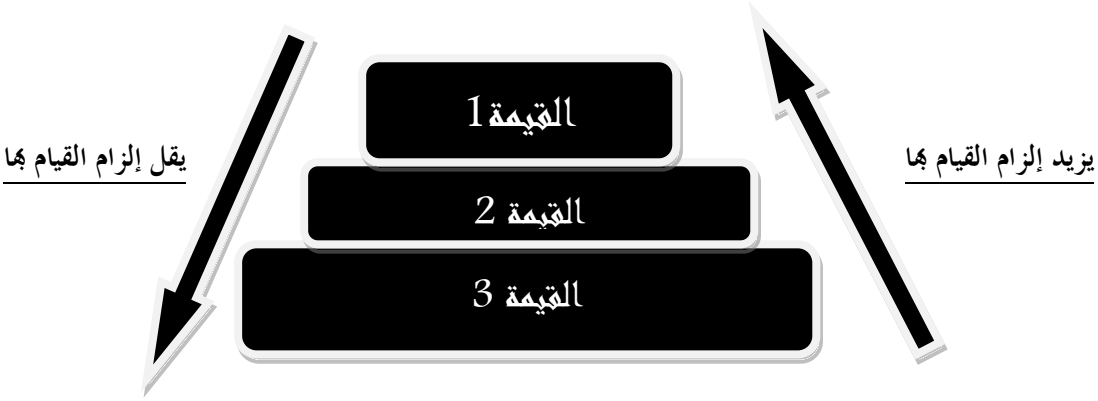

المصدر:اعداد الباحث.

[1] عبد الكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية ،دار الشروق،عمان ،2007، ص 102 .

2) مكـــــونات النســـق القـــيمي:

إنَ تشكل نسق القيم يقتضي وجود دعائم مسؤولة على قيامه وغالبا ما تُحَدد في هذا الاطار ثلاث دعائم أو مكونات له هي :المكون المعرفي، المكون الوجداني والمكون السلوكي.

أ. **المكـــون المعرفي**: وهو متعلق بالجانب الذهني «ويقصد به ما لدى الفرد من خبرات ومعلومات يكون قد كوّنها حول موضوع معين ...ويتمثل هذا المكوّن من معرفة صاحب القيمة للطريقة الصحيحة للسلوك أو التصرف المطلوب وكذلك النواتج التي عليه أن يكافح من أجل الوصول إليها»[1] فيكون الفرد في هذه المرحلة **يتأهب** لمرحلة تبني نسقا قيماً معينا انطلاقا من العملية الذهنية القائمة على الموازنة بين اختيارات متاحة له «أي أنه يقوم بانتقاء القيم من البدائل بحرية كاملة، بحيث ينظر الفرد في عواقب كل بديل ويتحمل مسؤولية انتقائه بكاملها ....ويمر هنا بثلاث خطوات هي: أولا محاولة استكشاف البدائل الممكنة وثانيا النظر في عواقب كل بديل، وأخيرا عملية الاختيار الحر»[2] وبناءاً على عملية الاختيار تترتب القيم آليا في النسق القيمي وبذلك يبدأ النسق القيمي في التشكل.

ب. **المكون الوجـــداني**: وهنا نتحدث عن العاطفة اتجاه القيم «والتقدير الذي ينعكس في التعلق بالقيم والاعتزاز بها والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في إعلانها أمام أفراد المجتمع»[3] فبعد أن تترتب القيم ويتشكل النسق القيمي لدى الفرد يحتل ذلك النسق مكانة لديه.

---

[1] عبد الله عقلة ، مرجع سبق ذكره ، ص 37 .

[3،2] عبد الكريم اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص 83 .

فالإيمان بتلك القيم التي انتقاها يجعله يكُن لها نوع من التعلق الوجداني والفخر بها وتحتل حيزا من مشاعره وعواطفه «إذ يتضمن المكون الوجداني للنسق القيمي نوع من الانفعال لموضوع القيمة بالميل إليها أو النفور منها وما يصاحب ذلك من سرور وألم وما يُعبر عنه من حب وكره أو استحسان أو استهجان وكل ما يثير المشاعر الوجدانية والانفعالات التي توجد لدى الشخص نحو موضوع القيمة»[1].

ج. **المكون السلوكي** : وهنا نتحدث عن التمثل للقيم وبروزها في فعل ظاهر مجسد في مجمل السلوكات الاجتماعية «أي تحول القيم الى ممارسة واقعية ونشير هنا إلى الممارسة الفعلية لمضمون نسق القيم وإخراج المضامين القيمية في التفاعل الحياتي والاجتماعي»[2].

فالأفراد قد لا يدركون أن أفعالهم مُحكّمة أساسا بما يتبنونه داخل نسقهم القيمي وقد يحدث ذلك دون وعي أو بوعي، بمعنى قد يقوم الفرد بأفعال جمة ويعتقد أنه قام بها لأن الحياة طلبت ذلك، ولكن الصحيح أن وراء كل فعل منظومة قيم سمحت بصدوره، فالجانب السلوكي هنا مهم لأنه لا معنى للنسق القيمي عندما يبقى حبيس الفكر أو الوجدان بل الأصل هو ترجمة القيم إلى ممارسات حياتية.

ثالـــثا: خصـــــائص القيم:

قد تختلف القيم في درجة الزاميتها وموضوعاتها إلا أنه تُوحدها جملة من السمات التي تعطيها معنى واحد هو معنى القيمة ونذكر من هذه الخصائص ما يلي:

❖ **الذاتيـــة:** والمقصود بذاتية القيم «أنها تتعلق بطبيعة الفرد وتشمل رغباته وعواطفه وميولاته...وهذه الخبرات غير ثابتة وتتغير من لحظة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر»[3] فاختلاف الأفراد في جوانب عدة كاختلاف البيئة الجغرافية،

[1،2] عبد الله عقلة، مرجع سبق ذكره، ص 38.

[3] نورهان منير حسن فهمي ،القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي، الأزاريطة، 1999،ص 100 .

والبيئة الأسرية، ومؤسسات التنشئة التي مروا بها، والمستوى الثقافي والمزاج...وغيرها من شأنها أن تجعل لكل فرد حيز من التفكير خاص به فقد يُعلي قيماً معينة لا يعليها غيره وهكذا، وقد نجد هذا الاختلاف حتى بين الإخوة والأكثر من ذلك حتى بين التوائم .

❖ **النـــسبية**: ونعني هنا «أن القيم تختلف باختلاف الزمان والمكان والإنسان فما يراه جيل بأنه قيمة ايجابية قد يراه جيل آخر بأنه قيمة سلبية وهكذا»[1].

فهنا وكما سبق لنا الشرح أن القيم لا تكون سلبية سلبية مطلقة ولا ايجابية ايجابية مطلقة فقد يختلف الأفراد بين تصنيف ما هو ايجابي وما هو سلبي، فالمسألة نسبية إلى حد ما، فقد أرى في قيمة العمل أنها ايجابية ويجب التحلي بها وقد يراها آخرون عكس ذلك، فكما نعلم عن بعض المجتمعات كانت تحتقر العمل خاصة اليدوي منه بينما كان يجله آخرون، فكثير ما ترتبط القيم بجوانب معينة «كالمستويات الاجتماعية والاقتصادية فهناك نظام اجتماعي أو ثقافة معينة تدعم قيما عن غيرها وهكذا»[2] وهذه الخاصية نجد أن الثقافويين قد ركزوا عليها كأساس منهجي في تحليلاتهم النظرية.

❖ **الاكتساب**: فلا ترتبط القيم بالوراثة وإنما يكتسبها الأفراد عبر التنشئة الاجتماعية بوسائطها المختلفة وعن طريق التجارب الذاتية للفرد «ولذلك هي قابلة للتقييم فهي حصيلة خبرة وتفاعل مع الجماعة»[3].

❖ **التـــداخل**: «فالقيم مترابطة ومتداخلة ...حيث أنها تتضمن الجوانب المعرفية والوجدانية والسلوكية كما أنها متداخلة من حيث التطبيق ...»[4] .

---

[1] ماجد زكي الجلاد ،تعلّم القيّم وتعليمها ، دار المسيرة ،ط2 ،الأردن ،2007، ص 37 .

[2] حسان هشام ، مدخل لعلم الاجتماع التربوي، مطبعة النقطة، ب ب،2008 ،ص 73.

[3] عبد الله عقلة،مرجع سبق ذكره ، ص 38.

[4] نفس المرجع ، ص 39.

فالقيم متداخلة سواء من حيث جوانب تكوينها بحيث يصعب تحديد القيمة كذا هل هي نتاج خبرة معرفية أو سلوكية أو غيرهما، وهي متداخلة أيضا من حيث التطبيق أو مجال انتماءها فلو نتحدث عن قيمة العمل مثلا هل هي قيمة اقتصادية؟ أم دينية؟ أم اجتماعية؟ فهنا يكمن التداخل المجالي.

❖ **التجريد**: «فللقيم معان مجردة ...فهي تحمل معنى ذهني غير محسوس»[1].

ومن ذلك تتجسد القيم بداية في ذهن الإنسان بعد اقتناعه بها ومن ثمة ستنعكس على سلوكاته، فتظهر بذلك مظاهر القيمة على هذا الفرد، و هذه المظاهر المرتبطة بتبني الفرد لقيمة معينة تُبين أنه يعلي قيمة كذا عن قيمة أخرى تختلف عنها، فمثلا عندما نرى من شخص أنه يميل إلى إنشاء المشروعات الاجتماعية، والتبرع والممارسات الخيرية نستطيع أن نقول مثلا أنه يعلي القيمة الاجتماعية، ونفس الشيء عندما نرى من أحد أنه يكرس نفسه للعلم والنقاش والتأليف نستطيع أيضا أن نقول أنه يعلي القيمة النظرية أو العلمية وهكذا.

❖ **الإنسانية**: أي أن القيم ترتبط بالعنصر البشري فمنشأها أصلا يحتاج إلى العقل المفكر لتصور القيمة الأمر الذي يتوفر للإنسان دون غيره من الكائنات.

❖ **المصدر الخارجي**: فهي ليست من صنع إنسان **بمفره**، أي لا يكون لكل فرد قيما لا علاقة لها بقيم الآخرين «فالقيم ليست من صنع أفراد ولكنها من صنع المجتمع وخلقه وعقله الجمعي»[2] كما قد يستمدها الفرد من مصادر مختلفة « فقد يستمدها من فلسفة أو تصور أو عقيدة أو دين»[3] وكلها مصادر خارجية عنه.

❖ **الـــضديـــة**: تمتلك القيم صفة الضدية فلكل قيمة ضدها مما يجعل لها قطبا ايجابيا وقطبا سلبيا، والقطب الايجابي هو وحده الذي يُشكل القيمة في حين يمثل

---

[1] ماجد زكي الجلاد، مرجع سبق ذكره، ص 37.

[2] أسامة عبد الرحيم علي، مرجع سبق ذكره، ص 26 .

[3] عبد الله عقلة ،مرجع سبق ذكره ،ص 38.

القطب السالب ما يمكن أن نسميه ضد القيمة[1]،أي أن القيمة لا تكون إلا ايجابية وهذا كما سبق لنا الذكر أن هناك من لا يطلق على الأمور السلبية قيماً، ومن هذا المنطلق نشير إلى قيمة مثل المثابرة وضدها التواكل والكسل، فلا نطلق هنا حسبهم مصطلح ايجابية على القيمة لأنها تتضمنه بذاتها فهي أصلا لا تكون إلا كذلك.

❖ **الثبات النسبي**: حيث تتميز القيم بصعوبة اقتلاعها وصعوبة تغيرها[2]، وذلك لأن الفرد بعد أن ينتقي قيمه يتمسك بها ويعلي من شأنها، ويسعى إلى تجسيدها في سلوكاته إذ بمرور الزمن يجد نفسه تطبع بها وأصبح سلوكه محتكما بها، لذا يصعب تغيرها بعدها أو التخلي عنها.

رابعا: تصنيفات القيم : تتعدد تصنيفات القيم بتعدد معايير التصنيف وأبعاده والأبعاد التي وجدنا المؤلفون يتفقون عليها (في حدود إطلاعنا) تتجسد في ست نقاط هي:

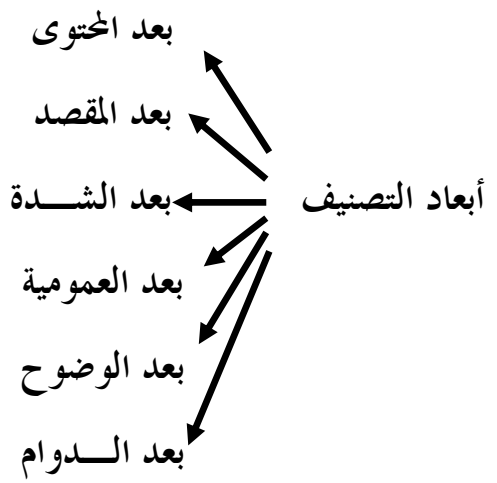

[1] ماجد الزيود ، مرجع سبق ذكره، ص 24 .

[2] محمد السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية ، ج4،ط4، بيروت ،دت،ص 229.

وقد وجدنا عند إطلاعنا على التفرعات المنبثقة من كل بعد أو معيار للتصنيف أنّ الأنسب لدراستنا هو **بعد المحتوى*** وذلك لكونه يتيح تصنيف يشمل مجمل المواضيع المختلفة الدينية الجمالية، الاقتصادية...وغيرها، كما أنه يعرض تفصيلا واضحا ومهيكلا عن القيم، لهذا سيتم تركيزنا في عرض تصنيفات القيم على تصنيف بعد المحتوى الموظف أساسا في هذه الدراسة وذلك مع الإشارة المختصرة لباقي الأبعاد الأخرى.

1) **بعد الـــشدة** : والمقصود هنا درجة الإلزام التي تفرضها القيمة على الفرد وهناك في هذا الإطار ثلاث أنواع :

❖ القيم الملزمـــة: التي يجب الالتزام بها ويكون جزاء من يخالفها شديدا، وهي غالبا ما تتعلق بالمصلحة العامة ومنها القيم المتعلقة بالمعتقدات الدينية.

❖ القيم التفضيلية: وهي القيم التي يُفضل أن تكون ولا يكون جزاء من يخالفها شديدا أو صارما ومن أمثلتها إكرام الضيف، والإحسان إلى الجار وغيرها.

❖ القيم المثـــالية: وهي القيم التي يرجى أن تكون والتي يتطلع الناس إلى تمثلها في سلوكهم ولكن يشعرون بصعوبة تحقيقها بشكل دائم وبصورة كاملة ومنها الزهد في الدنيا والإيثار[1].

2) **بعد العمومية**: والمقصود هنا الشيوع والانتشار وتضم:

❖ قيم عامة: وهي القيم التي يعم انتشارها في المجتمع كله بصرف النظر عن ريفه وحضره وطبقاته، وفئاته المختلفة مثل أهمية الدين والزواج والعفة...وغيرها.

---

* مع أنه تم تبنينا لهذا المعيار في التصنيف إلا أنه تم تكييفه مع ما يتناسب ومنحى الدراسة، وتم الاكتفاء بنوعين من القيم (قيم دينية وقيم ميتافيزيقية) وهي قيم مصنفة وفق معيار المحتوى :أنظر مخطط الدراسة، هذا دون أن نغفل باقي التصنيفات الأخرى خاصة التصنيف على أساس الجِّدة إلا أن الغالب في التحليل هو التصنيف على أساس المحتوى.

[1] ماجد زكي ،مرجع سبق ذكره ،ص 50 .

❖ قيم خاصة: وهي المتعلقة بمواقف أو مناسبات خاصة أو موضوع محدد أو طبقة أو جماعة أو دور اجتماعي خاص مثل القيم المرتبطة بطقوس الزواج مثلا[1].

3) **بعد الوضوح** : هذا البعد يقسم القيم إلى صنفين:

❖ قيم ظاهرة: أو صريحة أي التي يصرح بها الفرد ويعلن عنها بالكلام.

❖ قيم ضمنية: وهي التي تستخلص ويستدل على وجودها من ملاحظة الميول والاتجاهات والسلوك الاجتماعي بصفة عامة مثل القيم المرتبطة بالسلوك الجنسي[2] كما قد تصرح بعض المؤسسات ببعض القيم وتدس فيها قيم أخرى ضمنية غير ظاهرة للعيان لأسباب معينة تملك تبريراتها، وهذا مع العلم أن القيم الضمنية لا تكون بالضرورة سلبية أو ماكرة بل قد تكون خيِّرة أيضا.

4) **بـــعد الدوام** : وهناك صنفين أيضا:

❖ قيم عابرة: وهي القيم العارضة التي لا تدوم طويلا وإنما توجد لوقت قصير مؤقت لارتباطها بحدث ما أو ظاهرة معينة تزول بزوالها مثل قيمة معينة مرتبطة بموضة ما أو سلوك معين سرعان ما يتلاشى.

❖ قيم دائمة: هي التي تدوم طويلا ويتناقلها الناس من جيل إلى جيل وتتخذ صفة الإلزام والتقدير كالصدق والأمانة[3].

5) **بعد المقصد أو الغرض**: نجد قسمين من القيم:

❖ القيم الغائية: وهي عبارة عن غايات في ذاتها وتعرف بالقيم النهائية مثل الخلاص الأخروي.

❖ القيم الوسيلية: وتعرف أيضا بالقيم **الوسيطية** وهي تمثل أشكال السلوك الموصلة لتحقيق هذه الغايات النهائية كالصلاة وباقي العبادات.

---

[1] ،[2] **حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي، دار الكتب الحديثة ، الإسكندرية ،2000،ص 160.**

[3] **ماجد زكي ، مرجع سبق ذكره، ص 51.**

6) **بعد المحتوى**: ويشير بعد المحتوى إلى مجال مضمون القيمة «ونجد هنا تصنيف "**سبرنجر**" الذي قدمه في كتابه "**أنماط الرجال**" حيث تكلم عن ست أنواع من القيم هي: القيم النظرية، القيم الاقتصادية، القيم الجمالية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية والقيم الدينية»[1].

نجد من هذا أن تصنيف "**سبرنجر**" حاول التركيز على موضوع القيمة والفصل بينها على هذا الأساس وهي كما يلي:

❖ **القيم النظرية**: ويعبر عنها اهتمام الفرد وميله إلى اكتشاف الحقيقة فيتخذ اتجاها معرفيا من العالم المحيط به، ويسعى وراء القوانين التي تحكم هذه الأشياء بقصد معرفتها، ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة موضوعية نقدية ومعرفية، ولا يقتنعون إلا بالملاحظة والتفكير وغايته هي البحث عن المعرفة وتنظيمها، ويكونون عادة من الفلاسفة والعلماء[2].

❖ **القيم الاقتصادية**: يقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع وهو في سبيل هذا الهدف يتخذ من العالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الإنتاج والتسويق واستهلاك البضائع واستثمار الأموال، ولذلك نجد أنّ الأشخاص الذين تتضح فيهم هذه القيم يمتازون بنظرة عملية تقوِّم الأشياء والأشخاص تبعا لمنفعتها، وهم عادة يكونون من رجال المال والأعمال[3].

❖ **القيم الجمالية**: ويعبر عنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق أو التنسيق، وهو ينظر إلى ذلك العالم المحيط به نظرة تقدير من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء فنانين مبدعين وإنما لديهم القدرة على التذوق للجمال والفن[4].

---

[1] فوزية دياب ،القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت ،1980، ص 74.

[2] نورهان منير حسن فهمي، مرجع سبق ذكره ،ص 133 .

[3] نفس المرجع ، ص .74

[4] نورهان منير حسن فهمي ، المرجع السابق، ص 134.

❖ **القيم الاجتماعية:** وتتضمن الاهتمام بالناس ومحبتهم ومساعدتهم وخدمتهم والنظر إليهم نظرة ايجابية كغايات لا وسائل لتحقيق أهداف شخصية، وتجسد نمط الفرد الاجتماعي[1].

❖ **القيم السـياسية:** ويقصد بها اهتمام الفرد وميله للحصول على القوة، فهو شخص يهدف إلى السيطرة، والتحكم في الأشياء أو الأشخاص، ولا يعني هذا أنّ اللذين يمتازون بهذه القيم يكونون من رجال الحرب أو السياسة، فبعضهم قادة في نواحي الحياة المختلفة وهم يتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم والتحكم في مصائرهم[2].

❖ **القيم الدينـية:** وتتضمن اهتمام الفرد بالمعتقدات الدينية والقضايا الروحية والغيبية والبحث عن حقائق الوجود وأسرار الكون[3].

وكل هذه القيم لا تكون منفصلة بل قد تتواجد كلّها أو معظمها في الشخص الواحد إلاّ أن ترتيبها يختلف من شخص لآخر، فقد تسود لدى أحدهم القيم الدينية وآخر القيم الاجتماعية وهكذا .

والجدول التالي يحاول تلخيص مجمل المعايير المذكورة أعلاه بتصنيفاتها المختلفة.

[1،3] ماجد زكي ، مرجع سبق ذكره، ص 48 .

[2] فوزية دياب ، مرجع سبق ذكره ، ص 75 .

جدول رقم (02):تصنيفات القيم.

الأساس	التصنيف	المعنى	المثال
المحتوى	النظرية	اهتمام الفرد وميله الى اكتشاف الحقيقة	الفلاسفة،العلماء
	الاقتصادية	اهتمام الفرد وميله الى ما هو نافع ويتخذ من البيئة المحيطة به وسيلة للحصول على الثروة عن طريق الانتاج والتسويق.	رجال المال والأعمال
	الجمالية	اهتمام الفرد بما هو جميل ومتوافق	الفنانون
	الاجتماعية	اهتمام الفرد بغيره من الناس ومساعدتهم	المصلحون الاجتماعيون
	السياسية	اهتمام الفرد بالنشاط السياسي والعمل السياسي	القادة
	الدينية	اهتمام الفرد وميله الى معرفة ما وراء العلم الظاهري ومعرفة أصل الانسان ومصيره	رجال الدين
المقصد	وسائلية	تعتبر وسائل لغايات أبعد	الترقي
	غائية	تعتبر غاية في حد ذاتها	حب البقاء
الشدة	ملزمة	ما ينبغي أن يكون	تنظيم العلاقات بين الجنسين
	تفضيلية	ما يفضل أن يكون	اكرام الضيف
العمومية	عامة	يعم شيوعها وانتشارها في المجتمع كله	أهمية الدين،الزواج
	خاصة	متعلقة بمواقف معينة خاصة أو طبقة او جماعة خاصة	الأعياد
الوضوح	ظاهرة	التي يصرح بما ويعبر عنها بالكلام	الخدمة الاجتماعية
	ضمنية	يستدل على وجودها من ملاحظة الميول والاتجاهات	السلوك الجنسي
الدوام	دائمة	تبقى زمنا طويلا وتنتقل من جيل الى آخر	التقاليد
	عابرة	وقتية عارضة قصيرة سريعة الزوال	الموضة

المصدر:خليل عبد الرحمان المعايطة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، ط3، عمان، 2010،ص 182.

خامسا: أهمية القيـــــــــــــــم:

إن الانطلاق من فكرة توجيهيّة القيم للسلوك يعطي القيم كلّ الأهميّة وذلك لأن سلوكات الفرد في معظمها تتأثر و تؤثر في الوسط الاجتماعي، وبذلك فسدادها يعني توازن هذا الوسط الاجتماعي والعكس بالعكس.

وأهمية القيم يمكن أن نفصلها إلى جزأين هما أهميتها بالنسبة للفرد ذاته وأهميتها بالنسبة للمجتمع.

1) **أهميّة القيم بالنسبة للفرد**: يعتبر الفرد هو المنفذ المباشر للقيم إذ بدونه لا يمكن الحديث أساسا عن القيم، فوجوده ألّح على ضرورة وجود هذه الأخيرة، لذلك وكما أشرنا في السابق أن من خصائص القيم "**الإنسانية**" أي ارتباطها بالأفراد والمنطق الفردي لا يُنفذ في الغالب أي تصور أو تصرف كان إلاّ إذا ارتجى منه عوائد سواءا كانت مادية أو معنوية وهذا ما تقدمه القيم للفرد الأمر الذي نشير إليه من خلال أهمية القيم على الصعيد الفردي المحددة في النقاط الآتية:

❖ تعمل القيم على تحديد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة، فالقيم منظِمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحلي به وفيما ينبغي تركه والابتعاد عنه، ولكي نُكسب الفرد السلوكيات الحسنة ونبعده عن السلوكيات السيئة فإنه ينبغي أن نعزز لديه منظومة القيم الإنسانية الفاعلة والصحيحة [1].

❖ تسهل القيم على الفرد التنبؤ بسلوكات غيره الأمر الذي ييسر التعامل معهم في ضوء ما لديهم من قيم [2].

[1] ماجد زكي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 41، 42 .

[2] عبد الكريم علي اليامانى ، مرجع سبق ذكره،ص90 .

❖ القيم حماية للفرد من الانحراف، فالقيم تحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، فبدون المنظومة القيمية يكون الإنسان عرضة للانحراف[1] وهذا طبعا بتبني القيم السوية المكرسة لذلك.

❖ تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة، وتبعده عن السلبية، فالقيم الفاضلة هي التي تجعل لحياتك معنى وجدوى ...وهي التي تعزز ثقتك بنفسك وتقديرك واحترامك لها ...فالفاعلين في الحياة والناجحين فيها لهم قيم متميزة عن غيرهم من العاجزين والفاشلين كالجِّد والجرأة والإصرار...وغيرها[2].

فالقيم بهذا تصقل شخصية الفرد وتشعره بالأمن والثقة لأنه يشعر أن لتصرفاته مرجعية معينة يثق فيها وهي متمثلة في قيمه التي يتبناها، كما تعطي القيم للفرد فرصة للاستقلالية عن غيره بحيث يتبنى ما يراه ملائما من القيم أو ما يقتنع به منها. وكما للقيم عوائد على المستوى الفردي نجد لها عوائد على الصعيد الجمعي نعرضه في الآتي:

2) أهمية القيم بالنسبة للمجتمع:

❖ تحفظ القيم للمجتمع هويته وتَميزه، ذلك أنّ القيم تشكل محورا رئيسيا في ثقافة المجتمع وهي الشكل الظاهر من هذه الثقافة، و التي تبرز في أنماط السلوك الإنساني الممارس في هذا المجتمع، ونظرا لتغلغل القيم في كافة جوانب الحياة فإن هوية المجتمع تتشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة فيه...فالقيم تظهر كعلامات وشواهد واضحة لتميّز المجتمعات عن بعضها[3].

---

[1] محسن الكناني،مرجع سبق ذكره.

[2] ماجد زكي ، المرجع السابق، ص 43.

[3] نفس المرجع ، ص 46.

❖ تساعد القيم المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديدها للاختيارات الصحيحة وذلك يسهل على الناس حياتهم ويحفظ للمجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد[1].

فالقيم تسهل التعامل الاجتماعي بما تمنحه للفرد من فرصة للتقدير والتفضيل واختيار الأنسب فهي تساهم في خلق التوافق الفردي وكذا الاجتماعي.

سادسا: القيم والمقاربة النظرية الثقافوية

1) **مفهوم النظرية الثقافوية**: إنه لمن الواضح من تسمية النظرية أنها تعتبر الثقافة بؤرة اهتمامها هذا مع العلم أن الاهتمام النظري بالثقافة يقتضي احترام التناسقية النظرية على اعتبار هذه الأخيرة أي النظرية «هي عبارة عن نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة»[2] والظاهرة قيد الاهتمام في هذه النظرية كما سبق الذكر هي الثقافة بما تحمله من جزئيات وما تتركه من آثار اجتماعية.

وقد نشأت هذه النظرية في "**شيكاغو**" بحيث «قد حلّ محل مدرسة شيكاغو علماء اجتماع الآتي معظمهم من كولومبيا ...واللذين لم يعد المهم عندهم تأثير البيئة المادية أو التقنية فالعامل البيئي حسبهم يتلاشى أمام العامل الثقافي والمشكلة الجوهرية حسبهم هي الشخصية والتنشئة الاجتماعية التي تحوّل كل فرد من أجل تكييفه مع المجتمع»[3].

«وتُعرف هذه النظرية أيضا باسم نظرية "**الثقافة والشخصية**" إلاّ أن اسهاماتهم في البداية كانت تنحصر في دراسة الثقافات البدائية، وكانوا يستخدمون المنهج المقارن

---

[1] ماجد الزيود ،مرجع سبق ذكره، ص 27.

[2] عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة ،الكويت، 1981، ص 10.

[3] مادلين غراويتز ، مناهج العلوم الاجتماعية،تر:سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993،ص 167.

كما تميز مدخلهم في الدراسة بالجمع بين الأساليب الأنتروبولوجية والسيكولوجية في البحث»[1].

ومما يمكن ذكره أن هذه النظرية قبل أن تطرح كنظرية للمعالجة السوسيولوجية ضمن حقول علم الاجتماع كان لها امتداد في المجال الأنتروبولوجي أي أن انطلاقتها كانت من علم الأنتروبولوجيا وتحديدا الأنتروبولوجية الثقافية التي تهتم بالثقافة كبناء مميز للمجتمعات.

وكما هو معروف أن هناك توأمة واضحة بين علم الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع خاصة عندما نتحدث عن الأنتروبولوجيا الاجتماعية والأنتروبولوجيا الثقافية الأمر الذي كرس **امتداد الثقافوية نحو علم الاجتماع**.

بذلك فالثقافوية هي نظرية تحاول تحليل وتفسير البعد الثقافي للممارسات الاجتماعية وتحديد خصوصية كل نمط ثقافي وكيف تحاول الثقافة بما تحمله من أجزاء (عادات وتقاليد، **قيم**،الدين...) توجيه الفعل الاجتماعي على اختلاف ميادينه.

و الجدير بالذكر أنه قد كانت لجهود الاطار السوسيولوجي دور في تقديم تحليلات عمقت من مفهوم النظرية الثقافوية وأثرته بكم مفاهمي والتي نذكر منها: الثقافات المشتقة الثقافة الفرعية، الثقافة المضادة، التثاقف، الانسان الهامشي، الهوية التنظيمية وغيرها من المفاهيم الأخرى.

2) **أهم قضايا (افتراضات) النظرية الثقافوية**: تعد قضايا النظرية بمثابة الحدود التي ترسمها لنفسها حتى تعطي للمجتمع طرح مميز عن غيرها من النظريات الأخرى

[1] غريب سيد أحمد وآخرون ،المدخل في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،2002 ، ص331.

وهنا مكمن الأهمية في ضرورة التحديد الدقيق لتلك الافتراضات، ومن جملة قضايا النظرية الثقافوية يمكن ذكر مايلي:

❖ ينطلق كل الثقافوين من تعريف **"ادوارد تايلور"** للثقافة ويرون أن هذا الأخير قد ساهم في توحيد جهودهم باقتراحه التعريفي والذي يقول فيه «**أن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة**»[1].

❖ تنطلق النظرية الثقافوية من الثقافة لتعود اليها بحيث لا تبني افتراضاتها إلا على البعد الثقافي مهما كان الموضوع بيولوجيا أو اقتصاديا أو سياسيا أوغيرها فهي لا تقبل إلا الافتراضات الثقافية لتصل الى تحليلات ثقافية أيضا، فالثقافوية لا ترى الى بمنظار الثقافة وهو منظارها الوحيد الذي لا يتخلى عنه كل محلليها.

❖ تنطلق الثقافوية أيضا من فكرة أسبقية الثقافة على الفاعل الاجتماعي[2]، فالثقافة هي التي تخلق أدوار الفاعلين.

❖ ترى هذه النظرية أن الثقافة تنتقل عن طريق التربية والتعليم إلى أي فرد جديد قادم بعضويته الى الجماعات المحلية، ويرون أن تلك المراحل التثقيفية تصبح ذات فعالية قوية في نقل التراث الثقافي وتكوين الشخصيات النموذجية المحلية التي يمكن لها أن تحافظ على الهوية الذاتية لتلك الثقافات المحلية وكانت هذه محل اهتمام **"فرانزبواس" و"روث بندكت" و"مارجريت ميد"**[3] .

---

[1] عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية، دار الشروق ، الأردن، 2004، ص 227.

[2] غريب سيد أحمد و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 335.

[3] محمد عباس ابراهيم ،الثقافة والشخصية ،دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2009،ص 210.

❖ يرى الثقافويون أيضا أن هناك بعض البدائل الرئيسية التي تعمل على تطوير تلك الثقافات المحلية مثل الاستعارات الثقافية و الانتقال الثقافي والمخترعات[1] ويمكن أن نضيف أيضا الحروب والاستعمار والهجرة وغيرها.

❖ يرى الثقافويون أيضا أن لكل مجتمع ميزات ثقافية بحيث تجمُع هذه الميزات تقدم لنا ما يسمى بالنمط الثقافي للمجتمع والشخصية القاعدية له.

❖ المجتمع حسب الثقافويين له ثقافة عامة بها مجموعة ثقافات فرعية اثنية، كما هناك متغيرات غير الإثنية يمكن أن تنقسم اليها الثقافات الفرعية كثقافة النخبة ،ثقافة التجار ثقافة الطلبة...وغيرها من الثقافات الفرعية المقسمة بحسب الفئات الاجتماعية بالمجتمع.

❖ ترى الثقافوية أن جميع المفاهيم الاجتماعية لا معنى لها إلا ما تعطيه له الثقافة من معنى فمفهوم معين مثلا قد تكون له دلالة مستحسنة في مجتمع ما وفي آخر قد يكون لها مدلول مناقض تماما فالثقافة بذلك هي روح المفاهيم المجتمعية.

❖ ترى الثقافوية أنه من العبث محاولة فهم عامل ثقافي معين لذاته وبشكل منعزل فالعوامل الثقافية لا تفهم إلا في اطار الثقافة الكلية.

3) القيم من خلال دراسات رواد الثقافوية:

إن أهم ميزة للنظرية الثقافوية أنها نظرية مبنية أساسا على المعطى الميداني حيث أن جل من أسهموا فيها بنوا أحكامهم النظرية من تلك الدراسات الميدانية التي أجروها، وفي هذا الاطار نجد مثلا دراسة **"هوينجمان"** على قبائل **"كاسكا"** «حيث كان موضوع الدراسة تحليل العلاقة بين العوامل الثقافية السائدة وعملية

[1] نفس المرجع، **214**.

التطبيع الاجتماعي التي يخضع لها الفرد في قبائل "**الكاسكا**" الهندية، فوجد أن هناك قيم ترتكز عليها الثقافة في هذه القبيلة وهي **قيمة الاستقلالية و قيمة المسؤولية** وتعني الاستقلالية عدم الخضوع الى أي سلطة عليا سوى سلطة الأب، أما المسؤولية فتعني تحمل نتائج السلوك سواء كانت سارة أو غير سارة، سواء كان النجاح أم الفشل»[1] .

في البداية نلاحظ هنا وكأن القيمتين متعارضتين بحيث يكون المرجح أن الاستقلالية في التعامل والتفاعلات الاجتماعية سيترتب عنها اللامبالاة و اللاتحمل للمسؤولية، إلا أن هذا لم يكن في مجتمع "**الكاسكا**" حيث تدخلت الثقافة في قولبة القيمتين وإعطاء الحدود الثقافية التي تسمح بهما كلا القيمتين «كما نجد أن "**هوينجمان**" قد لاحظ أن أعضاء قبيلة "**كاسكا**" كانوا يرون في الأعمال العدوانية سلوكا بغيضا بالرغم من عدم وجود سلطة عليا تتحكم في سلوك الفرد، وبالتالي الاستقلال الشخصي للفرد لا ينتج عنه تجاوز حدود النظام الاجتماعي وإنما ينتج عنه تحمل المسؤولية، وهذا السلوك نابع من خلفية ثقافية متجسدة في قيم الاستقلالية والشعور بالمسؤولية التي تحملها ثقافة قبائل "**الكاسكا**" الهندية مضمون هذه الثقافة هو الذي يجعل الفرد يكبح مشاعره ويتحكم فيها ويتحفظ على سلوكه المفرط في علاقاته مع والديه وأولاده وزوجته ومع عموم الناس»[2] فكل ما هو موجود في المجتمع من حاجات بيولوجية أو متغيرات اجتماعية لا تكون لها دلالة فاعلة إلا في المحتوى الثقافي للمجتمع فالثقافة هي التي تحاول تعريف المفاهيم والقيم الاجتماعية المختلفة.

وفي دراسة ثانية نجد «اسهام "**وليم طوماس**" في دراسته عن الفلاح البولندي في أوربا حيث اهتم بتأثر القيم التي تحملها ثقافة المهاجرين الأصلية عند انتقالهم إلى المجتمع المضيف و"**روبيرت بارك**" الذي درس نفس موضوع دراسة "**وليم**

[2،1] **عامر مصباح ، علم الأنتـــــروبولوجيا ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، 2009، ص** 114.

طوماس" في مواجهة المهاجر لنسقين متناقضين من القيم الثقافية، فأحيانا يواجه نسق جماعة انتمائه وأحيانا يواجه نسق البلد المضيف مما ينتج حسبه الانسان الهامشي الذي ينتسب الى هذا وذاك»[1] كما نجد **"سان سوليو"** الذي أدخل الطرح الثقافوي الى الميدان السوسيومؤسساتي أين أظهر اسهامه مفهوم الثقافة التنظيمية والقيم التنظيمية، والهوية داخل التنظيم ...الخ كمحدد للميزة الثقافية للمؤسسة وعلاقتها بمفاهيم تنظيمة أخرى كالصراع التنظيمي، والتنظيم غير الرسمي، والقيادة وغيرها.

4) **موضوع الدراسة من خلال النظرية الثقافوية (اسقاط منهجي)**: تعد عملية ــ التفسير ــ من بين أهم الأهداف التي تسعى لها النظرية السوسيولوجية، فهي قائمة أساسا لبث تفسير منطقي حول جملة من الوقائع الاجتماعية، لذا يكون من اللامنهجية معالجة أي ظاهرة كانت دون تأطير نظري لها، بل نكون دائما بحاجة إلى البحث عن نظرية تحتضن موضوع دراستنا وهو ما نسميه عادة بالمدخل المنهجي، والذي يقوم على اثره الباحث بعملية اسقاط افتراضات نظرية ما على الموضوع قيد الدراسة، وهذا ما نحاول توضيحه من خلال هذا العنصر حيث قد تم تبنينا للنظرية الثقافوية(**Culturalisme**) ومن خلال مايلي نحاول توضيح كيف تم اسقاطنا لهذه النظرية على بحثنا هذا.

❖ لقد تم الانطلاق من الثقافوية كون أن موضوعها الأساسي هو الثقافة والتي تعد **القيم** جزءا منها وما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، أي أنه كما تحاول الثقافوية ابراز دور الثقافة بمعناها الواسع في تفسير الظواهر الاجتماعية نحاول بدورنا ابراز دور القيم (التي هي متضمنة في الثقافة) في توجيه ظاهرة الرقاة.

[1] دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر:منير السعيداني ،المنظمة العربية لترجمة، بيروت،2007،ص 82.

❖ تنطلق الثقافوية من توجيهية القيم الثقافية للأفعال الاجتماعية وهو ما نقوم بدراسته أيضا حيث نحاول توضيح كيف أن القيم توجه الأفراد لتكريس الوجود الاجتماعي للرقاة ومن ثمة نحاول توضيح كيف أن هناك قيم خاصة تتواجد لدى المقبلين على الرقاة تكرس فيهم ذلك الاقبال.

❖ التزاما بالمبدأ المنهجي الثقافوي نحن ننطلق بدورنا من فكرة تجريدية القيم فالقيم غير قابلة للمشاهدة وإنما ترى بحسب الثقافوية من خلال تصرفات الأفراد.

❖ ينطلق الثقافويين من فكرة اللاستقرار للقيم الثقافية إذ القيم تختلف من فرد إلى آخر حيث يفسرون هذا الاختلاف انطلاقا من الاختلافات الفردية في اكتساب القيم واختلاف وسائط الاكتساب من فرد لآخر.

❖ التزاما أيضا بالمبدأ المنهجي الثقافوي فإنه لا يمكن فهم سلوك اجتماعي معين مالم نرده الى النسق القيمي للمجتمع وهذا ما نقوم به من خلال رد ظاهرة عمل الرقاة في جوانبه التنظيمية والفاعلين فيه إلى النسق السوسيوثقافي للمجتمع .

❖ تدرس القيم ككليات نوعية بمعنى أنها مميزة للمجتمع عن مجتمع آخر، وهذا أيضا ما انطلقنا منه كون للمجتمع الجزائري قيمه الخاصة والتي لها خصوصيتها سواءا في تطورها أو في انتقاءها والتي ترتبط بما تعرض له المجتمع من محطات وتغيرات واضطرابات وانفتاحات...وغيرها ناهيك عن الخصوصية القيمية لولاية أدرار تحديدا كونها ميدان هذه الدراسة.

ونحن بجملة هذه المبادئ المنهجية نحاول أن نكون ثقافويين في تفسير الظاهرة المدروسة الأمر الذي يجعلنا نسلك مسار **"سان سوليو"** الذي دعا الى دراسة الظواهر المتمثلة في أنماط العمل المختلفة (الرسمية وغير الرسمية) في المجتمع بردها للقيم والثقافة والهوية المجتمعية.

خلاصة الفصل:

إن موضوع القيم يعد من بين الموضوعات العابرة للتخصصات الأمر الذي طرح تنوع في أبعاد تحليلها، فهي عند السيكولوجين افتراضات داخلية يتعلق بها الأفراد وتصبح جزءا من وجدانهم، وهي حسب السوسيولوجين منطلقات اجتماعية مشتركة توجه الفاعلين في تسيير مجمل العمليات الاجتماعية التي قد يتواجدون فيها وهي بذلك تعريفات متكاملة.

ثم أن هذه القيم لا تتواجد في نمط تصنيفي واحد بل تتنوع إلى عدة تصنيفات أهمها تصنيف "**سبرنجر**" الذي صنفها وفقا لمعيار المحتوى (دينية،اقتصادية،اجتماعية فنية ،سياسية) و قد أضفنا لها في بحثنا هذا القيم الميتافيزيقية لملائمتها لخوصية هذه الدراسة.

وعلى العموم فبالرغم من اختلاف تلك التصنيفات إلا أنها في مجملها تشترك في ذات السمات فهي ذاتية ومكتسبة و نسبية وكذا تتميز بالتجريد والانسانية... وغيرها من الصفات الأخرى التي جاءت مفصلة في متن هذا الفصل.

ثم إنه في حديثنا عن القيم نجد أنفسنا نتكلم عن معطى أشمل وهو "**الثقافة**" وذلك كون الأولى جزء من الثانية، الأمر الذي أحالنا الى تبني المقاربة الثقافوية التي تعد سليلة المدرسة الأمريكية والتي لها جذورها في الأنتروبولوجيا خاصة الثقافية والاجتماعية منها.

وهي تنطلق من فكرة محورية مؤداها أن أي ممارسة اجتماعية لا يمكن فهمها إلا بردها إلى الثقافة المجتمعية بعناصرها المختلفة والتي تعد القيم احدها، ومن بين أهم روادها نجد "**بواس**" "**بندكت**" ،و"**هربرت ميد**" ... وغيرهم حيث قد قدموا لنا تحليلات ثقافوية لبعض القيم في مجتمعات دراستهم بل وحتى في الاطار المؤسسي التنظيمي الذي قدمه لنا الثقافوي "**سان سوليو**".

الفصل الثالث

عـــمل الـــــــرقاة

(تحديد مفاهيمي واسقاط سوسيوتنظيمي)

تمهيـــــــــد:

إن الواقع الاجتماعي بالمنظور الفيبري (ماكس فيبر) عرف ثلاث أنماط من الفعل الاجتماعي تطورت من الفعل العاطفي إلى الفعل التقليدي ثم الفعل العقلاني كون هذا الأخير هو ميزة المجتمعات المعاصرة، إلاّ أنّ هذا الاسهام ترصدَت له بعض الانتقادات الموضوعية مبررة طرحها بكون النظرة التاريخية التطورية لتلك الأنماط من الفعل تعارض الواقع المعاش فعليا.

فلطالما عرفت المجتمعات تواجد الأنماط كلها في آن واحد داخل المجتمع الواحد الأمر الذي انعكس على الأبنية الاجتماعية الموجودة فيها؛ ونخص بالذكر هنا المجال المهني ومجالات العمل في عمومها والتي تعرف في بعضها الممارسة الرّسمية وتسيير السلطة القانونية النابعة من الفعل العقلاني، كما تتواجد مجالات أخرى لا تقل أهمية عن الأولى ولكنها لا تتمتع بالضرورة ببعد الرّسمية، وإنما قد تكون نابعة من سلطة كاريزمية أو سلطة تقليدية، فهي نابعة بذلك من فعل عاطفي أو فعل تقليدي ومنها عمل الرقاة الذي نجد عند تحليل أبعاده كيف أن له أبعادا ميتافيزيقة وتقليدية وعقلية معا.

وعلى العموم سنحاول مناقشة ذلك من خلال هذا الفصل على اعتبار أنّ ممارسة الرقية باتت في وقتنا الحالي واقعا نعيشه ضمن ما يعرف بالمهن الشعبية أو الطب الشعبي كونها ممارسة تسعى إلى تقديم علاجات لأمراض عضوية ونفسية وغيبية وربما ليس للعلاج من مرض بعينه وإنما للوقاية من حدوثه.

هذا مع العلم أننا حاولنا على وجه القصد والتحديد من خلال عناصر هذا الفصل ابراز كيف يتجسد البعد السوسيوتنظيمي لعمل الرقاة بالإضافة إلى الوقوف بداية عند بعض تعريفات الرقية من خلال عدة مداخل ترتبط بها، وكذا تقديم بعض النماذج العملية لبعض الرقاة من الواقع العربي والواقع الجزائري.

أولا: مفهوم الرقية:

لقد عرف مصطلح الرقية تأويلات تعريفية متعددة، نابعة أساسا من اختلاف الصور الاجتماعية التي تتواجد عليها في البيئات المختلفة، أي أنها متأثرة لا محالة بخصوصية الواقع السوسيوثقافي الممارسة فيه، والذي يعطيها ترجمة متفردة بذاتها بصبغة محلية خاصة، هذه الصبغة التي نجدها لا تنفك من أن تكون حاضرة بصورة أو بأخرى عند قيامنا بالتحديد التعريفي لها.

كما قد يرجع اختلاف التأويلات التعريفية أيضا الى تعدد الأشكال التي يتجسد فيها الرقاة أنفسهم، حيث أننا نعلم أن الممارسة الاجتماعية في عمومها غير موحدة في كافة المجتمعات بل ليست بموحدة حتى داخل المجتمع الواحد، الأمر الذي نجد منطلقه مبرر بكون أن لكل ممارس للرقية تصوره الخاص به حول أسلوب القيام بالرقية وتعاويذها وأشكال الاستطباب بها.

وقبل الخوض في عملية طرح تلك الخصوصية التعريفية للمداخل الثلاث (القرآني، النبوي السوسيوعامي/علمي) المعتمدة في عملية التحديد المفهومي للرقية نجد من الضرورة الملحة التحديد اللغوي للمفهوم حتى نرسم لأنفسنا حدودا يطيقها هذا الأخير (المفهوم) ولا نحمله معاني تتجاوز نطاقه اللغوي.

1. التعريف اللغوي للرقية:

الرُقية بضم الراء وسكون القاف جمعها رقىً ورقْيَاتٍ ورُقَيَاتٍ[1] .

الراقي ـــ رَقِيَ ـــ المثقف والمهذب والجمع رقاة، والراقون من يصنعون الرقية.

الراقية المثقفة والمهذبة وجمعها رواقٍ وهي مؤنث الرّاقي، ونقول رجل راقية هو من يصنع الرقية والتاء للمبالغة لا للتأنيث[2].

---

[1] ابن منظور، مرجع سبق ذكره، المجلد 10 ،باب القاف، ص 122.

[2] دار المشرق ، المنجد الأبجدي ، دار المشرق ، ط5 ،بيروت، 1987، باب الراء ، ص 468.

الرقاء النافت في عوذته والصعاد في الجبال[1].

فالرُقية بذلك هي **العوذة** ــ تعاويذ ــ التي يتعوذ بها ويرتَقِى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات [2].

2. المفهوم القرآني للرقية:

ترتبط الرقية لذا الكثيرين بالقرآن الكريم وإعجازه العلاجي، أين نجد من الرقاة من يربطون عملهم بكتاب الله وكلمات القرآن، وفي كثير من الأحيان هم يستدلون على ذلك ببعض الآيات التي أوردت ضرورة الاستشفاء بكلمات كتاب الله ومن بين هذه الآيات نجد من يستدل بسورة الاسراء في قوله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾[3] **وفي آية أخرى قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾** [4] فإذن هي بمثابة الشرعية الدينية للممارسة، أي أنّ تلك الآيات وجهت الأنظار الى مصدر من مصادر الاستشفاء الذي هو ضالة الكثيرين.

هذه الآيات وغيرها ممن ترد فيها كلمة الشفاء يقدمها الرقاة وغيرهم كحجة شرعية للإستطباب من الأمراض المختلفة، هذا مع أنه ليست كل كتب التفسير ترجع كلمة شفاء أنها شفاء من الأمراض فمثلا في أحد كتب التفسير جدنا أنها تعرض معاني الآيتين كالتالي:

---

[1] عبد الله البستاني، البستان المعجم اللغوي المطول ، مكتبة لبنان ، بيروت ،1996، باب الراء ، ص 423.

[2] خالد بن عبد الرحمن الجريسي ،ارق نفسك وأهلك بنفسك ، مؤسسة الجريسي ، ب ت،ب ب ،ص 14

[3] سورة الاسراء، الآية 82.

[4] سورة فصلت ، الآية 44.

الأية الأولى من سورة الاسراء والتي كان التالي تفسيرا لها:

وُنَنَزِّلُ مِنَ (للبيان) **الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء** (من الضلالة) **وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** (به) **وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ (الكافرين) إَلاَّ خَسَارً (لكفرهم به)**[1].

الأية الثانية من سورة فصلت والتي كان التالي تفسيرا لها:

قُلْ هُوَ لِلَذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى (من الضلالة) **وَشِفَاءٌ من** (الجهـــل)[2].

ففي الآية الأولى فسر الاستشفاء هناك أنه شفاء من **الضلالة** وفي الآية الثانية فسر الاستشفاء أنه شفاء من **الجهل** و لم يذكر المرض سواء العضوي أو الروحي.

هذا مع أنه لا يهمنا كثيرا التدقيق الشرعي في ذلك لأنه أساسا لا نبحث في مشروعية الرقية دينيا وليست أساسا من اهتمام توجهنا السوسيولوجي.

وبغض النظر عن الاجازة الدينية لممارسة الرقية نجد أن هناك بعضا من الاعجاز القرآني الذي يستغل لتفعيل الرقية وهي في ثلاث أشكال نوجزها في ما يلي[3]:

ـــ **الاعجاز الأدبي**: كون القرآن لسان عالمي لكل الحقب الزمانية ولكل المواضع المكانية فكل واحد يجد نفسه مجسدا في أحد آيات هذا الكتاب.

ـــ **الاعجاز العلمي**: لما له من اشارت علمية لا زال العلم يحاول اثباتها إلى الآن بين الفينة والأخرى.

ـــ **الاعجاز العددي**: فتكرار الآيات وبعض الكلمات ليس بالمعطى الاعتباطي بل له دلالات اعجازية .

ـــ **الاعجاز الاستشفائي**: فقد قامت مؤسسة العلوم الطبية الاسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية (USA) بعدة بحوث مستخدمة أجهزة الكترونية ...وقد تُليت آيات القرآن على عدد من الناس ممن يعرفون اللغة العربية ومن من لا يعرفونها

---

[1] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي و جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، تفسير القرآن الكريم، دار احياء التراث العربي بيروت،ب ت، ص 382.

[2] نفس المرجع ،ص 636.

[3] عبد الحق زداح ، التداوي بالقرآن والدعاء، دار الهدى ،الجزائر ،2004، ص ص 9 ــ 40.

...وقد أثبتت التجارب والقياسات أن للقرآن الكريم أثر مهدأ بنسبة 97% من التجارب بالإضافة الى نتائج أخرى كانت تثبت في كل مرة الأثر الإعجازي للآيات التي يتم تلاوتها.

من ذلك فالمفهوم القرآني للرقية يشير إلى استخدام سور كتاب الله لما فيها من اعجاز رباني قادر على بلوغ حاجة الشفاء.

3. المفهوم النبوي للرقية:

ونشير هنا الى ما يسمى بالطب البديل «إذ مع ظهور الاسلام حرص النبي ﷺ على حث الناس على ترك طرق العلاج القائمة على السحر والشعوذة وكان لابد أن يُوجد لهم بديلا ومن هنا ظهر الطب النبوي الذي تطبب به الرسول ووصفه لغيره... »[1] كما حاول الرسول ﷺ محاربة الكهنة وغيرهم من المشعوذين بقوله: «من **أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد**»[2].

وقد قدم لنا الرسول ﷺ كثيرا من الطرق العلاجية لأمراض عضوية وأمراض روحية، وقد زكى العديد من الأطعمة والأشربة للتداوي بها كالحبة السوداء مثلا «**حيث قال: عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام**»[3] **وقد تكونا حبا أو زيتا** «**وهي نافعة لعديد الأمراض كالبرص وحصاة الكليتين، والزكام، والصداع...وغيرها**»[4].

«وقد أشار الرسول ﷺ بقوله «**عليكم بالشفائين العسل والقرآن**»[5] «الى أن العلاج المادي (العسل) والعلاج المعنوي (القرآن) يشتركان في المنفعة الطبية»[6] .

---

[1] سعاد عثمان، التراث والتغير الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة ، 2002 ،ص43.

[2] رواه أبو هريرة، صحيح الجامع، رقم 5939.

[3] رواه أبو هريرة، صحيح الترمذي، رقم 4041.

[4] ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، دار الامام مالك، القاهرة، 2004، ص 222.

[5] رواه عبد الله بن مسعود، السنن الكبرى للبيهقي، ص 344.

[6] سمير اسماعيل الحلو، «الطب الاسلامي نحو تطبيق عملي»، مجلة الحكمة ، مؤسسة المؤتمن، ب ب،عدد06، صفر 1416 هـ،ص 164.

و كما نجد هناك رقى للشفاء من مرض ما، هناك أيضا رقى للوقاية أساسا من بلوغ الأمراض وذلك بالأذكار ومنها أذكار الصباح والمساء مثلا.

فكما نلاحظ أن المفهوم النبوي للرقية و المفهوم القرآني قد آتيا متكاملان، حيث قد أتى الطب النبوي لتوضيح الدلالات القرآنية في حالات علاجية عملية قام بها النبي لنفسه أو أهله أو ممن طلب منه العلاج.

4. مفهوم الرقية بين السوسيوعامية و السوسيوعلمية:

إن المخيال الاجتماعي عند ذكر اصطلاح "**رقية**" يضع له مرادفاً مباشر وهو القرآن أو قراءة بعض الآيات التي يكون على اثرها الشفاء، أو الذهاب عند عارف شاع عنه الزهد والورع الديني للعلاج بتعاويذه التي يكون حينها أدرى بمناسبتها للعلاج أم لا؟

فعلى الأقل هذا ما قد يجود به تفكير أي رجل عامي ليس له من العلم والثقافة النصيب الكبير الذي يؤهله للخوض في حديث عميق المبنى عن الرقاة.

لكن الثقافة العامية لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن المخيال الاجتماعي لأنها ببساطة تعد أحد الأبعاد المجسدة له، والتي قد تفرض نفسها في بعض الممارسات الاجتماعية حتى على الثقافة العلمية؛ لكن اعتماد هذا المخيال في صياغته لبعض مفاهيمه على التجربة الشخصية لأعضاء المجتمع أو على ما يتناقلونه فيما بينهم بفعل الاحتكاك والتفاعل يجعلنا نقول أنه كثيرا ما لا تتوافق تعريفات الوسط الاجتماعي العامي مع المعنى العلمي لذات الاصطلاح وذلك ربما فيه تجسيد لوجود مؤشر قطيعة بين العلمي والعامي في بعض الأحيان.

من ذلك يمكن الاشارة إلى أن «الرقية يمكن اعتبارها عبارة عن ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى على ما يُحدث ضررا بل ذلك يقال عنه ساحر أو مسمى آخر إلاّ مسمى "راقي"»[1].

[1] عمر سليمان الأشقر ، عالم السحر والشعودة، دار النفائس ،ط3، الأردن ، 1997، ص 202.

اذن هذا التعريف ذهب بالرقية الى أنها كل التعاويذ التي يقبلها منطق الدين الاسلامي، وكل من خرج عن ذلك النطاق فهو يحمل مسمى آخر غير اسم "راقي" أو "رقية" فهو بذلك ساحر أو عراف أو مشعوذ...أو غيرها من المفاهيم الاصطلاحية التي لها نفس هذه الدلالة اللادينية في الممارسة.

كما يبرز من هذا التعريف أنه عبر عن الرقية بمعناه الضيق (النافعة فقط) وكل تعاويذ غرضها احداث ضرر أو إيذاء فهي لا تدخل ضمن ما يسمى بالرقية، إذن هذه الرؤية من التعريف عبرت عن تعريف نظري علمي ولا يحمل مؤشرات الواقع الاجتماعي لأن الوسط الاجتماعي بات يعرف رقاة من صنفين:

ـــ راقي يعتبر القرآن الكريم والطب النبوي الآليتين الوحيدتين للعلاج عنده وهو قائم لمباشرة علاج الحالات التي ليس غايتها الحاق الضرر بأحد.

ـــ راقي يمزج بين القرآن والطب النبوي وممارسات أخرى غير دينية كأن يطلب من المقبل عليه أن يأتيه بحيوان أو أي شيء آخر يبدو غريب ليُفعّل الرقية وهذا قد يعالج للصّلاح أو للمضرة وفي الغالب ما يكون له منطق مادي في التعامل مع المقبلين عليه.

لهذا أصبحنا نرى الآن أنه قد ذاع مصطلح "**الشرعية**" بالموازاة مع كلمة الرقية فأصبحنا نتكلم على "**رقية شرعية**" وأخرى غير ذلك، فالممارسات الاجتماعية استفزت اظهار هذين المفهومين، لأن الرقية في أساسها على المستوى العلمي لا تكون إلا بالممارسة السوية (قرآن /سنة) ولا يمكن اطلاقها على من يخلطهما بأي فعل غريب عن المعطى الإسلامي.

لكن كما سبق لنا الذكر كثيرا ما تتواجد تلك القطيعة بين العلمي والعامي ونحن من خلال دراستنا هذه لا يهمنا المعطى العلمي لاصطلاح الرقية بقدر ما يهمنا المعطى العامي الشعبي الاجتماعي لها، بمعنى نحن لا نبحث في الرقاة الشرعيون فقط وكأنّ الرقية بالمعنى الاجتماعي لا تكون إلا كذلك أي لا تكون إلا شرعية، إذ هذا

ما يفنده لنا الواقع بشكل بات واضحا للكثيرين، وعلى العموم هذا ما قد تم توضيحه في موضع سابق عند الحديث عن مفاهيم الدراسة *.

ثانيا :الرقية والمفاهيم السوسيوشعبية المرتبطة بها:

1) البعد السوسيوثقافي للصحة والمرض:

إن مما هو ذائع الانتشار أن المرض هو نتيجة لحالة اعتلال جسدي تسبب فيها قصور طارئ في أحد وظائف الجسم البشري، و لطالما اعتبر المرض والصحة موضوعان لعلوم كالبيولوجيا والطب والتشريح ...وغيرها من العلوم التي تحلل الجوانب الطبية والصيدلانية المرتبطة بالأمراض الانسانية .

ولكن سرعان ما تغير هذا النمط التقليدي في التحليل و توسعت الرؤية للصحة والمرض حيث حينها فرضت العلوم الاجتماعية منظوراتها الخاصة ومنها السوسيولوجيا التي طرحت نفسها كمؤشر هام لتفسير تلك الحالات المرضية التي تصيب مجتمع دون غيره، أو طبقة اجتماعية دون الأخرى، وهي أيضا مؤشر لتحليل الطرق الوقائية التي تتمايز بتمايز النمط الثقافي والذهنية المجتمعية، ومن مثال ذلك وكبرهان على تأثير الواقع السوسيوثقافي في المجال الصحي «نجد مثلا كيف أن الأمريكين المكسكين يعرفون أمراضا كثيرة لا تحدث بين الأمريكين ذوي الأصول الانجليزية، ومن ثمة فهم يتحدثون عن العين الشريرة والحسد في ضوء السياق الثقافي للجماعة»[1].

كما أن التتبع التاريخي للمرض لا يضحد فكرة أن له بعد سوسيوثقافي «حيث نجد أن البدائيين لطالما اعتقدوا أن حياتهم تحكمها الأرواح أو الشياطين أو العفاريت فالبعض منها خير وطيب والبعض الآخر شرير ... لذا كان الكهنة والسحرة ورجال

---

* أنظر عنصر تحديد المفاهيم في هاته الدراسة ص 9.

[1] نخبة من أعضاء هيئة التدريس، الأنتروبولوجيا ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2009، ص 193.

القبيلة هم معالجوا المجتمع ... وقد تغير تفسير المرض في أوائل العصر الاغريقي بالرغم من أنه ظل يُعتبر نتيجة لقوى فوق طبيعية، فكان عقابا تنزله الآلهة على الناس اللذين أسرفوا في الطغيان، و لم يدرك الأطباء بطلان هذه النظرية إلا بظهور **"أبو قراط"** حيث تعلموا النظر إلى الأمراض على أنها ظواهر طبيعية تراقب وتدرس والآن أصبح ينظر اليها كونها قد تكون نتيجة لعدة متغيرات مجتمعية»[1].

فكما نلاحظ أن ذهنية أفراد المجتمع هي التي كانت تُصيغ أنواع الأمراض وتسميها وكذلك هي من يقترح من هو المؤهل لعلاجها؛ وعلى إثر ذلك قد قُدمت في هذا الصدد اسهامات عدة انتظمت أحيانا في شكل تخصصات فرعية من علم الاجتماع كعلم اجتماع الطبي، أو علم اجتماع الجسد، أو علم اجتماع الصحة والمرض.

وكل تلك الفروع التخصصية كانت «تحاول تبيان تلك العلاقة بين الحالة المرضية والبيئة الاجتماعية والثقافية، حيث ترجع الحالة الصحية للكثير من الأفراد وانتشار الأمراض يعد نتاجا لأسلوب الحياة وللعديد من المتغيرات الاجتماعية الأخرى كالجهل والأمية والمعتقدات الشعبية والعادات الخاصة...وأنماط التفاعل الأسرية والتنشئة الاجتماعية»[2].

وهذا البعد السوسيوثقافي للمرض لم يعد بعدا مستغربا أو مستهجنا في تحليل الاعتلال الصحي بل قد ترسب فيه تراث نظري زاخر بإنتاجات بعد رواد هذا الاختصاص، وقد نطرح على سبيل التمثيل والاستشهاد تحليل **"تالكوت بارسونز"** لحالة المريض «إذ يرى أن المرض يمنح للمريض جملة من الامتيازات لا يمنحها له الاطار الاجتماعي حال صحته، ومنها أن المريض يستحق الإعفاء من واجبات أو أدوار أو أنماط سلوكية معينة ...كما قد يتسامح معه الآخرون في تصـــــــــرفات

---

[1] عبد المجيد الشاعر وآخرون ، علم اجتماع الطبي، دار اليازوري العلمية، الأردن ، 2000، ص 77.

[2] نخبة من أعضاء هيئة التدريس، مرجع سبق ذكره، ص 208.

مستهجنة أو غير مقبولة في الأحوال العادية»[1] أي أن الفرد يتخلى عن أدواره الاجتماعية حال مرضه حتى وإن كانت هذه الأدوار تتعلق بأطر ومجالات هامة والمجتمع حينها لا يشعره بعدم الرضا والانتقاص نتيجة وضعه المرضي بل على العكس من ذلك يحظى المريض من المزايا ما لا يحظى به حال عافيته.

فإذن كانت كلها قرائن حاولنا أن نبرز من خلالها كيف يمكن أن يكون للصحة والمرض أفق آخر غير ما هو معتاد من المجالات التحليلية التقليدية، هذه المجالات التي أصبحت تبدوا ضيقة وعاجزة عن تفسير تلك الحالات التي ليس فيها مؤشرات غير تلك المؤشرات الاجتماعية المحضة، الأمر الذي رحب بدخول مجالات العلوم الاجتماعية عامة والسوسيولوجيا على وجه القصد والتحديد لتحليل تلك الظواهر بمنظوراتها النظرية وبآلياتها المنهجية.

2) الطب الشعبي والبعد الاجتماعي له:

إن الاشارة الى مفهوم الرقية يعني بالموازاة لذلك وجود مرض نبتغي علاجه والقضاء عليه، لذا كثيرا ما يُزج الرقاة ضمن الأطباء الشعبويين أو ضمن ما يسمى بالطب الشعبي كمجال يتميز باللارسمية* والاعتماد على المنطق التقليدي الشعبوي في العلاج، هذا على اعتبار أن الطب الشعبي هو تلك «الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته بصرف النظر عن النسق الطبي الحديث»[2].

---

[1] انتوني غدنز ، علم الاجـــتماع، تر:فائز الصيّاغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، ب ت، ص 248.

* لا نعني باللاّرسمية هنا أنها خارقة للأطر القانونية، بل نعني بها تحديدا أنها غير منظمة بمراسيم أو قوانين خاصة بها وإنما تمارس بشكل مبتدع من الرقاة أنفسهم وفق ما يرونه مناسبا من منظورهم الخاص أو وفق ما يعتقدون أن الرقية يجب أن تكون عليه فإذن هي تسير بالعرف لا بمنظومة قانونية.

[2] محمد الجوهري وآخرون، الصحة والمرض من وجهة علم الاجتماع والأنتروبولوجيا، دون ذكر دار النشر، القاهرة، 2005، ص 110.

أي أن الطب الشعبي هو جملة الاعتقادات الفكرية والعملية في ادراك المرض وتشخيصه وعلاجه أو الوقاية منه، كما يحدد مفهوم الطب الشعبي بأنه «مجموعة المعارف والمعتقدات والممارسات التي يمارسها أعضاء المجتمع والتي تتوارث من جيل الى جيل وهذه المعارف تنحدر من اطار الثقافة الشعبية وليس من اطار الطب الحديث، وإن كان التحليل العلمي قد أثبت أن بعضها يتسم ببعض الكفاءة العلمية»[1].

فالطب الشعبي بذلك هو سليل الذهنية الشعبية لأعضاء البناء الاجتماعي ينتقل بفعل العملية التنشيئية عبر الأجيال فهو معرفة موجودة لدى الجميع ولا تختص به فئة دون غيرها كما قد ينعت به شخص على وجه التحديد «أي أن الطب الشعبي في هذه الحالة هو طب العامة من أعضاء المجتمع أو قد يلجأ الشخص الى ذوي الخبرة والمختصين في العلاج الشعبي اللذين يمارسون الوسائل والأساليب التي تحقق الراحة العضوية»[2] فمن خلال تلك التعريفات يمكن أن نستشف أن الطب الشعبي يحمل معنى واسع حيث يضم أصناف وصور عدة قد تتقاطع مع بعضها وقد تنفرد كل واحدة منها على حدى.

أ. **أصناف الطب الشعبي**: يمكن تقسيم الطب الشعبي الى أصناف هي بحسب تصورنا كالآتي:

❖ **طب شعبي عامي**: ونقصد به تلك المعارف والممارسات الموجودة لدى الجميع وهذا ربما ما نلمحه عند أجدادنا وأمهاتنا حتى وإن كانوا أميين فهم يعرفون مجال استطباب الكثير من الأعشاب، ويعرفون التعامل مع كثير من الأمراض كما لهم طرقهم وأساليبهم في ابعاد الحسد والعين وغيرها من تلك الأمراض الروحانية.

---

[1] نخبة من أعضاء هيئة التدريس، مرجع سبق ذكره، ص 203.

[2] نفس المرجع، ص 304.

❖ **طب شعبي ديني**: وهو تلك الممارسات والاعتقادات التي تنعت نفسها بالشرعية وتعتمد في تشخيصها وعلاجها على القرآن الكريم من ناحية وما يسمى بالطب البديل أو الطب النبوي من ناحية أخرى، وفي الغالب ما يختص بهذا النوع من الطب فئة تقدم نفسها للمجتمع أنها عارفة به ومدركة له على أوجهه الحقة اللاّبدعية بحسب وصف أهل الدين والشرع.

❖ **الطب الشعبي الغيبي**: هو تلك الأنماط من الفعل والاعتقادات التي مصدرها ممارسات متعلقة بجوانب غيبية كتسخير الجن مثلا وهي ما تعرف بالشعوذة وتختص به فئة خاصة تعمل على اقناع المقبلين عليها على أنه لها قوى خارقة توصلها الى عالم آخر يساعدها في تحقيق أماني صعبة التحقيق بالقدرات الانسانية.

ومن خلال هذه التصنيفات الثلاث التي تم ذكرها آنفا يمكن القول أن وجود مختص في أحد تلك الأصناف لا يعني بالضرورة عدم اختراقه للأصناف الأخرى، أي أنه قد يكون معالج ضمن الطب الشعبي العامي والطب الشعبي الغيبي فهو مشعوذ وعارف بالآثار الاستطبابية للبعض الأعشاب أيضا، وقد يكون هناك من يخلط العلاج بالقرآن و ممارسات ترتبط بالشعوذة وهكذا فالأصناف الثلاث هي أصناف مفتوحة النسق فقد يتواجد المعالج في تلك الأصناف الثلاث معا أو في اثنين منها أو في أحدها فقط.

ونحن في اطار دراستنا هذه يمكن أن نصنف الرقاة كمعالجين شعبويين أي ضمن الطب الشعبي الذي يفترض (على الأقل بحسب القاعدة الدينية) أن يكون معالجا بالقرآن أو الطب النبوي أو بهما معا، كما قد نصنفه في الطب الغيبي والعامي على حد سواء هذا لأننا نحاول تتبع الظاهرة كما هي موجودة في المجتمع وليس كما يفترض أن تتواجد والواقع يقدم لنا أصناف من الرقاة ليسوا بالضرورة ضمن صنف الطب الشعبي الديني.

ب. **سوسيولوجية الطب الشعبي**:

في حقيقة الأمر إنه بمجرد طرح مفهوم "**الشعبي**" كصفة لاحقة بالطب يعطينا مباشرة ايحاء وجود البعد الاجتماعي، لأن الممارسة الشعبوية هي أساسا ممارسة اجتماعية «والطب الشعبي يعد جزء من التراث الحي للمجتمع حيث يمكن من خلاله الوقوف على معرفة عادات وتقاليد المجتمعات ومن ثمة الالمام والتعرف على أساليب وأنماط التفكير وخبرات الناس عن الحياة والبيئة التي يعيشون بداخلها، فضلا عن التعرف على الموروث الثقافي وخبرات الأجيال ومدى اضافتهم لهذا الموروث في مواجهة مشكلاتهم الصحية والمرضية»[1].

فالطب الشعبي بذلك يمكننا من رصد حقبة زمنية من مسيرة المجتمع، فمن أنماط علاجها ومن آليات تشخيصها، ومن مسميات أمراضها يمكننا التعرف على الذهنية الاجتماعية لذلك المجتمع؛ فالطب الشعبي بذلك هو معطى اجتماعي بامتياز ويمكن أن نبرر هذا بجملة النقاط التالية:

ـــ ارتباطه بمعتقدات أفراد المجتمع.

ـــ أنه يمثل رد فعل طبيعية ومباشرة وتلقائية إزاء ما يواجهه الأفراد بالمجتمع من متاعب ومشاكل مرضية ومن ثمة يبدو فيه معنى للتفاعل بين الناس والبيئة التي يتواجدون فيها[2].

كما نجد ناهيك عن تلك المميزات الاجتماعية التي يختص بها الطب الشعبي، هناك أيضا أسباب مختلفة المجالات ساهمت في استمرار الوجود الاجتماعي له ونذكر منها مثلا:

---

[1] نفس المرجع ،ص **304**.

[2] محمد الجوهري وآخرون ، مرجع سبق ذكره، ص **111**.

ـــ انتماء المعالج إلى نفس السياق الاجتماعي والثقافي للمنطقة التي يمارس فيها عمله الأمر الذي يجعل عملاءه يشعرون بقربه منهم فهو يحمل خصائص الثقافة ذاتها بما تتضمنه من رؤى و أفكار، وهو أيضا يرتدي نفس الملابس ويتحدث نفس اللهجة.

ـــ استعارة المعالجين الشعبيين لبعض عناصر الثقافة الشعبية أثناء أداء أدوارهم وهو ما يدعم وصفاتهم أمام عملائهم كالاستعانة ببعض الأدعية والآيات القرآنية.

ـــ المرونة في التعامل فقد ينتقل المعالج الى مكان العميل كما يتحلى ببعض السمات الشخصية كالصبر وسعة الصدر والهدوء والبشاشة.

ـــ تعدد أدوار المعالجين الشعبيين:العلاج من الصداع والجروح والمفاصل والصرع الجني ...الخ[1].

ـــ اخفاق الطب الحديث في القضاء على بعض الأمراض.

ـــ ظهور أمراض جديدة لم نسمع عنها سابقا فضلا عن الزيادة في الأمراض المزمنة.

ـــ الحواجز النفسية التي يشعر بها المرضى اتجاه الأطباء ومرد ذلك الى النظرة المادية البحتة التي يتعامل بها الطب الحديث مع المريض.

ـــ التكلفة الباهضة للعلاجات الحديثة وسوء الممارسة الطبية والتنافس التجاري بين المؤسسات العلاجية في الطب الحديث[2].

فكما سبق الاشارة نلمح بشكل جلي أن الطب الشعبي كموروث سوسيوثقافي هو محتوى لازال البناء الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية عامة ومنها الجزائري على وجه الخصوص يحتفظ باستمراريتة داخله، أي أنه نسق لم يضمحل ضمن الكيان الكلي للمجتمع وذلك لمسببات يكرسها المجتمع ذاته، ولفعالية التنشئة الاجتماعية التي تعمل على نقله عبر الأجيال بإضافات تقتضيها التغيرات الحادثة بفعل التغير الاجتماعي

---

[1] سعاد عثمان ، مرجع سبق ذكره، ص 185.

[2] سمير اسماعيل الحلو، مرجع سبق ذكره، ص ص 158، 159.

ولكن المحتوى الأصلي يبقى دائما موجود إلاّ أنه برؤية معصرنة وذلك تكيفا مع مشاكل عصرية وآليات عصرية وكذا قناعات عصرية أيضا.

3) الرقية والميتافيزيقا الاجتماعية:

تشير الميتافيزيقا بداية إلى تلك المواضيع الغير مجسدة في الواقع المعاش و إنما هي تلك التي تنعت بالماورائية أو ما وراء الطبيعة، وتتعلق بتلك الممارسات وأساليب التفكير التي يعتقد فيها الأفراد أن هناك حياة وقوى غيبية لا تكاد تدرك محسوسياً ولكن هي موجودة وتأثر في حياتنا الاجتماعية.

وللميتافيزيقا مجالات عدة ولكن ما يهمنا هو البعد الاجتماعي فيها « حيث أن الميتافيزيقا حاضرة في مختلف الأشكال الثقافية التي عرفها الانسان ...مع أنه هناك من ينكرها أمثال **"نتشه"*** التي هي حسبه مجرد وهم وهراء حول ما لا وجود له»[1].

فالميتافيزيقا الاجتماعية تعد أحد المؤشرات الأساسية التي نستطيع على إثرها تفسير العديد من تصرفات الفاعلين الاجتماعين، فهي تزودنا بالمعنى المنطقي والتبريري لممارساتنا وذلك «لكون أن لها القدرة على ترك بصماتها على الثقافة المجتمعية وخلق مفاهيم ومعتقدات تؤثر على العادات والأعراف السائدة في المجتمع؛ كما ترتبط الميتافيزيقا بالذاكرة الجماعية للشعوب من خلال الأديان والأنظمة العقائدية، والأساطير المقدسة والوقائع التي حدثت في الماضي السحيق وهي تفرض نفسها على معتنقيها من خلال نسق كامل من المعتقدات يتم توارثه عبر الأجيال»[2].

---

* فريدريك فيلهيلم نيتشه (بالألمانية: **Friedrich Nietzsche**) (15 أكتوبر 1844م – 25 أغسطس 1900م) فيلسوف وشاعر ألماني. كان من أبرز المهدين لعلم النفس وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية والنفعية والفلسفةالمعاصرة المادية منها والمثالية الألمانية. وكتب عن الرومانسية الألمانية والحداثة أيضاً؛ امزيد من الاطلاع أنظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، «فريدريك نتشه»،http://ar.wikipedia.org/wiki، 2013/1/17، 17:15.

[1] عبد السلام بن عبد العالي ،الميتافيزيقا (العلم والايديولوجيا) ،دار الطليعة، بيروت، ب ت،ص 125.

[2] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، "ماوراء الطبيعة"، أنظر الموقع التالي:http://ar.wikipedia.org/wiki، 2012/11/20، 18:47.

وفي مجال دراستنا هاته نجد للبعد الميتافيزيقي حضوره المؤثر فكثيرا ما نرجع مثلا تردي الحالة الصحية إلى أن قوى خارجية هي من تسببت في ذلك «وهذه الذهنية كثير ما تسود في تلك المجتماعات اللاغربية والتي ترجع المرض إلى فعل كل من السحر أو اختراق أحد الأرواح الشريرة جسد الشخص أو مجاله المادي»[1].

ومن بين الموضوعات الميتافيزيقية التي نجدها لصيقة بالرقاة هي عالم الجن، والسحر والعين والحسد، وكلها غير محسوسة بل يعود التأثير فيها الى القوى الغيبية اللاّمرئية واشتراك تلك المواضيع في ذات النتيجة لا يعني أنها متماثلة بل لكل معناه الخاص به.

فالسحر هو الاتيان بخارق عند مزاولة قول أو فعل[2]، في حين أن **العين** نظر باستحسان يحصل للمنظور منه ضرر[3]، أما عن **الحسد** فهو النظر الى نعمة ما وتمني زوالها من المحسود[4]، و**الجن** هو عالم غير بشري وسمي بالجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار[5].

إذن هي اصطلاحات ميتافيزيقية في مضمونها وفي أثرها، وهي في كليتها تعد من أهم الأسباب المثيرة للكثير من مشاكل البناء الاجتماعي ومن ثمة هي أسبابا مدعمة لاستمرار وجود عمل الرّاقي المتبصر بها والعارف لخفاياها، إذ لا يملك الطب الحديث يدا لعلاجها بل هو حسب العامة عاجز عن فهمها بالمرة إذ هي شيء لا يقاس بدقة العلم ولا بحداثة ميكروسكوباته ولا حتى بتمكن الطبيب المعالج وتكوينه العالي وذلك لكونها أمراض حسب الذهنية المجتمعية لا تعالج إلا بالقوى الخارقة التي يملكها الرقاة أو المشعوذون وهي قوى خفية من جنس ذلك المرض الخفي.

---

[1] نخبة من أعضاء هيئة التدريس، مرجع سبق ذكره، ص 208.

[2] عمر سليمان الأشقر ،مرجع سبق ذكره، ص 73.

[3] خالد بن عبد الرحمان الجريسي، مرجع سبق ذكره، ص 17.

[4] عمر سليمان الأشقر ،مرجع سبق ذكره، ص 80.

[5] أبو منذر خليل بن ابراهيم أمين، الطرق الحسان في علاج أمراض الجان،دار الامام مالك، الجزائر، 1997،ص 21.

ثالثا: ممارسة الرقاة وإشكالية البحث عن المفهوم التنظيمي:

إن ممارسة الرقية* هي كأي نشاط آخر له بعده التنظيمي (أي ما يجعله من اهتمام علم اجتماع التنظيم والعمل) وقبل توضيح كيف يتجسد هذا البعد التنظيمي كان لا بد من الخروج أولا من تلك العلاقات الجدلية بين بعض المفاهيم التنظيمية التي تحاول أن تكون كصفة فعلية لما يقوم به الرقاة، وهي في الحقيقة نقاشات مفاهيمية مطروحة بصفة ملحة في هذا الموضوع، إذ كان لا بد من العثور على مفهوم تنظيمي نقولب به مسار البحث ومن ذلك طرحت التساؤلات التالية:

هل نقول مهنة الرقاة؟ أو نقول حرفة الرقاة ؟ أو نقول وظيفة الرقاة؟ أو أنه هناك مفهوم آخر أكثر ملاءمة من المفاهيم المذكورة آنفا ؟

لهذا قد تم فصل النقاش حول ما سبق من مفاهيم تنظيمية لصالح اصطلاح ــ **عمل** ــ وذلك استنادا لتبريرات موضوعية، وفيما سيأتي من حديث هو المسار التبريري الذي تم سلكه.

أ. ممارسة الرقـــاة ومعنى اصطلاح الوظيفة:

تعرف الوظيفة بأنها «مجموع ما يكلف به الفرد من مهام وأعمال في اطار مسؤولياته والسلطات المعطاة له في منصبه ...والوظيفة بهذا المعنى تتحدد بالعديد من العوامل التقنية والمالية والتنظيمية وبارتباطها مع استراتيجية المؤسسة التي تحدد نوع التنظيم والمناصب والأفراد وغيرها»[1].

وتعرف الوظيفة أيضا بأنها المنصب والخدمة المعينة وجمعها وظائف[2].

من خلال هذين التعريفين نلاحظ مايلي:

---

* تم استخدام اصطلاح (ممارسة) على اعتبار أن الممارسة من مارس الشيء مراسا وممارسةً وهي المزاولة، ويقال مارس الأمور والأعمال أنظر : مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، ب ت ، ص 863.
فإذن نعني بممارسة الرقاة الأفراد الذين يزاولون الرقية بنوع من الاستمرار (الممارسة = المزاولة المستمرة نسبيا).

[1] ناصر دادي عدون ،اقتصاد المؤسسة، دار المحمدية، الجزائر، 1998، ص 226.

[2] مجمع اللغة العربية ،مرجع سبق ذكره، ص 1042.

- الوظيفة مرتبطة بالقطاع الرسمي وليست مرتبطة بالقطاع غير الرسمي (مهن شعبية).
- الوظيفة بحاجة الى تنظيم تقني وقانوني لتحديدها وهذا الذي لا يتوفر في ممارسة الرقاة.
- الوظيفة هي جملة المهام المكملة لمهام أخرى بمعنى لا تتواجد بمفردها مثلا وظيفة المالية هي مكملة لوظيفة الأخرى في المؤسسة كالتخزين والرقابة والتخطيط...الخ فلا يمكن لوظيفة المالية بذاتها النهوض بالمؤسسة، بذلك الوظيفة هي وحدة جزئية ضمن نظام متكامل من الوظائف الأخرى، وممارسة الرقاة هي ممارسة مكملة لنفسها بمعنى أن الراقي لا يقوم بمهمة بغية تكملة جهة معينة بل يقوم بها في كليتها ولا يرتبط في ممارسته بأي مكمل آخر فهو الأول والأخير في هذه الممارسة، بمعنى ممارسة الرقية هي في ذاتها كل متكامل يضم جملة من الأنشطة لتحقيق غاية الرقية ولا يرتبط الراقي في تحقيق هذه الغاية بجهة أخرى رسمية كانت أو غير رسمية.
- الوظيفة أساسا مسمى لصيق بالمؤسسات الحكومية أي المؤسسة العامة ومنه قانون الوظيفة العامة أو الوظيف العمومي.
- الوظيفة مرتبطة بمقابل مادي منظم قانونا عكس ممارسة الرقاة فالمقابل المادي لهم لا تحدده أي جهة لا في كميته ولا في قانونية أخذه.

من ذلك لا يمكن أن نطلق على ممارسة الرقاة وظيفة فلا يمكن قول وظيفة الرقاة.

ب. **ممارسة الرقية ومعنى اصطلاح المهـــنة**: تشير تعريفات المهنة إلى أنها «عمل فني تخصصي يعتمد على معرفة علمية نظرية وخبرة عملية، وتقوم بإعداد المهنيين مدارس ومعاهد وكليات متخصصة وتهدف مؤسسات التعليم والتدريب المهني الى تعليم

وتدريب وتخريج خبراء قادرين على تقديم خدمات جيدة في مجالات تخصصهم لا يستطيع تقديمها غير المؤهلين[1].

وهي في تعريف آخر «مجموعة أنشطة تتركز حول دور اقتصادي تستهدف ضمان توفير الحاجيات الأساسية للحياة، ويطلق المصطلح على الأعمال التي تتم في الميادين التجارية والفنية»[2].

فإذن المهنة هي عمل يحتاج إلى خبرة ومهارة وحذق بممارسة[3].

كما نجد أن هناك من أشار إلى أن المهنة هي النشاطات الذي تتمتع بالمزايا التالية[4]:

ـــ اعتمادها على خبرة تتعلق بالمعارف النظرية.

ـــ تحتاج هذه الخبرة الى تدريب .

ـــ يُظهر المهني قابليته ومهاراته من خلال اجتيازه لامتحان يكشف مستواه الفني والثقافي.

ـــ يجب أن تكون للمهنة نقاباتها.

من ذلك نجد أن المهنة:

- هي أكثر ملائمة لتلك النشاطات الحرة فنقول مهنة المحاماة مهنة الطب مهنة التجارة، مهنة الحلاقة...الخ .
- المهنة هي مجال تخصصي في مجال من مجالات العلم الحديث ولا علاقة لها بالممارسات الشعبية.
- العامل في مهنة ما يجب أن يكون له تكوين من أحد المؤسسات الأكاديمية: جامعات مؤسسات التكوين المهني، معاهد خاصة...الخ.

---

[1] عثمان عمر بن عامر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، 2002، ص 209.

[2] فاروق مداس، مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني ، ب ب، 2003، ص 261.

[3] مجمع اللغة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 890.

[4] دينكن ميتشل ،مرجع سبق ذكره، ص ص 166،167.

هذا مع أنه تطلق كلمة مهنة على بعض النشاطات الشعبوية فنقول مهن شعبية ونحن لا نعني بها أنها مهن تخصصية علمية بل الشيء الذي يجعلنا نطلق عليها أنها مهن هو فقط عندما يقوم بها شخص ما ويكون له من وراء ما يقوم به مقابل مادي يعيش منه لهذا نقول أنها مهنة ونعطيها صفة الشعبوية لكونها نابعة من ثقافة غير عالمة بل عامية كما أنها غير منظمة قانونا.

من ذلك لا يمكن أن نطلق اصطلاح مهنة على ممارسة الرقاة وذلك لكون أن الرقاة قد يجعلون من ممارستهم مصدرا لرزقهم وقد يقومون به كنشاط خيري، بالإضافة الى أن الراقي قد يحضى بتكوين علمي متخصص وقد يكون راقي دون ذلك فقط أنه حافظ لكتاب الله (على الأقل هذا ما يقره الواقع المعاش فعليا) .

ج. **ممارسة الرقاة ومعنى اصطلاح الحرفـــة**: إن التحديد اللغوي يشير إلى أن الحرفة «هي الصناعة، وحرفة الرجل صنعته، فالحرفة بذلك هي وجهة الكسب»[1]. والحرفة في تعريف آخر هي «وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها ويقال حرفته أن يفعل كذا: دأبه وديدانه وجمعها **حرف**؛ والحرفي هو الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة ما بصفة مستمرة ومنتظمة»[2] كما يمكن القول أيضا أن الحرفة «هي ذلك العمل اليدوي الذي يغلب عليه الطابع الشخصي ولا تستخدم فيه إلاَ الأدوات البسيطة أي أنه غير آلي»[3] .

فإذن نستخلص مايلي:

---

[1] **ابن منظور ، مرجع سبق ذكره، المجلد التاسع ،باب الفاء، ص 44.**

[2] **مجمع اللغة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 167.**

[3] **Edito Croeps، معجم المصطلحات التجارية والاقتصادية والمحاسبية والمصرفية، Edito Croeps ، ب ب، ب ت، ص 40.**

ـــ الحرفة ترتبط بصنعة ما وهذا على اعتبار أنَ الصنعة هي تحويل بعض المواد من حالتها اللانافعة الى حالتها النافعة مثل صناعة الفخار، والجلود، ونقش النحاس..الخ والرقية لا تحول شيء من المواد المادية فهي ليست بصناعة.

ـــ الحرفة كثيرا ما تعتمد لكسب العيش والرقية قد تكون كذلك وقد تكون تطوعية وخيرية بالمجان.

ـــ الحرفة نشاط ينتج سلع مادية والرقية ما تقوم به ليس بإنتاج سلعي وانما خدماتية فهي تقدم خدمات ولا تقدم منتوجات.

من ذلك نستشف أن هذه الخصائص بعيدة التجسيد على ممارسة الرقاة.

د. ممارسة الرقية ومعنى اصطلاح العـــمـــل: من جملة تعريفات العمل يمكن أن نقول أنه عبارة «عن نشاط عضلي وفكري يبذله الانسان بطريقة واعية وهادفة لتحقيق أهداف عاجلة أو آجلة تكون ذات محتوى فردي أو اجتماعي»[1].

وهو في تعريف آخر يرى «أنّ العمل سواء بأجر أو بغير أجر يعني تنفيذ مجموعة من المهام تتطلب بذل الجهد العقلي أو العضلي بغرض إنتاج سلع أو خدمات لتلبية الاحتياجات البشرية»[2] فالعمل بذلك قد يكون بدافع اقتصادي مادي أو بدافع خيري مجاني «كما أن مفهوم العمل يتجاوز مفهوم المهنة والوظيفة التي يكون فيها أداء المهام بمقابل أجر أو راتب منتظم»[3].

إذن العمل يتميز بما يلي:

---

[1] ناصر قاسيمي، دليل مصطلحات علم اجتماع التنظيم والعمل ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 95.

[2] منظمة المرأة العربية، النوع وعلم اجتماع العمل والمؤسسة ، منظمة المرأة العربية، القاهرة، 2011، ص 15.

[3] أنتوني غدنز، مرجع سبق ذكره، ص 437.

ـــ كونه لا يكون دائما لغرض اقتصادي وللحصول على لقمة العيش كالعمل الخيري والتطوعي وهو ما ينطبق على ممارسة الرقاة التي يكون أحيانا غرضها تعبدي ديني.

ـــ لا يكون العمل بمقابل مادي دائما (أجر) كما أنه حتى وإن توفر المقابل المادي فإنه لا يكون بالضرورة منتظما في طريقة دفعه أو في تحديد حجمه وهو أيضا ما ينطبق على ممارسة الرقية التي قد تكون مأجورة وقد تكون غير مأجورة.

ـــ العمل قد يكون مهنة وقد يكون وظيفة وقد يكون حرفة وقد يكون غير هذه الاصطلاحات الثلاث بمعنى مفهوم العمل أعم وأشمل من كل تلك المفاهيم السابقة التحديد.

من جملة هذه التبريرات حاولنا اعطاء مفهوم ـــ العمل ـــ لنشاط الرقاة وذلك لأن الرقاة يقومون ببعض المهام بمقابل أو بدون مقابل، ولا يتميز دخلهم بالانتظام وليس لهم علاقة بأطر رسمية تنظم أسلوب عملهم وهذا ما يجعلنا نجد أنفسنا تحت مصطلح ـــ العمل ـــ وليس الوظيفة ولا المهنة ولا الحرفة وهذا لأن في الأساس اصطلاح العمل يضمهم جميعا.

رابعا: الرقاة والمتطلبات الشخصية والمعرفية لعملهم:

إن أي نشاط يقوم به الفرد يقتضي بالضرورة توفر جملة من المتطلبات في الكيان الشخصي لدى القائم بالعمل والتي يكون دورها (المتطلبات) في الأساس منصبا حول هدف أساسي هو تأهيله لممارسة عمله أيا كان مجاله رسمي أو غير رسمي (شعبي).

والرقية كعمل يقوم بها فئة معينة في المجتمع يفترض أن يكون لهم بدورهم جملة من المحكمات الشخصية والأكاديمية التي تجعل منهم ممارسين بكفاءة، والتي ربما لا تتواجد بنفس المحكمات الموجودة في المؤسسات الرسمية أو في أنماط العمل الرسمية

المنظمة بمواثيق وبنود قانونية، وذلك كون الرقاة كما سبق الاشارة «هم معالجون يقدمون خدمة صحية غير رسمية، و التي نقصد بها تلك الخدمات الطبية الغير مرتبطة بعلم الطب الحديث، والذي يطلق عليهم ـــ **المعالجون الشعبيون** ـــ حيث يحترف بعضهم بعض التخصصات الطبية الشعبية مثل علاج الشلل علاج الصرع علاج السحر...وغيرها»[1] ومن هذه المتطلبات نحدد بعدين هما البعد الشخصي والبعد المعرفي.

1. المتطلبات الشخصية:

ونقصد هنا بالمتطلبات الشخصية جملة الصفات التي يجب أن تتوفر في شخصية من يمارس عمل الراقي ونذكر منها مثلا:

ـــ **النضج العقلي**: أي أن يكون الراقي على مرتبة من الرزانة العقلية وقادرا على تقدير مدى خطورة المواقف والحكمة في ادارة تلك المواقف التي قد تصادفه في عمله.

ـــ **الصـــــــبر**: وهي صفة هامة أيضا حيث كما هو معلوم أن الراقي تقابله أمراض مستعصية أو حالات من الأمراض التي قد يخرج فيها المريض عن اطاره الواعي، وقد يتلفظ بعبارات مخلة أو يقوم بممارسات عنيفة ضده، لذا يكون الصبر هنا قيمة مهمة لابد من توفرها في شخص الراقي.

ـــ **القوة النفســـية**: ونريد الاشارة هنا أن الراقي كونه وجهة للعديدين والكل يصُب فيه مشاكله ويحمله مسؤولية علاجها الأمر الذي قد يؤثر على نفسية الراقي ذاته، والقوة النفسية تكمن هنا في مدى مقدرة الراقي على الفصل بين ما يتعرض له من ضغوط نفسية أثناء عمله وبين حياته الشخصية فلا يجعل المقبل عليه يؤثر عليه بل يحوِّل اتجاه التأثير من شخص الراقي الى المريض، فالراقي هو الذي يغير من نفسية المريض نحو الايجاب وليس العكس.

---

[1] عبد المجيد الشاعر، مرجع سبق ذكره، ص 64.

ـــ **البنية الجسدية**: وهذا كما سبق لنا الذكر لأن الراقي في بعض الحالات المرضية خاصة المتعلقة بالتلبس الجني أين يتعرض الراقي الى مقاومة جسمية من المريض فيحاول التهجم عليه لإيقاف العلاج .

ـــ **الروح المنبسطة والبشاشة**: إن المريض لا تشفى حالته المرضية (غالبا) مع من يعالجه من الرقاة الذين يتميزون بالغلظة والغضب والنرفزة فالمريض يميل الى من له سعة صدر ورحابة في التعامل.

ـــ **القيم والبناء الأخلاقي**: «فلا شك أن صلاح الانسان له أثر في النفع وكلما كان أكثر صلاحا كان أكثر نفعا»[1] فالراقي الذي يستغل العلاج لابتزاز المريض ماديا أو أخلاقيا سرعان ما يلقى النفور منه.

ـــ **كتـــمان الســـــــر**: فهو من خلال عمله يطلع على أسرار الناس وأعراضهم وخباياهم والكثير من خصوصياتهم لذا يعد كتمان سرهم صفة تتطلبها مهنة الراقي[2].

2. المتطلبات المعرفية:

ونريد الاشارة هنا الى تلك الخصائص **الفكرية والعلمية** الواجب توفرها في ممارس الرقية ونذكر منها ما يلي:

ـــ يجب على الراقي أن يكون عارفا معرفة تامة بالرقى المناسبة من الآيات القرآنية.

ـــ يجب على الراقي امتلاك معرفة ايمانية وأن يدرك يقينا أن القرآن شفاء ورحمة وعلاج نافع فلا يرقي بالآيات على سبيل التجربة إن نفعت وإلاّ عمد الى غيرها[3].

---

[1] عمر سليمان الأشقر ، عالم السحر والشعودة، دار النفائس،ط3، الأردن، 1997، ص 204.

[2] أبو منذر خليل بن ابراهيم أمين،مرجع سبق ذكره، ص 74.

[3] خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مرجع سبق ذكره، ص ص 23،24.

ـــ يفضل أن يكون الراقي من حفظة القرآن مع أن ذلك ليس شرطا لا تتم به الرقية ولكن المستحسن أن يكون كذلك.

ـــ أن يكون للراقي مستوى تعليمي يؤهله الى فهم الكثير من التعقيدات في ادراك بعض الأمراض.

ـــ يفضل أن يكون للراقي بعض المعرفة ببعض العلوم الحديثة ولو معرفة عامة كعلم النفس والطب، وغيرهما لأن ذلك من شأنه التعرف على حيثيات مرض الزبون بشكل أدق وأوضح.

وعلى العموم ما سبق ذكره من متطلبات هي بمثابة **الشروط النظرية** التي يؤدي تواجدها إلى **أداء كفء للعمل**،و بما أنها شروط نظرية فهي إذن تنسجم مع المفهوم النظري والعلمي للرقية ولا تنسجم مع **واقع** الرقاة لأن مثلا من المتطلبات المعرفية يشير الى عدم امتلاك الرقاة في الغالب لمعارف في العلوم الحديثة كالطب وغيرها.

وعلى العموم هذه الاشكالية لا تتواجد في مجال عمل الرقاة فحسب بل في كل مجالات العمل حتى الرسمية منها فالموظف قد تتطلب وظيفته شيء ولكن المجسد فيه شيء آخر.

خامسا: اجراءات عمل الراقي ومراحله التنظيمية:

إن أي عمل كان لا يمكن أن يتم بعيدا عن التنظيم وكأنه شكل من الفعل الارتجالي وذلك لكون الحديث عن اصطلاح **عمل** يعنى بشكل أو بآخر وجود اجراءات يتجسد به ووجود خطوات تنظمه وترتب مهامه.

وهذا ما نحاول ابرازه من خلال هذه الجزئية التي تحيلنا الى التجسيد الفعلي لكلمة "**عمل**" على ممارسة الراقي، إذ من خلال الحديث عن تلك الاجراءات التنظيمية لنشاطه يتبلور في أذهاننا كيف أن ما يقوم به الرقاة يتجاوز ذلك التعبير الساذج الذي تصبغه به كلمة ممارسة بل هو عمل فعلا (بكل ما تحمل كلمة عمل من قصد

وتنظيم واجراءات..وغيرها) وذلك على اعتبار أن العمل هو ذلك الجهد المنظم والهادف، وهذا بغض النظر عن كونه مأجورا أو غير مأجور.

وتوضيحا لهذا سنحاول من خلال بعض الأبعاد المذكورة أدناه تتبع حيثيات اجراءات عمل الراقي.

1. تنظيم مواعيد العمل:

إن أي راقي لا بد أنّ له جملة من النشاطات الحياتية غير عمل الرقية، لذا فهو يحاول ايجاد تزمين لعمله هذا بحيث ينظم على اثره مواعيد استقبال المقبلين عليه وينظم مواعيد نشاطاته الاجتماعية الأخرى.

وفي بعض الأحيان نجد هذا التزمين يعود منطقه لاعتبارات ميتافيزيقية، ككف الراقي عن العمل بعد صلاة العصر لخروج الشياطين بزعمه أو عدم رقي المرضى يوم الجمعة لأنه كما تتناقله ألسنة البعض دواء الجمعة لا ينفع ولا يضر وكلها حجج ميتافيزيقية في أساسها.

2. تحديد مكان العمل والشروط الفيزيقية والاجتماعية له:

إن الرقاة في الغالب ما لا يجدون إشكالا في البحث عن أماكن لممارسة عملهم وذلك لأنهم في الغالب ما يخصصون جزءا من مسكنهم لهذا الغرض (هذا على الأقل ما نلاحظه واقعيا) .

«كما قد يمارس بعض المعالجين الرقية في بعض المساجد أو حول أضرحة بعض مشاهير الأولياء وقد تحدد مكان الممارسة ظروف المريض نفسه فقد تكون حالته الصحية سيئة لدرجة لا تسمح له بالانتقال، أو يشعر بالحرج من التوجه للمعالج وغير ذلك من الأسباب»[1]؛ كما نجد أنه في العادة لا يكلف الراقي نفسه في تجهيز

[1] سعاد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص150.

المكان أو تأثيثه بل هو مكان بسيط يتسع لجملة من الناس بأفرشة بسيطة، وقد تغيب عنه بعض الكماليات كالمراوح وأجهزة التكييف والتدفئة، وربما قد لا يتوفر حتى اناء لشرب الماء أو منبع للماء خاص بالمقبلين عليه.

كما أن المقبلين على الراقي في العادة لا نجدهم يعلقون على فخامة أو بساطة مكان الرقية ولا يعيرون هذا الموضوع حيزا من اهتمامهم، لأن في الأساس ما يهمهم هو الوصول الى شخص الراقي و الحضي بالرقية، خاصة إذا كان لهذا الراقي سيط وشعبية واسعة تشهد بقدراته وتمكنه.

ويحدث عكس هذا تماما إذا ما تم التوجه إلى الطبيب في الطب الحديث حيث غياب النظافة والترتيب في عيادته يثير استهجان زواره ويقلل من شأنه بل ويشكك حتى في كفاءته العلمية.

اذن فالأفراد يغيرون من ردة فعلهم بتغيّر النمط الطبي من التقليدي إلى الحديث، ففي التقليدي يعطون كل التبريرات لأي وضع سيء في الظروف الفيزيقية والاجتماعية لمكان العمل(مكان ريفي/حضري، متسع/ضيق النظافة، غزلة المكان...الخ) ولا يقدمون تلك التبريرات للمعالج في الطب الحديث، ويكون مرد ذلك الى اختلاف النموذج الصوري عندهم حول الطبيب الشعبي(الراقي) والطبيب في الطب الحديث، فالطبيب الشعبي علاجه فيه بركة فهو إن لم ينفع لن يضر وهذا ما لا يتوفر في المعالج في الطب الحديث حسب الذهنية المجتمعية.

3. المباشرة الفعلية للعمل (مباشرة الرقية):

وهنا يقوم الراقي بإجراءاته الخاصة في تشخيص المرض وتلاوة التعاويذ ووصف الدواء، وقد يكون لكل راقٍ أسلوبه الخاص في ذلك وتعاويذه الخاصة أيضا.

فحتى من يمارسون الرقية الشرعية كما تنعت وفق المقاربة الدينية قد يختلفون أيضا في أساليب الرقية فهي مثلا تكون بأحد هذه الأنماط التالية[1]:

---

1 سعاد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص ص 151، 152.

ـــ تشغيل مسجل صوتي به شريط القرآن الكريم وقد توضع سماعته على أذن المريض.

ـــ وضع اليد اليمنى للمعالج على رأس المريض أثناء التلاوة.

ـــ قراءة القرآن على ماء ومشروبات محددة يشربها المريض.

ـــ قراءة القرآن على ماء مضاف اليه مسك وعنبر ليستحم به المريض.

ـــ كتابة آيات من القرآن بمواد خاصة كالزعفران على ورقة تستخدم كحجاب يعلق أسفل الملابس أو تنقع ويشرب ماءها أو يستحم به و يرش في أرجاء المسكن

ـــ كتابة آيات من القرآن على جسم المريض.

فالرقية كما أشرنا تختلف باختلاف الرقاة أنفسهم وباختلاف فهمهم للرقية وباختلاف المرض أيضا فكثير ما نسمع أن هناك رقية للصرع، ورقية للحسد والعين، ورقية للسحر... وغيرها وذلك لكون لكل مرض متطلبات تكون أكثر فاعلية في القضاء عليه.

4) **الأجـــــر**: يعرف الأجر بأنه ذلك «التعويض الذي يحصل عليه الأجير مقابل ممارسته لنشاط ما»[1] وكل التعريفات الممكن الاطلاع عليها حول الأجر نجدها حتى وإن اختلفت في عباراتها فهي ترمي لذات المعنى الذي يبرز في النهاية أن الأجر هو ذلك المقابل المادي عن الخدمة المقدمة للغير.

ولكن عند الحديث عن مفهوم الأجر في عمل الرقاة سيتعدل هذا المفهوم كثيرا وذلك لكون أساسا بعض الرقاة يجعلون عملهم مجاني بحجة أنهم يبتغون وجه الله لا الماديات، كما أن هناك من يأخذ أجره دون أن يطلبه من المترددين عليه، حيث يظهر وكأن هؤلاء المقبلين عليه هم من جادوا عليه بذلك المبلغ المالي فيحاولون تقديمه بطريقة تتسم بالتخفي والتستر كأن يضعوا ذلك المبلغ تحت حاجياته على

[1] عبد الفتاح بوخمخم، تسيير الموارد البشرية، دار الهدى، الجزائر، 2011،ص 90.

مرأى منه، أو يضعونه في يده بطريقة خاصة حيث يقوم الزبون بسط يد الراقي ووضع ذلك المبلغ فيها ثم غلقها عليه وكأنه يلزمه بقبولها وعدم اظهارها.

«وعلى العموم نجد أن أجور الرقاة تتسم بالمرونة بحيث كما سبق الذكر قد تُترك لتقدير الزبون أو قد يقدرها الراقي تبعا للحالة المرضية وللمستوى الاجتماعي والاقتصادي للمريض ...وقد يزداد الأجر تبعا لشهرة المعالج ومدى اقبال الناس عليه»[1] .

ومما يمكن قوله بعد التعرف على حيثيات عمل الرقاة أن عملهم له من الخصوصية بمكان سواءا من حيث منطق العمل أو في خطواته وأهدافه وطبيعة أدائه وغاياته بل وحتى في تعامل أعضاء المجتمع معه فكلها مؤشرات تكرس تلك الخصوصية التي قد يكون لها يد في تمكينه من تحقيق الاستمرارية الاجتماعية.

سادسا: نماذج وصفية و عملية لحالة عمل بعض الرقاة.

ويمكن الاشارة هنا أن أثناء المرحلة الاستطلاعية للدراسة والحوارات مع بعض الرقاة كانت لنا تجربة مع عدّة رقاة منهم من هم ضمن عينة بحثنا ومنهم من هم خارجها.

وفيما يخص الرقاة الذين هم جزء من ميدان الدراسة (من ولاية أدرار) سيتم تفصيل طرق عملهم في فصول لاحقة*.

وعلى العموم هي حالتين أحدهما لراقي من القاهرة، وحالة أخرى لمرأة راقية من ولاية بشار وسنحاول من خلال ما يأتي تفصيل ما دار بيني وبين الراقيين معتمدة في ذلك على العملية الوصفية.

---

[1] سعاد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص 150.

* يتم ذلك ابتداء من الفصل السادس.

1) الشيخ بندر حالة عملية لنموذج عربي عن الرقاة (القاهرة):

الشيخ بندر الرّاقي* هكذا يسمي نفسه في فضاء الفايسبوك (facbook) ويقدم شخصيته أنه يمارس الرقية (معالج بالقرآن) وهو من القاهرة.

الصورة رقم (01):صفحة الشيخ بندر في الفايسبوك.

العمل: معالج بالقرآن "مجانا"

المصدر:

http://www.facebook.com/profile.php?id=1318301848&notif_t=friend_confirmed

2012/11/4، 18:30.

❖واقع عمل الشيخ بندر الراقي:

أ. **تشخيص المرض**: لقد حاول الراقي"**الشيخ بندر**" أن يسأل بعض الأسئلة لتشخيص المرض وهي مع اجابتي له كالآتي[1]:

ـــ هل تشعرين بالصداع المطول ؟ أجبته بـــ: أحيانا

ـــ هل ترين كوابيس مزعجة دائما في المنام؟ أجبته لا.

ـــ هل يظهر على جسدك بقع زرقاء أو خضراء دون سبب طبي؟ أجبته لا.

ـــ هل عند سماع القرآن يقشعر جسدك؟ أجبته أحيانا.

---

* الشيخ بندر الذي يعرض نفسه كراقي يدعوا الناس للرقية بالمجان ويضع في بياناته أنه إمام أكاديمية طيبة للعلوم ويضع أرقام الاتصال به والبريد الالكتروني وكذلك يقوم بتوجيه الناس إلى أنه يتواجد بمسجد الحق بالمعادي (القاهرة) .

[1] حوار مع الشيخ بندر ، أنظر صفحة الشيخ في الموقع التالي:

http://www.facebook.com/profile.php?id=1318301848&notif_t=friend_confirmed، **2012/11/4، 18:30.**

ـــ هل في بعض الأحيان لا يكون لديك رغبة في الصلاة وعمل الطاعات؟ أجبته لا.

ـــ هل عند سماع القرآن تجدين سخونة في الرأس أو تدمع عينيك أو تشعرين برغبة في التثاؤب؟ أجبته لا.

ب. **وصف المرض**: قال الشيخ بندر في وصفه للمرض ما يلي: أنت مصابة بالعين ولكن تأثيرها قليل جدا عليك.

ج. **وصفة العلاج**: قال لي سأعطيك برنامج علاجي وستشفين بإذن الله والبرنامج كان كالتالي:

ـــ قال تجمعين بين يديك وتقرئين الفاتحه والمعوذتين وآية الكرسي سبع مرات ثم تنفثين على يديكي 7 مرات بعد قراءة السور سبعا سبعا، ثم تمسحين على الجسد كله سبعا، ثم تقولين الأدعية التالية:

❖ **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.**

❖ **أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما درء فى الارض وشر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمان.**

❖ **أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه.**

❖ **بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.**

❖ **و أكثري من قول حسبى الله ونعم الوكيل.**

ـــ احضري ماء وضعي فيه قليلا من ماء الورد واقرئي فيه ما يلي:سورة الفاتحة والمعوذتين 21 مرة واشربي منه على الريق واغتسلي ببعض منه.

في الأخير قلت له لما قلت لي أنك مصابة بالعين تحديدا؟ كيف تشخص المرض؟ فأجاب بأن لكل داء أعراضه ومن تلك الأعراض يتم تحديد نوع المرض ووصف الآيات التي تزيله.

لكن الملفت للنظر أنني عندما سألته قائلة: إن الآيات التي يعتمد عليها في تبرير مشروعية الرقية بآيات الله (أي تلك التي تشير أن القرآن فيه شفاء للناس) هناك من يفسرها على أنها شفاء من الجهل والضلالة وليس شفاء من أسقام الجسد؛ قال الشيخ رادا على هذا التساؤل هناك تفسيرين هناك من يقول كما قلت وهناك من يفسر أن الشفاء المذكور في القرآن هو شفاء من الأسقام، حينها قلت له: هل يمكن أن تقدم لي اسم أحد المفسرين الذين فسروا أن الشفاء هو شفاء من المرض الذي يصيب الانسان" فقال الشيخ **لا اعلم الآن ولا أذكر اسما ولكن بإمكانك الاستعانة بجوجل google**.

فهو إذن مفتقد للمعلومة مع أنها معلومة هامة و أساسية لممارس الرقية فكيف يقول أن الشفاء المذكور في القرآن هو شفاء من الأمراض لذلك أن أرقي به؟ وفي الأساس هو يجهل من قدم هذا التفسير؟ وقد تكون هذه اشارة إلى أهمية البعد التكويني للراقي.

2) الحاجة كلثوم حالة عملية لنموذج الراقي الجزائري و للمرأة الراقية:

الحاجة كلثوم هكذا يسميها الجميع في ولاية بشار، والظاهر من حديث الناس عنها أن لها سيط في الولاية وأنهم يكنون لها الاعتراف بمجهوذاتها ومقدرتها على مساعدتهم في الشفاء وهي لا ترقي سوى النساء أو الأطفال وفيما يلي عرض للأبعاد التنظيمية لعملها[1]:

[1] معلومات تم رصدها من زيارة ميدانية للحاجة كلثوم الساكنة بحي سيتي حمدان ولاية بشار ،2012/11/8، 10:00 .

واقع عمل الحاجة كلثوم الراقية:

أ. **سميولوجية الراقية:** الراقية تبدو في الكهولة (لا هي بعجوزا ولا هي بشابة) ترتدي الحجاب وتتصف ملامحها بالبشاشة، وهي طريفة في كلامها حيث تلقي بعض الدعابة من حين الى آخر.

كانت الحاجة كلثوم تضع أمامها محفظة فوقها مصحف يبدو عليه القدم و بعض الأوراق التي تقرأ منها أحيانا، كما يتواجد أمامها عدد من التسابيح وقارورات الماء التي تقوم برقيها.

ب. **مكان العمل:** هو عبارة عن غرفة متوسطة المساحة تقع بالقرب من باب الانصراف (باب المنزل) مفروشة ببعض الحصير و الزرابي البسيطة ولا شيء بالمكان غير هذا، وأساسا هذه الغرفة هي جزء من مسكن الراقية اقتطعتها منه لتخصصها لأداء عملها، هذا مع العلم أن الراقية تتواجد في ذلك المكان مع زبوناتها، بمعنى لا تخصص مكانا خاصا للرقية وآخر للانتظار بل ترقي في نفس مكان انتظار الأخريات من النسوة، كما أنك عند خروجك من هذه الغرفة تجد نفسك في باحة بها مكان للوضوء لأنها تشترطه للرقية، ويوجد بتلك الباحة أيضا خزان صغير الحجم به ماء تقول الراقية أنها قامت برقيه وهو متاح لمن أراد من الزبونات الشرب منه أو الأخذ منه معهم.

ج. **مواعيد العمل:** تعمل الراقية يوميا عدا الخميس والجمعة وذلك من 8:00 الى 12:00 ثم من 14:00 الى 16:00.

وفي صدد حديثها لنا عن مواعيد عملها قالت الحاجة كلثوم لا أريد من يأتيني بيوم الخميس والجمعة، وهي كما تشير أيضا أنني أقول هذا دائما ولكن أحيانا يفرض عليّ النسوة المقبلون في هذين اليومين العمل فيهما مثلكم أنتم مشيرة بالحديث الينا نحن الحاضرون (لأنه عند دخولي عليها وكان كما سبق الذكر يوم خميس مباشرة توجهت لي بالقول لماذا أتيت بيوم الخميس وأنا لا أعمل فيه؟ إلا أنها رضيت

باستقبالنا بعد علمت أننا لسنا من الولاية وأتينا من بعيد وهكذا كان حال النسوة اللاتي كنا هناك اذ كانوا يجهلون بعدم عملها بهذا اليوم).

ثم قالت يوم الخميس أكون فيه بحاجة الى قضاء حاجيات خاصة بي كغسل الملابس وتنظيف هذه الغرفة (مشيرة الى غرفة عملها) والقيام ببعض زيارات المجاملة "تبريك تعزية...الخ أما عن يوم الجمعة فتأتيني فيه بناتي لقضاء هذا اليوم عندي لذا أنا لا أريد العمل فيهما.

د. **خطوات العمل**: أول شيء تأمرك الراقية بالوضوء إن لم تكن متوضأ ثم ترمي لك سبحة وتقول لك اقرأ المعوذتين في السبحة (أي أن تسبح بالمعوذتين) فتقرأ في كل واحدة من فقرات السبحة سورة الفلق الى أن تنتهي السبحة، ثم تعيد التسبيح وهذه المرة بسورة الناس.

وعندما يحين دورك تتقدم عندها، حيث تستلقي أحد الزبونات على يمينها والأخرى على يسارها ثم تقوم بتغطية عينيك برداء وتسألك عن اسمك وتضع يدها فوق رأسك وتتمتم بشفتيها وفي بعض الأحيان تكون تمتمتها موازية لتقليب صفحات المصحف صفحة صفحة فهي تقلب أوراقه فقط دون القراءة منها، ثم تسألك هل تشعر بشيء وإذا ما أجبتها بنعم مشيرا الى مكان الألم في جسدك تحول يدها من الرأس الى مكان الألم في جسدك مواصلة الرقية، وأحيانا تضع يدها أسفل القفص الصدري محاولة الضغط قليلا في ذلك المكان وتسألك إن كنت تشعر بشيء من الألم هناك.

وهي تقوم برقيتي قالت لي هل ترين شيء؟ قلت لا، ثم قالت هل تشعرين بألم ما؟ قلت لا، ثم واصلت القراءة، مع العلم أنها تقضي ما يقارب نصف ساعة في رقية الشخص الواحد وبعدها قالت لي والآن هل تشعرين بشيء؟ قلت لا مرة أخرى، قالت لي إذن الحمد لله على صحتك ومع ذلك قدمت لي وصفة أشير اليها لاحقا.

كما أن الراقية بعد الانتهاء من رقيتك تأمرك بالعودة فتقول لك عليك أن ترقي ثلاث مرات متتالية لتتأكد من سلامتك فعليا.

و على العموم كان أغلب الحاضرين لا تبدوا عليهم أي أعراض عند الرقية، إلا حالتين أحدهما كانت تقول للراقية أشعر بألم في جسدي وتطلب من الراقية أن توقف القراءة فتقول لها الراقية لا اصبري لم يبقى الكثير.

والحالة الأخرى بدأت في التقيؤ والتقيؤ المستمر، والراقية تواصل رقيتها في حين بدأت تلك المريضة في التعرق الشديد ثم بدأت تظهر نوعا من المقاومة كي تبتعد عن الراقية إلى أن تقدمت أحد المرافقات لتلك المرأة بمسكها بقوة وهي تستمر في تقيئها، وكلما تتقيأ تأمر الراقية تلك المرافقة لها بأن تحاول اجبار المريضة على شرب ماء الرقية وتشرِّبه لها عنوة، وفجأة بدأت المريضة تنطق بكلمات **عربية فصحى** قائلة: "**يكفي يكفي فقد أرهقتني وأرهقتها يكفي لقد خرجت**" فردت الراقية عليها طالما خرجت من يتكلم معي الآن؟ ففهمنا من هذا الرد أنها لا تُكلم شخص المريضة وإنما الجني المتلبس بها، ثم استمرت الراقية في تمتمتها وكّي المريضة بعود البخور* وجعلها تستنشق رائحته من حين لآخر، وهكذا استمرت الراقية في عملها إلا أن استكانت المريضة وهدأت من مقاومتها.

وصفة العلاج: الراقية تعطي للجميع قارورات من الماء المرقي وتأمرهم بالاستحمام والشرب منه .

و على العموم لكل مريض وصفته الخاصة به بين شرب منقوع ما، أو بخور أو دهانات من الزيوت، كما أن هناك من تقدم له العسل المرقي؛ فمثلا وهي تقوم برقيتي تقدمت اليها أحد الزبونات التي دخلت لتوها واقتربت من الراقية وقالت لها بصوت لا يصل الى الحاضرين هذه بعض ملابس أولادي احضرتهم لك لرقيتهم لأني

* المسمى بالعامية عود لقماري.

هذه الأيام أراهم في حالة من العبوس الدائم فقالت لها الراقية قلت لك بخري المنزل (بالشب وأم الناس)* عندما يكونون في المنزل.

فهي وصفات كما نلاحظ لها علاقة مباشرة بالأعشاب وبعض المركبات التي يُحضّرها العطارين.

الأجـــر: الحاجة كلثوم لا تأمر أحد بتقديم مقابل مادي لها ولا مقابل عيني، ولكن من يقوم بتقديم ذلك لا ترده، وكل من رقى يقوم بشكل آلي بتقديم مبلغ هو حسب تقدير الزبونات مبلغ بسيط.

ولكن طريقة تقديمه لا تكون كأي طريقة تقديم عادية من اليد الى اليد بشكل واضح بل تقوم الزبونة بوضع ذلك المبلغ تحت حقيبة الراقية محاولة عدم كشفه من يدها الى أن تضعه وبحركة سريعة تضعه وتنصرف، أما موقف الراقية في ذلك فهي لا تعارض بأي فعل ولا بأي كلمة بل تبقى صامتة مُظهرة عدم الاهتمام لما تقوم به الزبونة.

من هذا نجد أن لكل راق نظرته الخاصة لأسلوب الرقية ونمط العلاج ووصفاته، وكذا حتى في غايته من الرقية هل العمل الخيري (العبادة) أو العمل المأجور.

* نوع من الأحجار تباع عند العطارين.

خلاصة الفصل:

تشير الرقية الى ذلك العلاج القرآني والنبوي اللذين يعطيانها صفة الشرعية الاسلامية محاولة بذلك تجاهل كل من يقوم بممارستها بعيدا عن هذين المصدرين، وبطبيعة الحال هذا على الصعيد النظري والعلمي والديني؛ ولكن الرقية كممارسة اجتماعية نجد أن لكل له وصفه لها ولكل طريقته وأسلوبه ومبرراته التي يضفيها عليها لاكتساب الاعتراف الاجتماعي بوجوده.

والرقية كما هو معروف يقصدها الأفراد للعلاج من بعض الأمراض العضوية و النفسية و الميتافيزيقية، وقد يكون سبب ترددهم عليها أيضا لغاية التحصين من المرض وإبعاده قبل حدوثه.

هذا على اعتبار أن المرض لم يعد ذلك الطرح البيولوجي المحض، بل أصبح له مسببات سوسيوثقافية تكرس وجوده في مجتمع دون الآخر، أو في طبقة اجتماعية دون الأخرى، أو في نمط ثقافي دون غيره.

وممارسة الرقية كنشاط اجتماعي له بعده السوسيوتنظيمي أيضا والذي يتجسد في مواعيد العمل، وأسلوب العمل وآلياته، والأجر... وغيرها من المتغيرات المحكمة لهذا النمط من النشاط الذي يتميز بالكثير من الخصوصية.

ولكن برغم خصوصيته إلا أنه لم يقتصر على جنس دون الآخر ومثال ذلك "الحاجة كلثوم" و"الشيخ بندر" اللذين سبق الاشارة اليهما، هذا مع أنه يبقى للوسط السوسيوثقافي تأثيره الواضح في واقع الرقاة، سواء من حيث نوع المشاكل الموجودة في مجتمع دون الآخر، أو في مواطن استجابة الفاعلين الاجتماعين لعلاج دون علاج بالاضافة إلى مؤشرات عدة تعطي لعمل الراقي حيزه الاجتماعي الذي لا يعوضه نشاط آخر بحسب الرؤية الشعبية.

الفصل الرابع

واقع عمل الرقاة في الجزائر من خلال المدخل السوسيوقيمي

تمهـــــــــيد:

إن من أهم ميزات الظاهرة الاجتماعية أنها لا تثبت على حال، بل هي متقلبة بتقلب الحقب الزمنية، بل وليس ذلك فحسب بل نجد أنها تتبدل أيضا بتبدل المكان، لذا نجد أن الحديث عن واقع مكاني ما من شأنه أن يؤثر لا محالة على خصوصية الظاهرة قيد الدراسة.

لذا من الطبيعي عند الحديث عن ظاهرة عمل الرقاة نجد لها من الخصوصية بما كان في الواقع الجزائري، وذلك كون للمجتمع الجزائري مسيرة تاريخية خاصة به، وكذا قيم و أطر ذهنية محلية، هذا ناهيك على أن للواقع الجزائري مشكلاته النابعة من ثغراته الذاتية المرتبطة به هو تحديدا، فكل هذا من شأنه أن يجعل لظاهرة الرقاة في الجزائر مسارها الخاص ووجودها الاجتماعي الخاص أيضا.

إذن هذا ما سنحاول من خلال هذا الفصل تحليله وذلك بتوضيح ملامح العلاقة بين عمل الراقي والواقع الجزائري، وذلك دائما في ربطه بالبعد القيمي الذي هو البعد الأساسي لتحليلنا فنحن دائما نريد النظر لهذه الدراسة بمنظار القيم في ظل الخصوصية الجزائرية.

أولا: الواقع القيمي للمجتمع الجزائري والتمهيد لظاهرة الرقاة (طرح سوسيوتاريخي):

1)مرحلة التواجد العثماني في الجزائر (قيم الكرامات والتبرك):

إن الطرح التاريخي للمجتمع الجزائري يقرّ ـــ بما لا شك فيه ـــ أنه مجتمع تعرض لتوافدات عديدة (منها ما هو أجنبي و منها ما هو عربي) حيث أفرزت في كل مرة جملة من المظاهر التي تباينت بتباين خصوصية تلك الحضارة الوافدة، إلاّ أنه ما يهمنا هنا هو التوافد العثماني على وجه التحديد والقصد، و ذلك لكونه خلف في الجزائر العديد من المعتقدات والقيم الخاصة وأحدث بنية اجتماعية متميزة عن غيرها خاصة في بعدها الثقافي.

إذ من ما هو معروف عن العثمانيين أنهم حاولوا الاهتمام بذاك الجانب (الثقافي) وتدعيم مؤسساته المختلفة ومنها الزوايا و الطرق الصوفية «فهذه مدينة الجزائر عاصمة الدولة على سبيل المثال كانت تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين ..وتثبت الاحصائيات أن عدد الزوايا والأضرحة ونحوها كان يفوق عدد المساجد والمدارس فقد كان بتلمسان ونواحيها أكثر من ثلاثين زاوية في آخر العهد العثماني»[1] .

وعند ذكر الزوايا تتبدى في الذهن جملة من المفاهيم المرتبطة بها كالكرامات مثلا والتي نعني بها تلك الخوارق التي يدعيها شخص ما والتي يحاول أن يبررها بأنه بار بالله فمنحها الله له «حيث قد شاع في أوساط العامة أن الولاية (الولي) التي تعني أساسا في المفهوم الاسلامي الايمان والتقوى لا تتم إلاَ مع الخوارق المـــُلغية لقانون السببية...لذلك كثر الحديث عن كرامات الأولياء وضرورة الايمان بها إلى حد مستغرب، ويكاد يبطش بمن ينكر خارقا نسبوه إلى أحد رجالهم والعجيب أن أغلب كتبهم جعلت الايمان بهذه الخوارق من معالم الصراط المستقيم»[2].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500ـــ1830 ، دار البصائر، ج1، الجزائر، ب ت، ص ص 162 ــ 166.

[2] حسن علي خاطر، المجتمع العربي المعاصر، دار الشروق، الأردن، 2001،ص 89.

«فقد عرف العثمانيين بذلك ما يسمى بالقبة وجمعها قباب، وهي عبارة عن أضرحة مبنية عليها مباني مربعة صغيرة تعلوها قبة ويتوسطها قبر رجل يشهد له بالصلاح ...وكانت هذه القبور تغطى بزرابي متنوعة ومتعددة وكان بعضها يفرش حول القبر حيث يجلس عليها الزوار حين يأتون للتبرك ولتقبيل القبر ...وفي الأصل كان لهؤلاء الأولياء دور بارز في الحياة المدنية سواءا في الناحية الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، فقد كان الأولياء يُظهرون البعض من الكرامات والخوارق التي يكتسبونها بفضل مكانتهم الخاصة عند الله وذلك بتنسكهم وتعبدهم ولهذا كانت أوامرهم عند الناس مطاعة، حيث يلجأ اليهم لحل النزاعات الاجتماعية والقبلية والحصول على الرأي السديد، والدعاء عند العزم على فعل شيء مهم»[1]

من ذلك نجد أن العهد العثماني كان عهدا لتكريس القيم الغيبية التي كانت تقدم في غلاف ديني غايته اقناع العامة بمضمونه بل وأكثر من ذلك «حيث إضافة الى تقديس الكرامات قد أفرزت معتقدات أخرى مشابهة مؤداها أن تلاوة الأوراد من الكتاب أو السنة أو تأليف المشايخ تصنع العجائب وتنزل البركات وتغني عن الأخذ بالأسباب، ومن أمثلة ذلك ما كان سائدا في العهد العثماني حيث كان يأتى ببعض العلماء ليقرؤوا صحيح البخاري في سفن الأسطول التركي حتى تحصل البركة و الحقيقة التي تجاهلها هؤلاء كما يقول "**الغزالي**" أن الأسطول يسير بالبخار لا بالبخاري»[2].

وهكذا ظل العثمانيون يقدمون للمجتمع الجزائري نسقا ثقافيا مفعم بالقيم الميتافيزيقية ذات الطرح التيولوجي، الأمر الذي شكل لحقبة من الزمن أسلوب تفكير الجزائريين اللذين ظلوا على ذلك الوضع حتى في الفترة الاستعمارية الفرنسية التي كانت تستغل تلك الافكار التي كانت تصل أحيانا لدرجة الخرافة وذلك بغية

---

[1] **مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 21 .**

[2] **نفس المرجع، ص 89 .**

إبقاء المجتمع الجزائري متخلفا منشغلا بها، بل وقد شجعت قيام تلك الزوايا البدعية التي كانت تخدم مصلحتها بتظليل الفرد الجزائري وإبعاده عن الصورة الحقيقة للوضع، حيث انطلاقا من هذه القيم كانت الزوايا العميلة للاستعمار تُسوّق لفكرة أن الوجود الفرنسي قدر من الله، والمؤمن يرضى بالقضاء والقدر خيره وشره وهكذا يُكرس التظليل بالقول أن التواجد الفرنسي في الجزائر مرده إلى الارادة الربانية التي تعد قوى خارقة للعبد ومن واجبه الانصياع لها من باب التصديق والإيمان الخالص للرب، هذا الأمر الذي نلمح فيه انعكاس واضح لتلك القيم الغيبية التي كما سبق لنا الذكر قد حقنها التواجد العثماني في جسد الكيان الجزائري واستمر أثرها بفعل عوامل فرنسية قد دعمته لغاية واضحة هي تكريس الخنوع والخذلان في الواقع الجزائري.

2) مرحلة الدروشة الجزائرية (قيم الوثنية):

تعد مرحلة الدروشة بمثابة صباح كان ليله الوجود العثماني أي أنها مرحلة هي أساسا تعد من إفرازات العثمانين حيث يرى **"مالك ابن نبي"** أن من ميزات هذه المرحلة أن أرواحنا ظلت مكدسة في محيط الطلاسم والخيال، أين مازالت الاعتقادات متواصلة في دراويش المجتمع (البهلول) والذي يعتقد في أنه يقول كلام غير عادي، بل كلام له قداسته ومهابته وأنه كلام نوراني، وكأن قوة خارقة أنطقته، هذا بالإضافة الى اعتقادات الحروز والتمائم لطرد الشرور «فقد كان هذا شأن الجزائر حتى عام 1925 فعلى الرغم من اسلامها هي تدين بقيم الوثنية التي قامت بنصبها في الزوايا حيث هناك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات»[1].

[1] **مالك ابن نبي،مرجع سبق ذكره، ص 30.**

فكما نلاحظ لازال في هذه المرحلة أيضا التفسير الغيبي للمشاكل الاجتماعية وللأمراض مستمرا في الواقع الجزائري بل وقد بلغ ذروته، ويبقى على هذا الحال إلى أن قامت حركات الاصلاح التي جعلت القضاء عليها أهم أهدافها «وبالفعل فقد خمدت نيران أهل الزردة وزالت عن البلاد حمى الدراويش وتخلصت منها الجماهير بعد أن ظلت طول خمس قرون ترقص على دقات البنادر وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام ...وهكذا كانت محاولات الاصلاح في تخليص الجزائر من كابوس قيم الوثنية»[1] إلا أننا عندما نتحدث عن الاصلاح فإننا نتحدث عن تحسُن في الأوضاع، وقد لا يكون القضاء جذريا بالضرورة الأمر الذي يجعلنا نرى الى يومنا هذا قيم التفكير الميتافيزيقي في ذهنية المجتمع الجزائري في جوانب معينة ولدى فئات دون الأخرى.

3) مرحلة الالتفاتة الدينية الصارمة (قيم السلفية الجهادية):

إنه في زخم كل تلك الطقوسيات والذهنيات والقيم الخرافية والوثنية السابقة الذكر كان لابد من ردة فعل اجتماعية أن تظهر بين الحين والآخر، الأمر الذي تجسد في الحركة السلفية* التي رأت أن في ذلك كله خروج عن الاطار الديني الأول.

وبهذا شكلت هذه الحركة في الجزائر وجها من وجوه المطالبة بالعودة للأصول الدينية وقد قامت بطرح جملة من القيم التي مضمونها العودة إلى حياة السلف الصالح في مختلف جوانب الحياة، وبذلك ضرورة تسيير البلاد وفق النهج السلفي «لأن الدولة حسبهم آنذاك قد أبعدت الاسلام من أن يكون مصدر الهام لصياغة معالم مستقبل الجزائر»[2].

---

[1] نفس المرجع، ص 31.

* السلفية نسبة الى السلف الصالح و هو تعبير يراد به المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام.

[2] عروس الزبير، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص 499.

الأمر الذي طرح خطابا دينيا حاول أن يضع خطوطا حمراء عديدة في حياة الفرد الجزائري ودعاه إلى الالتزام بها جبرا، لأنه بحسبهم تلك هي صورة الاسلام ومن لم يلتزم بها فهو خارج عنه أو مرتد، وقد كانت ضرورة الالتزام أمر لا بد منه حتى وإن كان ذلك بالعنف الذي كان توجهاً للسلفية الجهادية التي كانت مصدر رعب في الواقع الجزائري خلال عشرية من الزمن وسمت بالسوداء لفضاعة الوضعية الجزائرية آنذاك ولكثرة الهلع والقتل والرعب بين أوساط الجزائريين .

هذا الذي الوضع المتأزم الذي لا يكاد ينسى مطلقا لهوله وتدهور الأوضاع الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية للجزائريين حينها، ولكن هذا الأمر بالرغم من قساوته ورفضه من طرف الجزائريين إلا أنه لفت الأفراد الى "**العنصر الديني**" ولكن بقيم تعد خاصة في مضمونها (قيم دينية بتأويل سلفي) وبذلك كانت هذه المرحلة بادرة من بوادر بداية اعلاء القيم والتفسيرات الدينية للواقع المعاش هذا بعد أن كان التفسير الخارقي والمعجزة أساس كل تفسير.

4) مرحلة الانتعاشة الدينية المنفتحة (القيم الاسلامية):

إن المقصود هنا بالصحوة الاسلامية ذلك الانتشار الواسع لنطاق التفسير الديني والذي مس كل مجالات المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ...وغيرها، إذ كان من مظاهره انتشار الفضائيات الدينية المتخصصة، والمواقع الالكترونية الإسلامية، وكذا موجة الدعوة إلى الحجاب و انتشار الدعاة (نساءا ورجال، شبابا وشيوخ)...ومظاهر أخرى عديدة.

وقد كان للجزائر أيضا نصيب من تلك الصحوة أين بات الفرد الجزائري يبدي حرصا اتجاه الدين «وأصبح المقوم الديني يتدخل أكثر من أي مقوم آخر في

تبلورات وتشكلات الهوية الثقافية للجزائريين وبذلك قد عرف هذا المقوم انتعاشا ونشاطا متجدد على حساب باقي المقومات الأخرى»[1] .

وبذلك زاد الوعي الديني وخرجت الجزائر من مرحلة القهر المبني على قيم السلفية الجهادية إذ أصبح هناك نوع من المرونة في تقديم الدين والإقناع به، بل وحتى هذه الأخيرة (السلفية الجهادية) قررت تغيير أسلوبها ومنطق دعوتها فظهر بذلك ما يسمى "**بالسلفية العلمية**" التي حاولت نشر قيم السلفية بالكتب والمناظرات والقنوات التلفزيونية لا بالقتل والتعنيف، وبهذا أصبحنا نرى خطابات دينية عديدة بعد أن كان الوضع رهين خطاب ديني واحدا أو اللاّخطاب.

«إذن إننا نعيش الآن بقيم دينية منفتحة ومرنة، حيث تعد هي السائدة إذ قد أنتجتها نخبة من المفكرين والجامعيين من أصحاب التوجه الاسلامي الذي يدعو إلى أسلمة العلوم والمعارف وعن طريق وسائل متعددة يحاول توجيه المجتمع خاصة أصحاب الثقافة الشعبية إلى استهلاك هذه الأفكار... إننا الآن عندما نتجول بين المكتبات العمومية يدهشنا الكم الهائل لعناوين الكتب والمجلات الدينية، وكذا الأشرطة السمعية والأقراص المضغوطة، ناهيك عن القنوات التلفزيونية التي تعمل على نشر هذه القيم الدينية ومحاولة إحياء التراث العربي الاسلامي خاصة منها تلك التي ترضي حاجات العامة من الناس وتقدم لهم اجابات عن تساؤلاتهم المتزايدة يوما بعد يوم»[2].

وبذلك نجد أن الجزائر قد استفادت من موجة الاصلاح ومن موجة الصحوة التي كان هدفها اقصاء قيم الوثنية والقيم الخرافية وكل العادات والتقاليد السلبية فيه.

---

[1] خواجة عبد العزيز، «الدين،التاريخ، الثقافة:أي علاقة؟»، مجلة الحقيقة، منشورات الجامعة الافريقية،أدرار، العدد 18،2011 ،ص337.

[2] العماري الطيب، «التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية»، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول بعنوان: الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري،ورقلة، 2011 ص441.

5) قيم المراحل السوسيوتاريخية للجزائر والسير نحو تواجد الرقاة:

إننا من خلال التتبع السوسيوتاريخي الآنف الذكر نستشف أنه لكل وضع تاريخي مرت به الجزائر جملة من الافرازات القيمية، التي تتميز بنوع من الخصوصية النابعة أساسا من خصوصية المرحلة التاريخية ذاتها.

حيث بتواجد الوفود العثمانية تكرست قيم الكرامات والتبرك وهي قيم ميتافيزيقية في مضمونها، اذ جعلتنا نستشف أن أفراد المجتمع الجزائري تحت ظل العثمانيين كانوا يرون أن الحل لمشاكلهم والشافي لأمراضهم هي تلك البركات والكرامات.

وبأفول الوجود العثماني الذي ترك وراءه ترسانة ثقافية مُخزنة بجملة من القيم التي هي بحسب **"مالك ابن نبي"** تعد قيما وثنية امتزت بقيم الدروشة في محتوى اجتماعي واحد هو الواقع الجزائري، وبذلك نرى أنه تستمر معنا افرازات الذهنية العثمانية إذ يرى هنا المجتمع الجزائري أن الحل لمشاكله والمطبب لأمراضه هو دعوة من الدراويش أو تمسح بقبة ولي وهي فرصة بالمرة لظهور طبقة السحرة و المشعوذين الذين شدوا اليهم طبقة عريضة من المجتمع الجزائري.

لتأتي مرحلة الانعراج وبروز حركات الاصلاح الهادفة إلى قتل القيم الميتافيزيقية الوهمية والقيم الوثنية لصالح القيم الدينية الاسلامية، وبذلك قدمت السلفية الجهادية نفسها أنها هي المخلص من تلك الممارسات الغيبية الشركية بزعمها، فدعت بذلك إلى العودة للسلف الصالح في كل ممارساتهم، ومن ما هو معروف أن حدا السلفية هما **(القرآن والسنة)** الأمر الذي بدأ يلوح بأصابع الاتهام الى المشعوذين وضرورة اقصائهم وعدم الخضوع لمغرياتهم ووعودهم التي لا تجعل من القرآن عمدا ولا من السنة مكملا.

هذا الأمر الذي دعمته الصحوة الاسلامية المدعمة بوسائل الاعلام، والدعاة، والمواقع الالكترونية الدينية...وغيرها، حيث حينها حلت القيم الدينية (الاسلامية) محل القيم القديمة وأصبحت هي الموجه للسلوك الاجتماعي للفرد الجزائري.

وحينها أصبح هذا الأخير (المجتمع الجزائري)يرى أن الحل لمشاكله والشافي لأمراضه هو القرآن والطب النبوي بعد أن كان يقترح لها حلولا أخرى غير ذلك، الأمر الذي نجد فيه أنه يدعم فكرة وجود المعالجين بالقرآن وهم ما يعرفون "**بالرقاة**" هذه الفكرة التي أوجدت لنفسها مكانا في المجتمع الجزائري الذي تعد القيم الروحية أهم مأطراته.

وبذلك خلص المجتمع الجزائري بتبنيه للقيم الاسلامية إلى أن "**الراقي**" هو المعالج الذي يعطيه الشرعية الاجتماعية ضمن نسق الطب الشعبي، وبذلك هو يحاول أن يضفي عليه نوعا من الاعتراف الذي نلمسه بعدد المقبلين عليه، وبهذا يحل الراقي محل الولي ومحل المشعوذ وهو الدور الذي لم يقصي هذين الأخيرين جملة وإنما خفف من تواجدها في الواقع الجزائري.

ثانيا: أهم العوامل المساعدة في توسيع قاعدة الرقاة في الجزائر:

عرف المجتمع الجزائري جملة من التغيرات التي مست جل مجالاته السياسية والاقتصادية والدينية ...وغيرها، وكل تلك التغيرات كانت تفرز في النهاية وضعيات مستحدثة غير معهودة في المجتمع، وبهذا طفت على اثر ذلك جملة من الظواهر الاجتماعية التي تعد ظاهرة الرقاة احداها.

والتي ساعدت على انمائها بعض العوامل أهمها الفضائيات الدينية، واستمرار التنميط السلوكي النابع من المثل الشعبي، وكذا صحوة الخطاب الديني وتنوع شكل انتظاماته... وغيرها من العوامل الاجتماعية الأخرى.

وعلى العموم سنحاول في ما يلي التركيز على بعضها في علاقتها بالرقية:

1) موجة الفضائيات الدينية وبروز الرقية الفضائية:

إن المد الفضائي في عصرنا الحالي قد اتسع نطاقه وتنوعت مجالاته، فبعد أن كانت هناك قنوات غربية في معظمها أصبحت هناك قنوات عربية أيضا بل وإسلامية كذلك، ولكنها كانت فضائيات متنوعة في مادتها الاعلامية أي أنها تقدم نفسها لكل شرائح المجتمع، والآن أصبحنا نرى حالة التخصص في تلك الفضائيات فمنها مثلا ما هو خاص بالأطفال فقط وآخر بالقرآن فقط وآخر بالأخبار وهكذا.

«وعلى العموم ما يهمنا هنا أنه قد أضحت الشاشة العربية تزخر بالعديد من القنوات الفضائية الاسلامية بعد أن كانت قنوات معدودة...فقبل أحد عشر عاما أعلن عن انشاء قناة "**إقرأ**"* الفضائية الاسلامية كأول فضائية اسلامية متخصصة معلنة بذلك دخول نوع جديد من الفضائيات للمشاهد العربي، تنامت بعد ذلك الأفكار ليزيد عدد القنوات الاسلامية عن 80 قناة في عام 2010»[1].

ومما لا يخفى على أحد أن الاعلام أصبح له تأثير عميق في التوجهات والأذواق والقناعات بل وحتى في تعديل القيم التي قلنا عنها سابقا أنها تتميز بصعوبة الاقتلاع والتغيير حيث من مظاهر تأثيره نجد أنه قد ساهم في خلق القيم التالية[2]:

- ظهور قيم السلبية والانعزالية والاغتراب عن المجتمع.
- تحوير القيم الدينية وإعطاء نماذج متباينة من النموذج الديني.
- التحرر من القيم الأخلاقية وظهور المحاكاة الغربية.
- اعلاء القيم المادية وقيم الكسب السريع في مقابل القيم الروحية.

---

* تأسست قناة "إقرأ" الفضائية في 21 أكتوبر 1998 (أنظر موسوعة ويكيبيديا الالكترونية) أي الآن مر عليها مدة 15 سنة، مع أنه تم ذكر مدة 11 سنة في متن العرض وذلك لأنه كلام مقتبس وبالأكيد هي 11 سنة من سنة التأليف وليس من سنة 2013.

[1] علي محمد العمري، «واقع الفضائيات الاسلامية في العالم العربي»، المجلة الدولية للدراسات الآسيوية ، جامعة كيبنغاسان، ماليزيا العدد الثاني، المجلد 3، 2011، ص 103.

[2] محمد علي البدوي، دراسات سوسيواعلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 2006، ص ص 281، 282.

هذا بالإضافة إلى بعض المزايا الايجابية، إذ لا يمكن القول أن كل ما يقدمه الاعلام هو سلبي بالضرورة؛ ولو نبقى في المجال الديني دائما نرى أن موجة التخصص قد طالته أيضا حيث هناك فضائيات متخصصة بالسنة النبوية، وأخرى بالقرآن الكريم وأخرى بالفرق الدينية (السلفية، الشيعة...) ناهيك عن قنوات الوعظ والإرشاد والأناشيد الدينية، وكذا قنوات الرقية الشرعية.

هذه الأخيرة التي باتت تنتشر عاما بعد الآخر ونذكر منها قناة الرقية الشرعية المسماة **"قناة الحقيقة"** للـــراقي **"محمد بن راشد الهاشمي"**[*] التي عرفت انتشار كبيرا في الوسط الجزائري وأصبحت تقنع الأفراد بشرعيتها وأهميتها بأساليب متنوعة كعرض تصريحات (reportages) لحالات شفيت من أمراض خطيرة كالسرطان مثلا أو أي ورم خبيث أجزم الأطباء أنه لا يشفى منه المريض، أو أن تعرض مريضا ما تمارس عليه الرقية على القناة مباشرة بحيث يرى من خلالها المشاهد الأثر الذي يحدثه على المريض من هذيان وتقيء ...وغيرها مما يعطي للمشاهد بذلك ثقة في فعالية العلاج .

كما تقدم هذه القنوات الرقية مباشرة يرددها الشيخ صاحب القناة والتي يعمل الأفراد على سماعها من التلفاز مباشرة وكأنه في حالة الإسترقاء، الأمر الذي يوفر جهذ التنقل للمعالجين وينقذ الفرد من الابتزاز المالي الممكن التعرض له من بعض المعالجين.

[*] **لقد تم البحث في شخصية هذا الراقي ولكن لم يتم الحصول على معلومات جدية حولها، بل كل المعلومات المتحصل عليها (في حدود اطلاعنا) هي عبارة عن معلومات مترامية هنا وهناك في المواقع الالكترونية وهي معلومات متضاربة، فمثلا هناك من يرجع أصله من اليمن وهناك من يرجعه أنه سعودي ودرس في اليمن كما هناك من يتهمه بالشعوذة وهناك من يشير أنه تم اكتشاف شعوذته وسجن، كما هناك من يشيد به وبفعالية رقيته وفي النهاية تم اجتناب اعتماد تلك المعلومات في هذه الدراسة لأنها معلومات تفتقر الى الجدية و الدقة وليس لها سند موثوق.**

الصورة رقم (02): صورة للراقي محمد بن راشد الهاشمي.

المصدر: موقع **http://hespress.com/faits-divers**، **2013/1/24**، **12:30**.

2) المثل الشعبي الجزائري وتكريس الرقية:

يعد المثل الشعبي جزء من التراث الشفهي للمجتمع إذ من خلاله يمكن التعرف على ذهنية المجتمع وأسلوب تفكيره وقناعاته بشكل عام «والأمثال من حيث مضمونها تمتد لتشمل كل جوانب الحياة الانسانية وتعبر عن خبرة الانسان والجماعة في مواجهة المواقف المتعددة، وهي من حيث شكلها سهلة الحفظ والانتشار ومن ثمة يسهل الاستشهاد بها عندما يقتضي الموقف ذلك...اذ هي أقوى ما يستطيع أن يدلى به لتدعيم وجهة النظر فهي بمثابة العرف الذي أتفق عليه الناس في أقوالهم»[1].

«وتعد الأمثال أيضا عبارة عن نماذج لغوية تعبر عن التجربة الانسانية للأفراد التي من خلالها يستطعون ترتيب أولوياتهم القيمية المترسخة على شكل تراكمات تاريخية و مورثات ثقافية»[2].

وكثيرا ما يثق أفراد المجتمع بالمثل الشعبي خاصة تلك الطبقات الاجتماعية البسيطة في مستواها التعليمي والثقافي، وقد يزداد التمسك أيضا لدى المناطق الريفية أكثر من المدينة وعلى العموم ما يهمنا هنا هو جملة الأمثال التي تشجع الأفراد للتوجه

---

[1] فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص **167**.

[2] فالح شبيب العجمي، تحت القشرة (دراسات في الثقافة والموروث)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، **2008**، ص **150**.

نحو الإستطباب الشعبي والتوجه نحو المعالج الأنسب ونذكر منها مثلا الأمثال التالية[*]:

"**كَمْ مَنْ قُبَة تَنْزَارْ ومُولاَهَا فَالنَارْ**" وهو مثلا يحيلنا إلى تعدّل الرؤية المجتمعية وإبعاد الأفراد عن محاولة الاستشفاء والتبرك بالأولياء .

"**سَبَّبْ يَاعَبْدِي وَأَنَا نْعَاوْنَكْ**" وهذا المثل هو في الأساس يشير الى ضرورة الأخذ بالأسباب ولكن على المستوى الشعبوي يوظف أكثر شيء عند الرغبة في العلاج الشعبي ويقولون "**رَانِي رَايَحْ نْسَبَّبْ**" فكلمة "**نْسَبَّبْ**" تعني طلب المداواة من طبيب شعبي سواءا مشعودا أو راقيا.

ومما هو ملاحظ في الواقع الجزائري أن منطق الأمثال يميل إلى تعزيز أهمية الجانب الشعبوي لا العلمي فمثلا يقال "**سَالْ لَمجَرَبْ وَلاَ تْسَالْ الطْبِيْبْ**" بمعنى صاحب التجربة أدرى وأعرف حتى وإن لم يكن متعلما وهو ما جسد في شخص الطبيب، وهذا ناهيك عن عدة أمثال أخرى كتلك التي تشجع على التداوي بالأعشاب كقول "**لِي مَعَنْدُو أُمُو يْدِيْرْ أُمُوْ الحَلْبَة**" و"**العَرْعَارْ مَا يْخَلِي عَارْ والبَسْبَاسْ مَا يْخَلِي بَاسْ**" وهنا اشارة لنبتتي العرعار والبسباس وأهميتهما الطبية بحسب الممارسة الشعبية.

فإذن نجد أن من ما لا يمكن انكاره هو الأثر الفعلي لهذه الأمثال على مجمل سلوكات الأفراد وذلك بتوجيه أفعالهم وقناعاتهم بغض النظر إن وعينا ذلك أم لم نَعِـــيه.

[*] الأمثال تم التعرف عليها من خلال تفاعلات الحياة اليومية في مناسبات متفرقة (ليس لها بالضرورة علاقة بالبحث)كون الباحث جزء لا يتجزأ من البيئة المجتمعية التي هي قيد دراسته.

3) الذهنـــــية الجزائرية واحتضان عمل الرقاة:

إن أي نسق اجتماعي لا يمكن له أن يحقق الاستمرارية إلا إذا احتضنه المجتمع واعترف بشرعية وجوده، هذه الشرعية التي قد تحتكم لعدة عوامل منها ذهنية الأفراد و أنماط تفكيرهم التي بها يتحقق التقبل أو الرفض لذلك النسق الجديد.

وبالحديث عن أنماك التفكير يمكن لنا الرجوع إلى اسهام **"أوجست كونت"** في طرحه لقانون الحالات الثلاث أين رأى أن المجتمعات تتطور خطيا من التفكير اللاهوتي إلى التفكير الميتافيزيقي ثم أخيرا إلى التفكير العلمي أو الوضعي (بحسب وصفه الخاص) وذلك على اعتبار أن المجتمعات الحالية هي مجتمعات المعرفة العلمية أو مجتمعات وضعية.

ومن ما هو معروف أن أهم انتقاد وجه له في ذلك هو كون تلك الأنماط من التفكير لا تتطور بالضرورة خطيا، بل قد نجد في المجتمع الواحد في الآن ذاته تلك الأنماط الثلاث معا وهذا ما نرى أنه يمثل حال الذهنية الجزائرية التي هي ليست ميتافيزيقية خالصة ولا دينية خالصة ولا علمية خالصة أيضا، بل المجتمع الجزائري هجين من الأنماط الثلاث، هذا الأمر الذي نرى أنه مساعد لقيام الرقاة واستمرارهم وذلك لأن منطق عمل الراقي فيه جزء من الميتافيزقية وجزء من الدين وكذا جزء من العلم هذا الأمر الذي إن ساعد على شيء فإنما يساعد على توسع هؤلاء الرقاة بتوسع كثافة الجزائريين ذاتهم وبثباتهم على ذات الذهنية المشار إليها آنفا.

ثالثا: مشاكل المجتمع الجزائري ووجود الرقاة (بين القيم الميتافيزيقية والقيم الدينية):

إن أي مجتمع كان مهما بلغت درجة تقدمه التقني والمعرفي لاشك أنه يتخبط في جملة من المشاكل التي تهدد كيانه في العديد من الجوانب، هذا التهديد الذي يحاول الفاعلون الاجتماعيون البحث له عن ميكانيزم دفاعي (بحسب التعبير البيولوجي) لتحقيق التكيف والاستقرار المجتمعي.

وعلى العموم تشير تعريفات المشكلة الاجتماعية على أنها «حالة تؤثر على عدد من الناس ويتم هذا التأثير بطرق و أساليب ينظر إليها على أنها مرفوضة وغير مرغوب فيها، كما أنهم يشعرون برغبة شديدة للقيام بفعل جمعي مضاد لهذه الأساليب والطرق التي يتم بها ظهور المشكلة»[1].

والمجتمع الجزائري لا يخلو بدوره من ثلة من هذه المشاكل، والتي هو في تخبط فيها منذ حقبة من الزمن دون أن تُستأصل في كل مرة بشكل نهائي، الأمر الذي ساهم في تواجد العديد من الوحدات الاجتماعية التي غايتها درأ آثارها (المشاكل) والتي نـــرى وجود الرقاة هو واحدا منها حيث كثيرا ما نجد أن من يلجأ الى الرقاة هم من من موضوعهم البطالة والرغبة في العمل أو العنوسة والرغبة في الزواج، أو لديهم مشاكل أسرية أو قرابية، أو مشاكل صحية...وغيرها من المشاكل التي نحاول من خلال هذا العنصر التركيز على أهمها محاولين توضيح ذلك الربط العلائقي بين المشكلة والرقاة والقيم كحدود ثلاث نعمل على وصف شكل الربط بينها.

[1] عصام توفيق وآخرون، المشكلات الاجتماعية المعاصرة، دار الفكر، عمان، 2008، ص19.

1) المشاكل المرتبطة بالزواج :

أ. الأهمية الاجتماعية للزواج من خلال العملية التعريفية:

تعد العنوسة والزواج كلمتان متناقضتان في مفهومهما وفي آثارهما ووجود احداهما يلغي بالضرورة الآخر، وبداية نحاول اعطاء معاني تعريفية للزواج والتي نجد أنها تختلف باختلاف المقاربة التخصصية فالتعريف الاجتماعي مثلا يختلف عن القانوني وعن الديني وهكذا، وهذا قد يبدو طبيعياً نظرا لخصوصية المجال التخصصي لكل علم، ففي التعريف القانوني مثلا نجده يُعرف على أنه «عقد يتم بين رجل وامرأة على الوجه الشرعي»[1].

وهو في تعريف آخر عبارة عن «رابطة مقدسة أو شرعية تجمع بين الرجل والمرأة والتي يترتب عنها وظيفة الانجاب، ويتوقف عليها بقاء النوع البشري، ونستطيع أن نقول أنّ تتبع النسب القرابي يكون عبر الروابط الزواجية المختلفة التي تؤدي الى انجاب السلف للخلف الذي يصبح عبر الزمن: الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع»[2] إذن هذا التعريف حاول التركيز على نواتج الزواج ودوره في تكوين المجتمع واستمراريته من خلال الانجاب الذي يحدد بدوره النسق القرابي للأسرة؛ وفي تعريف آخر قريب من هذا نجده يعرف الزواج على أنه «علاقة جنسية تقع بين شخصين مختلفين في الجنس "رجل وامرأة " يشرعها ويبرر وجودها المجتمع وتستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع خلالها الشخصان المتزوجان البالغان انجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية وأخلاقية ودينية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها وأهميتها»[3] .

---

[1] دلاندة يوسف ،قانون الأسرة، دار هومة، الجزائر، 2002، ص6.

[2] عامر مصباح ، مرجع سبق ذكره، ص 219.

[3] نفس المرجع، ص182.

كما يعد الزواج أيضا «وحدة جنسية دائمة نسبيا بين فردين أو أكثر على أن تكون هذه الوحدة مقبولة من الناحية الاجتماعية وهو أيضا النمط الاجتماعي الذي على أساسه يتم الاتفاق بين شخصين أو أكثر على تكوين أسرة »[1] .

من خلال كل هذه التعريفات المذكورة أعلاه نجد الزواج هو أساسا علاقة تقام بين رجل وامرأة – **ليسا من المحارم حسب الشريعة الاسلامية** – بحيث تقوم هذه العلاقة لدوافع عدة أهمها العلاقة الجنسية التي تنظم عن طريق هذا الزواج والإنجاب كنتيجة لذلك، ويكون الزواج بمباركة الأهل بحيث تقام له احتفالية خاصة تجسيدا للبعد الديني والاجتماعي له وذلك وفق نمط ثقافي يعترف به المجتمع.

فكما نلاحظ أن للزواج أهمية بالغة على الطرفين لهذا لما نتحدث عن نقيضه (العنوسة) نجد أنها تُحدث فجوة وفراغ لدى الطرفين سواءا اعترفا بذلك أو لم يعترفا، وذلك لكون الزواج معطى اجتماعي وديني يحقق للأفراد جملة من المكاسب حيث كثيرا ما نلاحظ أن الرجل والمرأة قبل الزواج يبدوان في المخيال الاجتماعي أنهما قاصران وغير راشديين حتى وإن تقدم سنهما، في حين تتغير هذه النظرة بعد زواجهما أين يصبح يُنظر لهما بعين النضج، كما نجد أن المجتمع يعطي للمتزوج وقارا وهيبة أكبر من غير المتزوج فالرجل المتزوج أكثر هيبة من غيره والمرأة بنفس الشيء، هذا ناهيك على أن الزواج يحقق الأفراد من خلاله مايلي:

- الحـــــــــب والأمن العاطفي.
- الأمان الاقتصادي.
- الهروب من الوحدة.
- اشباع الرغبة في تأسيس أسرة خاصة بالفرد يكون ربا(ة) لها.
- تحقيق مركز اجتماعي معين حتى وإن كان معنوي.

[1] عصام محمد منصور، المدخل الى علم الاجتـــــماع ، دار الخليج، الأردن، 2010، ص95.

- وجود الصحبة والصداقة.

ومن خلال كل هذا نقول أنه لا يمكن أن ينكر أي طرف كان الأفضال الاجتماعية والشخصية للزواج والتي لا تحقق إلا في اطاره وبه.

ب. القيم الميتافيزيقة ،الزواج، الرقية (أي علاقة؟):

بداية نقول أننا عندما نتكلم عن الزواج نجد أن هناك بعدين البعد الأول أن نتكلم عن آثار عدم تواجده، والبعد الثاني أن نتكلم عن الآثار الناجمة عن تواجده فقبل تواجده نجد أنفسنا نتكلم عن ما نسميها بظاهرة العنوسة أو تأخر سن الزواج وبعد تواجده نكون أمام مشاكل زواجية عديدة مثل الفتور العاطفي، مزاجية أحد الزوجين...وغيرهما.

فكثيرا ما نسمع أن الأفراد خاصة النساء يتوجهون للرقاة لأغراض زواجية متباينة فواحدة تريد الرقية لجلب المحبة، وأخرى لأن الزوج كثير النرفزة، أو لأنها تشك في خيانته أو أنه تغيرت بعض تصرفاته...وقضايا أخرى غيرها.

أما عن العنوسة ونقصدها هنا عند الجنسين رجالا ونساء هذا مع أنه كثيرا ما يلتصق ذلك المفهوم بالمرأة فقط، ولكن الواقع الحالي أصبح يقر بوجود نساءا تأخروا عن الزواج وكذا رجالا تأخروا عنه أيضا.

الأمر الذي يفسره البعض بإعلاء القيم الميتافيزيقة في تفسير حالته، فيرد تأخر زواجه لأنه مصاب بعين أو سحر أو تلبس جني يسمونه أحيانا الجني العاشق... أو غيرها من التفسيرات التي تكرس القيم الميتافيزيقية فيهرع للراقي بغرض شفائه حتى أنه على مستوى الرقاة ذاتهم كثيرا ما نجدهم يخصصون رقى خاصة لكل ذلك بتخصيص آيات بعينها لذلك الغرض [*] **(أنظر الشكل 03).**

[*] لمزيد من الاطلاع أنظر: بلقاسم مصباحي، أسرار الرقية الشرعية والحجامة النبوية، دار الهدى، الجزائر، 2005.

شكل رقم (03): الرؤية الميتاقيمية لتأخر الزواج وعلاقتها بالرقاة.

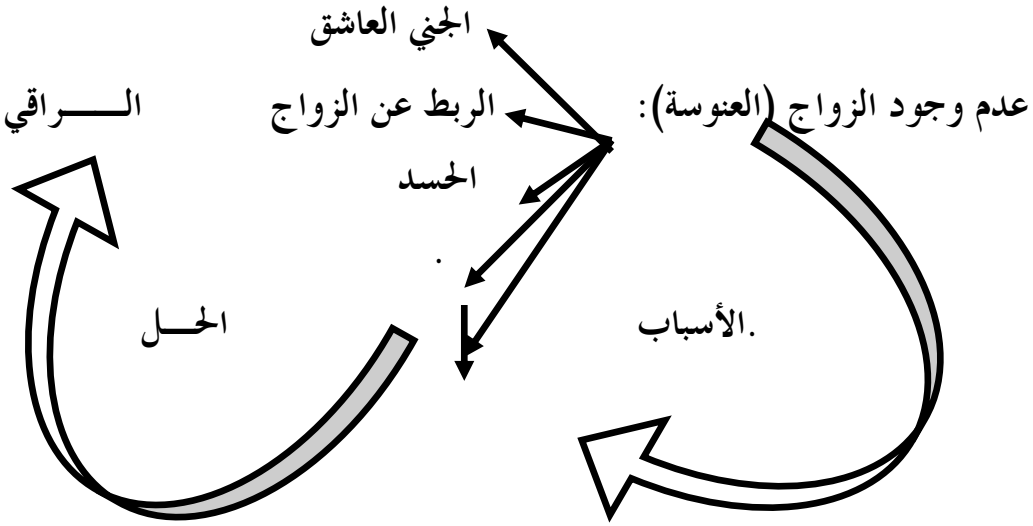

المصدر: اعداد الباحث.

كما أن هذه النظرة التي تعلي القيم الميتافيزيقية لا تتوقف هنا فحسب بل هناك من يرى أن القوى والشرور تزداد خطورة كلما انتقل الفرد من مرحلة إلى أخرى بمعنى أن انتقال الفرد من العزوبة الى الزواج قد يصيبه مثلا بالعين أو السحر ...أو غيرهما، وكذلك هناك «من يعتبر أن الشعائر التي تتضمن قطع الأشياء هي شعائر انفصال فإن عملية فض البكارة في الزواج مثلا هي انفصال وانتقال من العذرية إلى عالم النساء ولذلك يلجأ الأفراد كأسلوب وقائي الى اللجوء الى الرقية»[1] .

حتى أنه على المستوى الشعبوي نجد أن الأفراد يحاولون التحصن لليلة الدخلة والتي في رأيهم أن الحاسد يستغلها لتفكيك ذلك الزواج كأن يربط الرجل عن زوجته وهو مفهوم يعني به المجتمع ما يسمى علميا بالعجز الجنسي.

كما أن ليلة الدخلة بحسب عادات المجتمع الجزائري تعد مفصلية بالنسبة للجنسين حيث يُوضع فيها الطرفان على محك الاختبار والترقب، فبالنسبة للمرأة عليها اثبات **الشرف** وبالنسبة للرجل عليه اثبات **الرجولة** وهو امتحان يعد مفتاح نجاح العلاقة

[1] فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2008، ص 128.

الزوجية لاحقا لذا كما سبق لنا الذكر نجد أنها كثيرا ما تكون موضوعا أو عائقا يلجأ فيه للرقاة بغرض فكه وتسهيله وكذا تبريكه.

كما نجد من عادات المجتمع الجزائري أن تقوم النسوة بتحصين بناتهن من الاعتداء عليهن بما يسمى بالعامية **"الثِقَافْ"** وهو ممارسة تقوم بها الأم بنفسها لبنتها أو تأخذها عند عارفة من النساء لتثْقِيفْ* ابنتها ويكون هذا **"الثِقَافْ"** بحسب أحاديث بعض النسوة إما بإدخال الفتاة الى صندوق وإغلاقه عليها ثم يفتح الصندوق لتخرج الفتاة منه وهي بذلك أصبحت محصنة أو تقوم المرأة بإحضار طبق مصنوع من السعف (ويسمى أيضا الزعف) وهو طبق يخصص لتحضير الكسكس (الطَبْقْ كما يسمى بالعامية) بحيث تقوم المرأة بوضع دائرة كبيرة في ذلك الطَبْقْ بحيث تكون تلك الدائرة تتسع لجسم الفتاة ثم تدخله من رأس الفتاة وتخرجه من قدميها ثلاث مرات وبذلك تنتهي عملية الثقاف.

بالإضافة إلى أن هناك طرق عديدة لممارسة هذا "الثقاف" إلاّ أنه في النهاية غايته هي حماية الفتاة من الاعتداء الجنسي والحفاظ على عفتها، بحيث بحسب أحاديث النسوة كل من يقترب منها لغرض الاعتداء يجد نفسه غير قادر على الاعتداء عليها أو مكبلا وتبقى الفتاة على ذلك الحال إلى يوم زفافها أي يوم زفها لزوجها حيث حينها يجب نزع ذلك "الثقاف" سواء بالتوجه إلى الراقي أو تنزعه النسوة بمفردهن بنفس طريقة وضعه.

وعلى العموم نجد موضوع الزواج موضوع متشعب لارتباطه بالعديد من الجوانب الحياتية الأخرى سواء قبل الزواج أو بعده **(أنظر الشكل 04)**.

* لا نعني بالتثقيف من الثقافة والعلم بل نعني به تلك الممارسة الاجتماعية لتحصين البنت من الاعتداء الجنسي وهو للحفاظ على العفة.

شكل رقم (04) :الرؤية الميتاقيمية لمشاكل الزواج وعلاقتها بالرقاة.

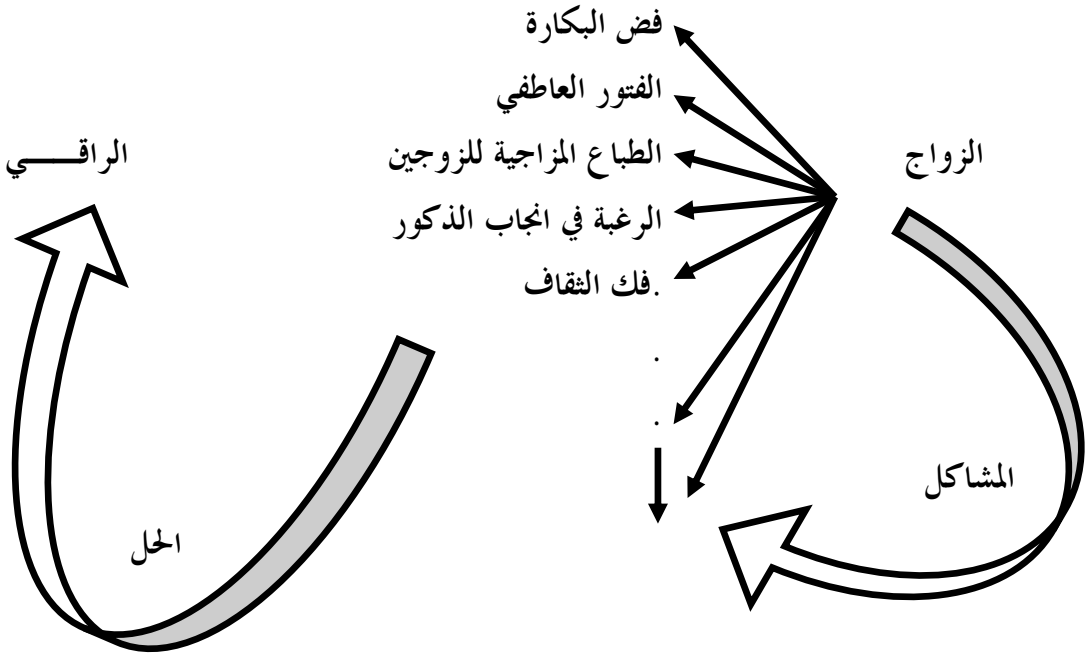

المصدر: اعداد الباحث.

2) المشاكل المرتبطة بالبطالـــة:

أ. مدخل تمهيدي للبطالة وآثـــارها:

تعد البطالة من أهم مشكلات الفئة الشبابية في المجتمع الجزائري والتي لا تكاد تزول بل على العكس من ذلك الفجوة تزداد اتساعا عاما بعد عام بفعل عوامل داخلية وأخرى دولية.

أما عن تعريفاتها فنجد أنها تباينت بتباين تحديد الفئة التي تعتبر بطالة (خاصة عند الحديث عن النساء فهل يحتسبن في معدلات البطالة أم لا وهكذا) وعلى العموم فهي تعرف على أنها «حالة عدم توافر العمل لشخص راغب فيه مع قدرته عليه في مهنة تتفق مع استعداداته وقدراته، وذلك نظرا لحالة سوق العمل ويستبعد من هذا حالات الاضطراب أو حالات المرض أو الإصابة»[1].

[1] محمد علاء الدين عبد القادر،البـــــطـــالة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2003، ص 01.

«كما تتمثل البطالة في أنها تلك الفجوة بين النشاط الاقتصادي والعمالة، ففي الوقت الذي يزداد عدد اللدين يبحثون عن عمل تتقلص وظائف بعض الأعمال خاصة بالنسبة للرجال في المؤسسات الصناعية»[1] وعلى العموم على اختلاف الأشكال التعريفية للبطالة كما سبق لنا الذكر إلا أن الكل يجمع على آثارها السلبية على المستوى الفردي والاجتماعي ومن بين أهم انعكاساتها ما يلي:

- تؤدي البطالة الى الانحراف الخلقي وانتشار الرشوة والسرقة والتسول..الخ ومن ذلك فهي تؤدي إلى عدم الانحراف عن القيم الدينية.
- تؤدي البطالة الى انتشار العنوسة نظرا لعدم انشاء أسر جديدة لأن انشاء الأسرة (الزواج) يحتاج إلى مؤونة وتكاليف ومن ثمة فهي باب للزنا والدعارة[2].
- تدفع البطالة الأفراد إلى الهجرة بحثا عن عمل في بلد آخر.
- تؤدي البطالة إلى قصور مهارات الخريج الذي أعد فعلا لمزاولة عمل ما فالمهارات تقل شيئا فشيئا نتيجة لعدم الاستعمال الى أن تندثر لدى ذلك الفرد[3].

إذن إن اشكالية البطالة تعد من بين أخطر المشكلات الاجتماعية كونها مولدة لعدة آفات أخرى توازيها في الخطورة أو قد تزيد عنها، ونحن في مجتمعنا بتنا نرى أن البحث عن العمل أصبح هاجز الجميع في عصر سادت فيه القيم المادية وتعددت فيه الاحتياجات وتعقدت فيه المناصب والمؤسسات.

ب. القيم ، البطالة، الرقية (أي علاقة؟):

كما سبق أن عرفنا أن البطالة هي ظاهرة سوسواقتصادية ولها أسبابها المختلفة، ولكن هذه النظرة تختلف إذا حاولنا النظر إليها بمنظار القيم الغيبية أين نعتقد أننا لا نجد عملا لأن هناك عطلا ما في القوى الخفية والتي هي بحسب البطال لا تسايره

---

[1] أنور حافظ عبد الحليم ،مشاكل البطالة والادمان، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008، ص 14.

[2] أسامة السيد عبد السميع، مشكلة البطالة في المجتمعات العربية والاسلامية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2007،ص 49.

[3] أنور حافظ عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 44.

كما أن الرضا الرباني من شأنه تسير أمور الفرد لذا تكون القيم الميتافيزيقية والقيم الدينية عاملا محكما لسلوك الفرد في القضاء على البطالة أو على الأقل تهوين آثارها عليه، وبالضرورة يكون العلاج من جنس التشخيص فإذن المعالج هنا هو الخبير في الغيبيات والدين إذن هو الراقي ولا أحد غيره، فإذن عندما نرى أنّ للبطالة مسببات ميتافيزيقة "عين، سحر..." أو مسببات دينية "قضاء وقدر.." يكون الحل في التوجه للراقي كونه كما سبق الذكر ملم بتلك المسببات وبالتالي سيساهم في تخليصك منها.

3) المشاكل المرتبطة بالجانب الصحي:

ونعني هنا جل الأمراض العضوية والنفسية على حد سواء، إذ كثيرا ما نجد بعض الأفراد اللذين يعانون من مرض ما ولا يجد له الطب الحديث دواءا أو تفسيرا علميا الأمر الذي يجعلهم يرجعون ذلك إلى أن المريض ليس به داء عضوي وإنما هو داء روحي لا يعالجه إلا الممارسون الشعبيون، وخاصة عندما نتكلم عن الأمراض النفسية التي نجدها أكثر الأمراض مدعاة للتأويل الميتافيزيقي كمرض الصرع وانفصال الشخصية والاكتئاب...وغيرها.

والواقع الجزائري مليء بهذا النوع من العلل «حيث أن التقرير الذي أصدرته لجنة سويسرية متخصصة في العلاج النفسي يحمل أرقاما هامة حيث تقول الدراسة التي أجراها البروفيسور السويسري **"نيكولا سورتوريوس"** وعرضها خلال المؤتمر الدولي للأمراض النفسية في الجزائر بأن أكثر من مليوني جزائري بحاجة ماسة للخضوع إلى العلاج في المصحات النفسية وأوضح أن نسبة **3** إلى **7** بالمئة بحاجة حقيقية إلى العلاج النفسي والعقلي»[1] .

[1] **العماري الطيب، مرجع سبق ذكره، ص 437.**

هذا ناهيك عن الأمراض العضوية حيث من بين أكثر الأمراض العضوية لجوءا الى الرقاة نجد مثلا حالات العقم أو الاجهاض المتتالي،الشلل، الصداع النصفي...وأمراض أخرى عديدة خاصة الخطيرة منها كالسرطان والأورام الخبيثة.

4) المشاكل المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية:

ونقصد هنا التنشئة عبر مؤسساتها المختلفة خاصة الأسرة و المدرسة اذ كثيرا من الآباء يلجئون إلى الرقاة لغرض نجاح أبناءهم خاصة في الامتحانات المصيرية وعلى رأسهم شهادة الباكالوريا، والأمر يزداد الحاحا أكثر إذا كان هذا الابن قد فشل فيها مرات عديدة.

كما أن انحراف الأبناء يعد سببا آخر للجوء للرقاة خاصة في مرحلة المراهقة أين يبدأ المراهق بالتمرد على الوالدين والانحراف أحيانا إذ ما وجد سند انحرافي كالرفقة السيئة مثلا.

وهذين النوعين الأخيرين (الصحي/التنشيئي) نجد أنهما أيضا يُعليان القيم الميتافيزيقية والروحية أو الدينية في تشخيص أسبابها لذا يقترحون لها علاجا تتوفر فيه ذات الصفات الآنية الذكر (ميتافيزيقي، روحي،ديني) وهو ما يوفره لهم الرقاة بأسلوب علاجهم.

خلاصة الفصل:

لقد عرف المجتمع الجزائري محطات سوسيوتاريخية سمحت له في كل مرة إفراز قيم جديدة من شأنها تأطير سير المجتمع والتحكم في وجهة أبنيته المختلفة، فمن قيم الكرامات والبركة إلى قيم الدروشة ثم نحو قيم السلفية وأخير السير إلى القيم الاسلامية المنفتحة، بحيث نجد أن في كل معطى قيمي من القيم السابقة الذكر كان يقترح المجتمع الشخص المؤهل لحل مشاكلهم و لإستطبابهم فمن الأولياء الى الدراويش ثم المشعوذين وصولا الى الرقاة.

هذا مع العلم أن البعد القيمي لم يكن وحده المشجع على وجود الرقاة واتساع نطاقهم في الجزائر بل هناك عوامل أخرى غيرها كالإعلام و منابره المختلفة، وكذا الأمثال الشعبية ناهيك عن ذهنية الفرد الجزائري المحتضنة لمنطق عمل الرقاة كمعالجين شعبيين لهم كل الاعتراف الاجتماعي.

هذا الاعتراف الذي يجد فيه المجتمع الجزائري ضرورة إذ لا بد من منبع يلجئون اليه لحل مشكلاتهم الزواجية والصحية والتنشيئية والنفسية...وغيرها، بحيث نجد أن الفرد الجزائري قد ينظر لتلك المشكلات بمنظار قيمي ذا بعدين إما قيمي ميتافيزيقي أو قيمي ديني، ومن هذا المعطى قد يكون الراقي حسبهم مؤهلا للتخفيف من وطأة مشاكلهم التي تتنامى يوما بعد يوم بفعل تعقد الحياة وتشابك متطلباتها الصعبة التجسيد في أحيان كثيرة.

الفصل الخامس

الخلفية السوسيوثقافية للمجتمع الأدراري وواقع عمل الرقاة

تمهيـــــد:

يعد المجتمع الجزائري مجتمعا متميزا من حيث محتواه الثقافي، وذلك من خلال عاداته وقيمه وطقوسيات أفراده.. الخ، حيث نجد أن هذا التميز يلحق كل اثنياته إذ أنّ كل اثنية ثقافة فيه (فرعية) تعكس نوعا من الخصوصية غير المتناقضة.

والمجتمع الأدراري (كجزء من البناء الأكبر) بدوره له معالمه الثقافية الخالصة التي يحاول ابرازها من خلال تقاليده واحتفالياته ولباسه ومعماره وغيرها من التجليات الثقافية الأخرى التي يحاول هذا الفصل ابراز بعض منها.

أولا: مدخل تعريـــفي بمنطقة أدرار(توات):

1) التعريف من حيث الموقع والتسمية: إنّ أهم ما يميز دولة الجزائر هو صحراءها الواسعة التي تُميّزها عن غيرها من الدول، خاصة بما تزخر به من خيرات باطنية وظاهرة والتي نجد جزءا كبيرا منها يعرف باسم **"منطقة توات"** أو **"أدرار"**.

«وتوات هي عبارة عن مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الواقعة جنوب القطاع الوهراني وشمال الأهقار...أما مصدرها أي مصدر كلمة **"توات"** فقد حدث فيه خلاف كبير فمنهم من قال أنّ أصل الكلمة **"تكرورية"*** بمعنى وجع الرِجل، اثر إصابة أحد الملوك المارين بالمنطقة في رجله ومنهم من قال أن اسم **"توات"** تطلق على أحد القبائل الملثمين من سكان الصحراء، ويرى البعض أن أصلها أعجمي فقد أطلقتها قبائل **"لمتونة"**** عندما التجأت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى المكان بعد أن وجدوا المكان يناسبهم أي (**يواتيهم**)»[1].

«أما الرأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشيخ **"سيد البكري"** حيث قال في سنة 518 هـــ حين غلب **"المهدي"** الشيعي سلطان الموحدين على المغرب بعث قائديه **"علي بن الطيب"** و**"الطاهر بن عبد المؤمن"** لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات***، فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات...ونرى **"البكري"** يعلق على هذه الرواية قائلا أنها الرواية الأصّـــــح، ولهذا اللفظ مسند في العـــــــربية إذ قال في المصـــــــباح **"التوت"** هو الفاكهة والجمـــــع **"أتـــــوات"** فـــــعرف أهـــل هـــذه البـــــــلاد بأهل الأتـــــوات، فـــــحذف المضاف وأقيم المضاف

---

* لغة أهل مالي.

** لمتونة أو لمتونة هي قبيلة عربية ضاربة في القدم، متموقعة في شمال غرب أفريقيا (المغرب، الجزائر وموريتانيا) وهي جد منصهرة مع الطوارق اليوم.

[1] أحمد مريوش ،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،2007، ص 182 .

*** الأتوات أي الضرائب والمغارم وتم تسميتها بتوات لدفعهم للأتوات.

اليه مقامه فصار **"توات"** بعد حذف التعريف والمضاف وصار هذا الاسم على القطاع الصحراوي من **"تبلكوزة"** إلى **"عين صالح"** وهذا التفسير اعتده الكثير من المؤرخين»[1].

فتوات هي قطاع صحراوي تختلف دلالات تسميته باختلاف اللغة العائد إليها (البربرية، العربية) إلاّ أنه «مع نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر هجري استبدل اسم إقليم توات **"بأدرار"** وكان ذلك تحديدا مع دخول الطلائع الأولى للاستدمار الفرنسي 1900 م...وهي أي **"أدرار"** كلمة بربرية تعني الحجر أو الجبل»[2].

والشائع أن كلمة **"توات"** تطلق على المنطقة الوسطى للإقليم، كما تطلق على الإقليم ككل بمناطقه الأربع (**قورارة، توات، تيدكلت، تانزروفت**) أي تطلق على ولاية أدرار عموما فنقول فلان تواتي أي من ولاية أدرار وقد لا يكون بالضرورة من المنطقة الوسطى تحديدا في الإقليم.

وعلى العموم «تقع ولاية أدرار في أقصى الجنوب الغربي، يحدها شمالا ولاية البيض ومن الشمال الغربي بشار، ومن الغرب ولاية تندوف، ومن الجنوب دولة مالي ومن الجنوب الغربي دولة موريتانيا، ومن الجنوب الشرقي ولاية تمنراست ومن الشمال الشرقي ولاية غرداية، تتربع على مساحة قدرها 447963 كلم^2 في تعداد 2001 وبتعداد سكاني يقدر بـــ 43903نسمة/كلم^2 في تعداد 2001 أيضا إلاّ أن أغلبيتهم يتمركزون في المناطق الشمالية من هذه المساحة الشاسعة»[3] (أنظر الصورة رقم 03).

---

[1] أحمد جعفري، «المخطوطات التواتية (ولاية أدرار) وأعلامها في الخزائن والمكتبات الافريقية»،مجلة الواحات، المركز الجامعي غرداية، غرداية، العدد الأول 2006، ص 186.

[2] الصديق حاج أحمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة لولاية أدرار، أدرار، 2003، ص 35.

[3] ولاية أدرار، أدرار جوهرة الجنوب ، ولاية أدرار ، أدرار ،دت، ص 02.

صورة رقم (03) : خريطة الجزائر موضحا عليها ولاية أدرار.

المصدر:موسوعة المعرفة،«ولاية أدرار»،أنظر الموقع:
http://www.marefa.org/index.php،2012/12/24، 18:00.

أما عن موقعها الفلكي فهي تقع بين خطي طول 1 درجة شرقا و3 درجات غربا وبين دائرتي عرض 20 إلى 30 درجة شمالا[1].

من هذا نجد أن لولاية أدرار موقع مميز إذ هي بوابة لدول أخرى كموريتانيا و مالي، كما أنها تصل الجنوب الغربي بالجنوب الشرقي وتصل الشمال الجزائري بالجنوب الافريقي الأمر الذي يعزز البعد التجاري والبعد الثقافي وكذا البعد السياحي.

2) التعريف من حيث المناطق الاثنوغرافية بالمنطقة:

إن إقليم توات هو في الأصل مقسم إلى أربع مناطق كبرى هي :**قورارة، توات، تيدكلت تانزروفت** وهذا ما توضحه الخريطة التالية:

[1] نفس المرجع، ص 42.

صورة رقم (04): خريطة توضح المناطق الأربع بإقليم توات.

المصدر: http://albordj.blogspot.com/2011/03/blog-post_15.html، 2011/12/17، 13:06.

إذن تقع قوراة شمال الاقليم وتيدكلت وتوات تحتل الوسط، وفي نهاية الاقليم نجد تانزروفت التي تقع في جنوبه؛ كما أنه عند حديثنا عن مناطق اثنوغرافية يعني الحديث عن مراكز ثقافية متباينة تشكل المزيج الثقافي بالمنطقة، وعلى العموم تُحدد هذه الأقاليم الأربع كما يلي:

❖ **قـــورارة**: و مقرها تيميمون بها مجموعة قصور* منتشرة أغلبها حول الكثبان الرملية الهائلة على الحدود الجنوبية للعرق الغربي الكبير تمتد من قصر تبلكوزة شـــــمالا إلى قصر تسابيت جنوبا [1].

* يعني القصر أو القصور الأماكن الريفية القديمة المبنية بالطوب، ونقول قصر كذا باسم ما أي عدد كبير من المنازل الطوبية المتجاورة فيما بينها،ويرجع البعض هذا المسمى الى الشكل المعماري حيث كانت تحاط كل مجموعة سكانية بجدران من نواحيها الأربع حيث شكل تلك الجدران على شكل القلعة "للأمن والتحصن" ونلاحظ الآن بعض آثارها في مناطق مشاتره إذ أغلبها تعرض للانهيار ولم يرمم بعدها والشكل التالي يوضح نوعا ما شكل القصر.

❖ **تـــوات:** وتسمى المنطقة الوسطى وعدد قصورها ثلاث مئة قصر وتتواجد بهذه المنطقة عاصمة الإقليم أي (أدرار)[2].

❖ **تـــيدكلت:** **"تيديكلت" هي كلمة باللهجة التارقية وتعني "كف اليد"** لأن خريطتها تشبه كف اليد، وهي تقع في أقصى الشرق من الواحات التواتية وجنوب هضبة تادميت ويبلغ عدد قصورها خمسين قصرا[2].

❖ **تانزروفت:** وقد ضُمت حديثا لإقليم توات وفيه تبدأ الصحراء الكبرى والفراغ الهائل الذي يسمى بتانزروفت والذي يمتد إلى غاية حدود مالي أين تظهر الحياة من جديد[3].

فإذن تكون هذه الأقاليم الأربع بما تحويه من خصوصيات ثقافية من شأنها أن تعبر عن المشهد الثقافي لولاية أدرار سواءا من حيث لهجاتها أو عاداتها أو قبائلها...أو غيرها من الخصوصيات الثقافية الأخرى.

ثانيـــا: المحددات الكبرى للواقع السوسيوثقافي في منطقة أدرار:

تتواجد منطقة أدرار على غرار مناطق الجزائر ضمن إطار اجتماعي وثقافي مميز لها فهي لها عاداتها وتقاليدها ومعمارها الخاص بها، كما أنها منطقة يشتهر عنها الورع الديني

[1] نفس المرجع ،ص 03 .

[1،2] أحمد مريوش ،مرجع سبق ذكره ،ص 182.

[3] ولاية أدرار ، مرجع سبق ذكره ،ص 03.

والبساطة والصبر، هذا الذي هو في الحقيقة ناتج عن خصوصية موقع ومناخ وكذا التاريخ الذي مرت به المنطقة، فهي بكل المقاييس لها موروثها الثقافي الذي يفرض نفسه كموروث مميز.

1) الثقافويات التصنيفية في المجتمع الأدراري:

إن أي مجتمع كان من الصعب بمكان أن يتواجد على بسيطة واحدة دون تفاوتات من شأنها إنشاء ثقافويات تصنيفية* اجتماعية وهي ما يسميها الثقافويين بالثقافات الفرعية وهي الثقافة الناتجة عن اهتمامات مشتركة لفئة اجتماعية ما تعمل على الحفاظ على تميزها أو قد يُفرض عليها في أحيان كثيرة ذلك التفرع الثقافي.

ونحن ضمن هذا الاطار نود ابراز الثقافويات الفرعية التي من شأنها إعطاء تصنيف اجتماعي وإعطاء تدرجية واضحة في الامتيازات الممنوحة لكل فئة فرعية.

أ. تقسيم ثقافوي تصنيفي من حيث الأصول:

❖ **الشرفاء والمرابطين:** و هم من يمثلون الطبقة العليا في المجتمع الأدراري «وأصلهم من المغرب جاءوا من تافيلالت ففي عام 1121هـ/1709م ورد الشريف "مولاي أمبارك بن مولاي المأمون" من تافيلالت إلى توات مع 30 فارسا...وفي السنة الموالية زار شريف آخر يدعى "مولاي أمحمد بن مولاي علي" مصحوبا بأربعين فارسا من البربر كما قدم من الشرفاء على توات "سيدي سلمان بن علي" فدخلها سنة 580 هـ»[1] كما أن الشرفاء يعرفون بنسبهم الشريف أي من آل البيت، حيث يطلق على الذكر منهم حسب لغة المنطقة لفظ **"مولاي"** أما

* تم ادراج مصطلح ثقافويات تصنيفية وليس طبقات لاعتبار منهجي هو التقيد بمفاهيم مقاربة الدراسة (المقاربة الثقافوية) والطبقة اصطلاح سليل المقاربة الماركسية.

[1] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات الحبر، ط2، الجزائر، 2011،ص .55

الأنثى فيطلق عليها لفظة **"لالة"** وهم يحضون باحترام كبير عن بقية الفئات الاجتماعية الأخرى.

أما المرابطين فهم ينتمون إلى جد مرابط أي متصوف، وجاء لفظ مرابط من **رَبَطَ** أي توقف وأقام بالمكان للتعبد فيه[2] «فالرباطات قامت أساسا في الثغور وأماكن الخطر التي يهجم منها الأعداء وهكذا كانت الرباطات قلاعا وحصونا لمنع الخطر الأجنبي، وكان المرابطون هم المجاهدون اللذين يحمون الثغور ويتصدون للأعداء، وبعد تولي العثمانيين الدفاع على الثغور انحصر نشاط المرابطين في أعمال البر والتعليم وإصلاح ذات البّين وتأمين الطرق وقد بنوا لأنفسهم أو بنى لهم الناس زوايا بدل الرباطات أو تحولت الرباطات إلى زوايا»[1] وبهذا يكون كل من الأشراف والمرابطين في قمة الهرم المجتمعي التواتي هذه المكانة التي ستجعلهم محاطين بنوع من التبجيل في مجمل الممارسات الاجتماعية.

❖ **العـــــــامة**: أي الأحرار من غير الشرفاء، وهم إما عرب أو بربر وهم دخلاء قد يكون لهم جد مشترك، لكن لا يتعدى جيل أو ثلاثة أجيال ويتميزون بأن لهم بشرة بيضاء[2].

❖ **الحـــــراطين أو الحراثين**: وهم أيضا فئة دخيلة جيء بهم كعبيد من الدول الإفريقية المجاورة حينما كانت تكثر تجارة العبيد، وهم أناس لهم بشرة سوداء، ويتصفون بصفات مورفولوجية خاصة متميزة عن الآخرين من الشرفاء والمرابطين

---

[2] مجيد أظوى ، «دراسة معمقة لولاية أدرار» ،أنظر الموقع : www.hadaik.com/vb/showthread. 19:30،2011/7/8.

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب،ج 4، بيروت ، 1998،ص.13

[3،2] مجيد أظوى ،مرجع سبق ذكره.

والعرب[3] كما يذهب البعض أن اشتقاق الكلمة من "**الحر الثاني**" ويرى البعض أن أصل الكلمة بربري وهو "**أحرضان**" ومعناها هجين[4].

ب.تقسيم ثقافوي تصنيفي من حيث اللغة:

❖ **البـــــربـــر**: يرى بعض المؤرخين أن البربر دخلوا توات قبل دخول الإسلام بسنوات طويلة واستقروا بها، والحجة في ذلك أن أغلب تسميات القصور التواتية جاء بلغتهم الزناتية مع أن عدد كبير منهم دخل بعد سقوط دولة الزناتة بالمغرب فحينها علت شوكتهم واستبدوا بالأمر[1] وينتهي نسب الزناتة إلى جانا ابن يحي، ابن صونات، ابن ورماك، ابن فرة، ابن قبوا، ابن مادفيش، ابن زجيك، ابن همرحق، ابن كراد، ابن مازيغ، ابن بر، ابن بربر ابن كنعان، ابن حام بن نوح عليه السلام[2].

❖ **العـــــــرب**: كان وصول العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وتعاليم الديانة ولممارسة التجارة فاستقروا بتوات فكان أولهم دخولا عرب "**المعقل**" ثم تلته قبائل أخرى كقبيلة "**الكنتة**" في القرن(7 هـــ) وكان استقرارهم بزاوية كنتة وبعدهم قبيلة "**أولاد علي بن موسى**" القرشية والتي كان نزولها بتمنطيط وقد ذكرهم "محمد الطيب بن عبد الرحمان" بقوله:هم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم أهل سنة ومروءة ورياسة [3] كما يرجع بعض المؤرخين أنّ

[4] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سبق ذكره، ص 56.

[1] مجيد أظوى ، مرجع سبق ذكره.

[2] مقدم مبروك، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي،دار هومة،ج1، الجزائر،2008،ص .49

[3] مجيد أظوى ، مرجع سبق ذكره.

أول العرب اللذين دخلوا الاقليم التواتي كان في "عهد موسى ابن النصير" في 73 هـ[4].

ج.قراءة في الثقافويات التصنيفية في المجتمع الأدراري:

يمكن توضيح هذه القراءة من خلال جملة العناصر التالية:

- الثقافويات التصنيفية من حيث الأصول مرتبة بشكل هرمي أعلاها الأشراف والمرابطين ثم العامة ثم الحراثين كأدنى درجة.
- الثقافويات التصنيفية من حيث اللغة (عرب/بربر) لا تشكل من بعضها ترتبا معينا وذلك لسيادة العرب على البربر من حيث الحجم الأمر الذي لا يسمح بتشكل الهرمية في هذا المجال.
- الثقافويات التصنيفية في المجتمع الأدراري قمتها مرتبطة بالقيمة الدينية (أهل البيت/الرباط).
- الثقافويات التصنيفية في المجتمع الأدراري تجعل لها بعض الخصوصيات الثقافية كالاسم (مولاي/لالا)، والأنشطة كالعمل الشاق للحراثين...وهكذا بمعنى كل ثقافة طبقية على حدى لها مهامها الاجتماعية ودرجة هيبتها، بل وحتى مرفولوجيتها الجسدية الخاصة.

2) المحتوى القيمي في بعض عادات المجتمع الأدراري:

تسود المجتمع الأدراري عادات اجتماعية تعارف الناس عليها بفعل التنشـــئة الاجتماعية فأصبحت عرفا لا ينكره أحد ومن بين هذه العادات نجد مثلا ما يلي:

أ.عرض لبعض العادات التواتية:

الســـابعا: وهي تلك السبع ليال والثمانية أيام الواردة في سورة الحاقة في قوله

[4] مقدم مبروك، المرجع السابق ،ص 76.

تعالى:

﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا** ﴾[1] حيث يعتبر الناس في المنطـــــقة أن تلك الأيام أيام نحس ، فيقومون في آخر النهار بتبخير البساتين بأعشاب خاصة لكي يبعدوا عنها شبح النحس.

الرابطـــة: هي تلك المرأة المعتدة من وفاة، والحال أن عدتها قد انتهت، ففي ذلك اليوم هناك طقوس ومراسيم تصاحب خروج هذه المرأة من بيتها لأنها مكثت فيه مدة العدة كلها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام حسبما حددها الشرع في القرآن، تخرج في ذلك اللباس الذي كانت ترتديه أيام العدة، ويذهب بها الوفد النسوي قبيل الغروب إلى مكان خاص تضع فيه تلك الثياب وترتدي لباسا جديدا، وفي تلك الأجواء وعند خروجها من مكان ارتداء الثياب، يرمي عليها الحاضرون من أقاربها وزميلاتها قطعا من القماش واللباس والدراهم، وبعدها ينطلق الموكب عائدا بها إلى بيتها مرورا ببعض الأزقة والأماكن المعروفة في البلاد، يصحب هذا صياحا للنسوة وضربا بالحجارة على أواني حديدية مرددات (**أعْطُوا الطْرِيق لَمسعُودَة**) ولا ينبغي للذكور رأيتها إلى أن ترجع إلى بـــيتها، لأنّ هـــــناك خرافـــة تـــــقول أن من يـــــراها من الرجـــــال ســـــيموت[1].

المزارات (الزيارات): وهي تلك الاحتفالات الدينية المقامة لبعض الأولياء «فتحيا لها المواسم وتقام لها الذكرى بقراءة القرآن ورقـــصة البارود والمحضـــرة ويبالغ في ذلك أحـــيانا فترتكب بـــعض البدع والمحظورات الشرعية»[2] ونجد أن لكل ولي يوم محدد لزيارته تحدد بيوم وفاته أو لاعتبار ديني آخر كالتزامن مع أسبوع المولد النبوي أو المحرم أو أيام دينية أخرى «فتدبح في هذه الزيارات الأنعام ويأتي الناس من كل صوب، من

---

[1] سورة الحاقة، الآية 07.

[1] مسلم عبد الصمد، «عادات اجتماعية و ألعاب شعبية تواتية»، أنظر الموقع التالي: www.hadaik.com/vb/showthread، 8/ 2011/7، 18:29.

[2] قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة،بدون ذكر دار النشر،ب ب، 2006، ص .228

ولاية أدرار ومن خارجها، والتي نجد أنّ فيها فرصة للتثاقف بين الحاضرين الوافدين لها أين يتم امتزاج الثقافة الوافدة مع الثقافة المحلية ليحصل التبادل والتعارف والانفتاح على الآخر مهما كان موطنه»[3].

التاغنـــجا: أصل التسمية أمازيغي والمقصود بها في الديار التواتية إذا نزل المطر بغـــزارة حتى يخشى الناس هدم البيوت التي عادة كانت من الـــطين، حينها يخـــرج الأطفال الصغار والبنات يـــطوفون بالبيوت يجمعون ما تيسر من قمح وثمر مرددين (**التِاغَنْجَا يَا أُم أَرْجَا يَا رَبِي صَحِي الحَالْ**) وبعد الانتهاء من الدوران حول الديار يوزعون ما جمعوه من التمر، أما القمح فيطحن وتصنع منه كسرة توزع أيضا[4].

ب. القراءة الثقافوية لبعض عادات المجتمع الأدراري:

إن تلك العادات المنتقاة في هذا المجال والتي سبق عرضها أعلاه نجد أنها محتكمة لنمطين من القيم هما القيم الدينية والقيم الميتافيزيقية، مع أننا نلاحظ حضور تلك القيم الميتافيزيقية أكثر من غيرها، بل وفي أحيان كثيرة نلاحظ اختلاط الديني بالميتافيزيقي، فمثلا **"الرابطة والمزارات"** هي عادات قائمة من منطلقات دينية في أساسها، فالرابطة نعني بها عدة المرأة والمزارات كما رأينا أنها أحيانا تكون مرتبطة بيوم ديني كالمولد النبوي أو محرم أوعاشوراء...وغيرها.

ولكن الملاحظ أن طريقة ممارستها وطقوسية التعبير عنها كثيرا ما تندرج فيها الميتافيزيقا، كضرورة عدم رؤية المرأة في يوم نهاية عدتها للرجال لأنه سيؤدي لموتهم، وكذا احتفالات الزيارة التي أحيانا تكون طقوسياتها من تمسح بقبر الولي وأخذ شيء من غطائه...وغيرها فيها الملمح الميتافيزيقي باد للعيان، هذا مع أنه هذه الميتافيزيقا قد أصبحت تتراجع في ظهورها الى حد ما في المجتمع الأدراري المعاصر.

---

[3] بوهناف عبد الكريم، باشيخ أسماء،«الزاوية وبعد القبيلة في منطقة توات»،مجلة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث، غرداية، العدد 16،2012، ص 284.

[4] مسلم عبد الصمد، مرجع سبق ذكره.

3) مؤسسة الزاوية و قيم المجتمع الأدراري (مضامين العلاقة):

أ.مدخل تعريفي وإحصائي حول مؤسسة الزاوية: يشير **التعريف اللغوي** للزاوية «بأنها مشتقة من فعل **انزوى** بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن اللذين فكروا في بناءها

أوّل مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء الذي يساعد على التأمل والرياضة الروحية»[1].

«وتشير الإحصائيات إلى أن الجزائر تعرف حاليا تواجد 257 زاوية منتشرة عبر 48 ولاية، حيث أن أكبر عدد يوجد بولاية الشلف حيث يتواجد بها 59 زاوية وذلك بنسبة 23 % تقريبا من مجموع الزوايا، **تليها ولاية أدرار بـــ 20 زاوية وذلك بنسبة 8 % من مجموع الزوايا**، تليها ولاية تمنراست بـــ 18 زاوية وذلك بنسبة 7% من مجموع الزوايا»[2].

وكثيرا ما تنعت ولاية أدرار ببلاد الزوايا وذلك لانتشارها الواسع بها وكذا لأهميتها الاجتماعية بالمنطقة وهي تتواجد على ثلاث أصناف هي[3]:

❖ **الزوايا العلمية:** وهي عبارة عن مدارس أقيمت لتعليم الناس أمر دينهم واستقبال الطلبة من خارج المدينة والتكفل بإيوائهم وإطعامهم ومثال ذلك زاوية أولف.

---

[1] صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ،دار البرق ،لبنان،2002،ص 301.

[2] لعلى بوكميش ، باشيخ أسماء، «الزوايا ودورها في التربية الاسلامية بالجزائر»، المؤتمر الدولي الأول بعنوان: رؤى تربوية اسلامية معاصرة جامعة آل البيت، الأردن،2012.

[3] بوهناف عبد الكريم، باشيخ أسماء، مرجع سبق ذكره، ص 279.

❖ **الزوايا الخيرية**: وهي عبارة عن مباني أقيمت لاستقبال الضيوف وأبناء السبيل والعابرين للمنطقة حيث يوفر لهم المأوى والمشرب والمأكل والأغطية، ويستطيع العابر أن يقيم فيها ما شاء من الأوقات مثل زاوية مولاي هيبة .

❖ **الزوايا الصوفية**: وهي عبارة عن أماكن لأتباع الطرق الصوفية يجتمعون فيها ويرددون فيها أورادهم وأذكارهم ...وتعتبر الطرق الصوفية غير مترسخة في المنطقة بشكل كبير، إذ حتى الذين ينتمون لها يقتصر انتماءهم فقط على أداء الورد اليومي في الذكر مثل زاوية الشيخ بلكبير.

وعلى العموم من ما هو معروف أن الزاوية تعتمد في تمويل نفسها على الهبات والهدايا والأوقاف وإعانات الدولة والصدقات من المحسنين، وهي مؤسسة تقدم الوظيفة الدينية (تكريس القيم الاسلامية) والوظيفة الاجتماعية (الصلح بين المتخاصمين، ايواء المعوزين...) ووظيفة فكرية وثقافية (برامج حفظ القرآن والمتون...) وكذا الوظيفة السياسية أيضا(بقبول ورفض السياسات التي ترى فيها مسا بالدين، وكذا المشاركة في التسيير بصورة أو بأخرى...).

ب.دور مؤسسة الزاوية في صياغة القيم الموجهة للمجتمع الأدراري:

تعد مؤسسة الزاوية في ولاية أدرار أهم مصادر التغذية الذهنية، كونها هي الموجهة لسلوكات الأفراد في المجتمع وذلك من خلال الصياغة التنشيئية للكثير من أبناءها، حيث كما هو معروف عن الأسر التواتية أنها تجعل مرور أبناءها بمؤسسة الزاوية وتلقيهم علومها أمر تنشيئي هام، هذا مع أنه في الوقت الحالي قد تراجعت هذه الذهنية الى حد ما، خاصة في المدينة التي اختلطت بسكان وفدوا اليها من مدن الشمال فأفرزوا وضعيات أخرى شجعت على العلم النظامي الرسمي والجامعي.

ولكن لا يخلوا الأمر من وجود بعض الفئات الجامعية التي مرت بالزاوية فتعلمت منها وحفظت القرآن على يدي مشائخها، وكما هو معروف أنّ مؤسسات

التنشئة الاجتماعية هي اطار يهدف الى صياغة صورة نمطية للفرد في المجتمع وهذا ما تجد الزاوية أنه يعد أيضا أحد أهم أدوارها.

من هنا نتساءل ما هي الصورة النمطية التي تصيغها الزاوية في الفرد الأدراري وما هي القيم التي تكرسها فيه؟ هذا التساؤل الذي يُعد مهم للغاية، وذلك لأنّ الزاوية في مجتمع أدرار تعد مؤسسة مبجلة ولها وزنها الهام، فإذن الذهنية المسيرة للمجتمع هي ذهنية الزوايا بكل ما تحمله من قيم خاصة بها، هذه القيم التي تكاد تختلف أتم الاختلاف عن قيم مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى.

و للإجابة على هذا التساؤل يمكن لنا الاستعانة بأحد الدراسات الميدانية[1] التي أقيمت في أحد الزوايا الأدرارية والتي كان هدفها الوقوف على النسق القيمي لطلاب الزوايا حيث انطلقت الدراسة من تساؤل محوري مؤداه: ما واقع النسق القيمي لطلاب الزوايا بإقليم توات؟

وقد كان من أهداف هذه الدراسة ما يلي:

- محاولة حصر خصائص القيم التي يضمها النسق القيمي لطلاب المؤسسة الدينية (الزاوية) والتعرف على القيم التي تركز عليها مؤسسة الزاوية وتسعى إلى بثها في الطلاب.
- الكشف عن العوامل المؤثرة في استجابة الطلاب للقيم أي إبراز المتغيرات التي تتدخل في مستوى تمثلهم للقيم.
- تحليل أسباب وجود هالة القداسة المحاطة بالزوايا في المنطقة وعلاقتها بالقيم.

أما عن الاجراءات المنهجية فقد اعتمدت الباحثة في دراستها هاته على المنهج الوصفي وعلى تقنيتي الاستمارة والمقياس الموزعة على 98 مفردة التي شكلت عينة بحثها، على اعتبار أن نوع العينة المعتمد هو العينة القصدية.

---

[1] **باشيخ أسماء، «النسق القيمي لدى طلاب الزوايا بإقليم توات»، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2012/2011.**

و أهم نتائج الدراسة نلخصها في النقاط التالية*:

- للطلاب نسق قيمي ذي صبغة دينية فكل قيمه هي بالضرورة ممزوجة بالجانب الديني.
- طلاب الزاوية أميل للتمسك بالتقليدي دائما في ممارستهم للقيم.
- يتخذ طلاب الزاوية موقف الحياد أو الوسط عندما لا يستطيعون نفي أهمية شيء لا يدخل ضمن القيم التقليدية أي يكون يؤيد معطى عصري.
- أهم قيمة سائدة عند الطلاب هي قيمة الولاء للزاوية والتي تظهر في قداسة شيوخها وتبني فكرها في ممارستهم.
- للتنشئة الوالدية دور في تكريس فكرة قداسة شيوخ الزوايا.
- لمؤسسة الأسرة دور في توجه الأبناء للزوايا (استقرار الأسرة،حجم الأسرة).
- يمثل الشيخ محور العملية التعليمية في الزاوية بل ويتعداها إلى مجالات الطلاب غير التعليمية **فهو محور حياة** الطلاب بشكل عام .
- لطلاب الزاوية فصلا بين الحياة المهنية والحياة التعليمية بحيث وجود إحداها يبعد الأخرى وهم في الغالب غير فاعلين مهنيا ويبررون ذلك بعبارة (متفرغون للعلم).
- يمتاز طلاب الزاوية بضعف المقدرة التحليلية في مناقشة المواضيع المختلفة وهذا ما تم استنباطه من تعليقاتهم في الإستمارة، كما أن ردهم في المواضيع التي فيها فهم ومناقشة يكون بسرد ما يحفظونه من رصيد في الحكم الصوفية والأحاديث والآيات القرآنية فعند طرح أي موضوع كان مباشرة توظف لك آية أو حديث أو حكمة صوفية للرد عليك وغلق باب النقاش في حينها.

من ذلك نجد أن أهم مصدر لقيم التواتين هي قيم الزاوية، وقيم الزاوية هي قيم هجينة بين القيم الصوفية (الزهد، العبادة، العلم...) وقيم المشيخة* إن صح التعبير

* لقد تم انتقاء فقط النتائج التي تخدمنا في هذه الدراسة مستغنين بذلك عن ذكر بعض النتائج وذلك ابتعادا عن الحشو.

(الكرامة، التوسط للخلاص الرباني، ...) هذه القيم التي من شأنها جعل التواتي هو ذلك الفرد الذي يحمل المواصفات التالية:

- فرد تحركه القيم الدينية وقيم الزاوية (الصوفية/المشيخة).
- فرد يميل لتمسك بالقيم التقليدية (قيم الأجداد) بكل ما تحمله من ايجابيات وسلبيات.
- فرد مسالم فلا يميل إلى المعارضة ولا الاحتجاج إلا نادرا فهو يحتوي الأوضاع ويتكيف معها مهما كانت درجة صعوبتها.

فإذن إن المجتمع التواتي كما وصفه الشيخ "**محمد باي بلعالم**" على لسان "**فرج محمود فرج**" «هم جماعة محافظة على تقاليدها، حيث كان لأماكن العبادة ورجال الدين جانب هام من التقديس والاحترام عندهم، ولا يخلوا قصرا من قصورهم من جامع أو زاوية أو خريج لأحد الأولياء، كما كانوا حريصين على الاحتفال بالمناسبات الدينية وذكرى أوليائهم في كل عام ...كما قد وصفهم بأنهم أهل تقوى وصلاح»[1] وهذا ما زكاه أيضا الرحالة الألماني "**جير هارد رولف**" حيث قال «إنهم قوم مسالمون ويحترمون رجال الدين»[2].

---

* تم نعتها بقيم المشيخة لأنه في دراستنا الماضية ــ النسق القيمي لدى طلاب الزوايا ــ لاحظنا أن شيوخ الزوايا يعملون على صياغة بعض القيم الناتجة من فهمهم الذاتي للمشيخة (لكونه شيخ زاوية) .

[2,1] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هــومــة، ج2 ،ب ب، 2005، ص 66.

فإذن بهذا يمكن لنا أن نفهم الكثير من الممارسات الاجتماعية للتواتين وذلك بفهم مرجعيتهم والقيم المجتمعية التي تأطرهم، وهذا أيضا ما سيساهم في تسهيل عملية فهم الظاهرة قيد الدراسة في البيئة التواتية.

خلاصة الفصل:

يعتبر المجتمع الأدراري مجتمعا متأصلا من حيث ثقافته التي تصنف الى أربع أقاليم مشكلة لأربع ثقافات فرعية (تيدكلت، توات، قورارة، تانزروفت) هذه الأقاليم التي تعتبر البناءات الكبرى في المجتمع الأدراري أو التواتي كما يُطلق عليه في أحيان كثيرة حيث قد اختلف في مرد هذه التسمية ــ توات ــ إذ كل باحث قدم منطلقاته التاريخية أو اللغوية في تبيان معاني الكلمة والتي هي حسبه منطلقات لها تبريراتها الموضوعية.

كما أنّ تلك الأقاليم الأربع لا تعد الإثنيات الثقافية المتفردة في هذا المجتمع، بل هناك اثنيات تختلف في معيار تقسيمها عن المعيار الأول المثمثل في المكان الجغرافي، فمثلا نجد معيار الأصول العرقية "الشرفة المرابطين، الحراثين" أو معيار اللغة "البربر، العرب" إلاّ أنها كلها في امتزاجها تعطي لنا فحوى الثقافة التواتية التي تحاول مؤسسة الزاوية تأصيل الكثير من قيمها.

الأمر الذي ينعكس على كثير من عادات المجتمع كعادة التغنجا والمزارات والرابطة...وغيرها من العادات الأخرى التي تعطي للمجتمع عمقه وأصالته وتاريخه الثقافي المميز له.

الفصل السادس

وصف مفردات العينة والرؤية السوسيونظيمية لعمل الرقاة في منطقة أدرار

تمـــــهيد:

تعد صفة "التغيّر" من أهم الخصائص التي تنعت بها الظاهرة الاجتماعية، وذلك لأنها تعرف تغيراً من حيز جغرافي إلى آخر ومن حقبة زمنية لأخرى، الأمر الذي من شأنه أن يعطي للظاهرة صفة المحلية و الخصوصية كونها تكون ممتزجة بقيم خاصة ونمط ثقافي خاص.

وإكمالا لسير حديثنا عن ظاهرة عمل الرقاة نحاول ابتداءا من هذا الفصل مناقشتها في ظل خصوصية ميدان الدراسة (ولاية أدرار) وذلك من خلال القراءات الاحصائية والسوسيولوجية لتصريحات مفردات عينة الدراسة.

وفي هذا الفصل تحديدا نحاول اعطاء لمحة عن خصائص مفردات العينة من خلال عدة متغيرت (الجنس، السن، الحالة العائلية...) وكذا تقديم عمل الرقاة من خلال عناصره التنظيمية (أسلوب العمل، آليات العمل، الأجر...) وذلك دائما في ظل القراءات السوسيواحصائية لآراء المبحوثين قيد البحث كما سندعم ذلك بعرض لنموذجين من الرقاة الأكثر شعبية بولاية أدرار.

أولا: وصف مفردات العينة من حيث الخصائص الشخصية.

1) متغير الجنس:

جدول رقم (03) توزع مفردات العينة حسب متغير الجنس

الجنس	التكرار	النسبة %
ذكر	23	%22.5
أنثى	97	%77.5
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن أغلب مفردات العينة هن من الإناث بنسبة 77.5% ثم تليها نسبة 22.5% التي تمثل فئة الذكور، وذلك راجع لعدة اعتبارات منها أن المرأة تعد الأكثر اقبالا على الرقاة من الرجل هذا على الأقل ما تم ملاحظته أثناء عملية توزيع الاستمارات حيث تم ملاحظة العديد من الحالات لرجال تعد نسائهن مقبلات على الرقاة وهن لم يزوروه إلا مرة أو لم يزوروه بالمرة، وقد كانت أغلب مبرارتهم تتمحور حول أن دوام العمل يمنعهم من الذهاب الى الراقي.

بالإضافة إلى أن مما تم ملاحظته أيضا عند زيارتنا للرقاة أن **الأم** هي في الغالب من تتكفل بأخذ الأبناء للراقي في حال مرضهم أو فشلهم الدراسي...الخ، بل حتى أن المكان المخصص لانتظار الإناث دائما كان أوسع من المخصص لذكور انعكاسا لقلة اقبالهم.

كما أنّ البعض من الرجال كان يرافق أهله (زوجته/أخته/أمه..) وعند مدخل الراقي يتركهن ويذهب طالبا منهن مهاتفته عند الانتهاء ولا يدخل هو للرقية.

وكل هذا قد يرجع مرده الى طبيعة الرجل وطبيعة المرأة، فالرجل دائما يفضل التواجد في المواقف الاجتماعي الذي يظهر قوته الأمر الذي لا تكثرت له المرأة كثيرا، و الرقاة كما هو معروف أنهم للعلاج من الأمراض أو العلل التي قد تواجه الفرد والتي قد تضعفه، الأمر الذي لا يفضل الرجل اظهاره كثيرا حتى وإن كان عليلا إلا اذا بلغ الداء مرحلة لا يمكن فيها التحمل أكثر من ذلك.

بالإضافة إلى أن بعض الرقاة يرقي للمريض من أثره (لباسه مثلا) حتى وإن لم يحضر بنفسه، إذ في أحد المواقف سألت أحد النساء الراقي إن كان بإمكانه رقية ابنها وزوجها دون أن يحضرا لأنها لا يهتمان لأخذ الرقية فقال لها الراقي "نعم" يمكن ذلك مشيرا في كلامه إلى الاستخارة (نعم أحضري شيء من لباسهما ثم أتركي عندي اللباس إلى الغد حتى أستخير ثم أقدم لك العلاج)* الأمر الذي يجعل الذكور يأخذون الرقية دون التردد على الراقي فتبدوا بذلك المرأة هي الأكثر اقبالا من الرجل.

* تم ذلك عند "الراقي جلول" وهو من الرقاة الأكثر شهرة في ولاية أدرار وسيتم الاشارة اليه بالتفصيل في موقع لاحق من البحث أنظر ص 181.

❖ متغير الســـن:

جدول رقم (04) توزع مفردات العينة حسب متغير السن

السن	التكرار	النسبة %
أقل من 20 سنة	06	%5.9
[20 ــ40[	79	%77.5
[40 ــ60]	16	%15.7
60 سنة وأكثر	01	%1
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن أعلى نسبة كانت لدى المبحوثين اللذين هم في سن مابين **[20 ــ40[** سنة حيث تمثلهم نسبة 77.5% تليها نسبة 15.7% التي تمثل نسبة المبحوثين الذين هم في سن مابين **[40 ــ60[** سنة، ثم تأتي نسبتي 5.9% و 1% التي تمثل على الترتيب المبحوثين الذين هم في سن أقل من 20 سنة و من هم في سن 60 سنة و أكثر.

حيث مما هو معروف أن سن ما بين **[20 ــ40[** سنة يمثل المرحلة العمرية الأكثر تطلبا من حيث الرغبة في العمل، الزواج، الحظ....وغيرها الأمر الذي لا يكون حاضر بإلحاح في السن الأقل من 20 سنة كونه يمثل المرحلة العمرية التي يكون فيها الفرد معتمدا على والديه في توفير المتطلبات الحياتية، بالإضافة الى أنّ سن ما فوق 60 سنة يكون فيها الفرد أيضا أقل تطلبا من الفئة العمرية **[20 ــ40[**سنة

فهو يكاد ينشد شيء واحد وهو الصحة والمعافاة في البدن الأمر الذي يبرر وجود أعلى نسبة عند الفئة الشبابية كونهم الأكثر اقبالا على الرقاة من غيرهم.

❖ متغير الحالة العائلية:

جدول رقم (05) توزع مفردات العينة حسب متغير الحالة العائلية

الحالة العائلية	التكرار	النسبة %
أعزب	65	%63.7
متزوج	33	%32.4
مطلق	1	%1
أرمل	3	%2.9
المجموع	102	%100

تُبرز لنا نسب الجدول أن المبحوثين هم في أغلبهم من العزاب ونسبتهم 63.7% تليها نسبة المتزوجين وتمثلهم نسبة 32.4%، ثم تليهم نسبة الأرامل والمطلقين وتمثلهم على التوالي نسبة 2.9% ونسبة 1%.

نستشف من منحى هذه النسب أنها تتجه في نفس منحى الجدول السابق المتعلق بالسن فكون أغلب المبحوثين من الشباب يرجح الى أن أغلبهم قد يكونون عزاب خاصة في العصر الحالي الذي أصبحت العنوسة أو تأخر سن الزواج ظاهرة تفرض

نفسها بإلحاح نظرا لتعقد المتطلبات الحياتية والمعايير الزواجية ووجود بعض البدائل الإشباعية الأخرى.

❖ متغير المستوى التعليمي

جدول رقم (06) توزع مفردات العينة حسب متغير المستوى التعليمي

الحالة العائلية	التكرار	النسبة %
أمي	05	%4.9
يقرأ ويكتب	07	%6.9
ابتدائي	05	%4.9
متوسط	04	%3.9
ثانوي	25	%24.5
جامعي	56	%54.9
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن أغلب المبحوثين هم من ذوي مستوى تعليمي جامعي ونسبتهم 54.9% تليها نسبة 24.5 % التي تمثل المبحوثين اللذين هم ذو مستوى تعليمي ثانوي، ثم تليها نسبة 6.9% التي تمثل من هم في مستوى تعليمي يقرأ ويكتب وفي الأخير نجد نسبة 4.9% التي تمثل المبحوثين اللذين هم في مستوى تعليمي أمي ومن هم في مستوى تعليمي ابتدائي على حد سواء.

فالمقبلين على الرقاة هم في أغلبهم من الجامعيين وذلك لأن هذه الفئة لم تعد الفئة الشاذة في المجتمع بل المستوى الجامعي أصبح لدى الكل تقريبا، والمجتمع يميل عاما بعد عام الى تشجيع مواصلة التعليم ليس الى اللسانس الجامعي فحسب بل حتى نحو التدرج في مابعد ذلك من شهادات (ماجستير/ماستر، دكتوراه).

بل حتى أن الانتقال نحو نظام التكوين "LMD" كان له الأثر في توسيع قاعدة الجامعين كونه أصبح يسرع من المخرجات الجامعية فبعد كل ثلاث سنوات تتخرج دفعات بكم معين في كل التخصصات المختلفة.

وعلى العموم قد كانت تخصصات المبحوثين الجامعين محصورة على وجه التحديد في التخصصات التالية:

هندسة مدنية، الرّي، العلوم القانونية والادارية، التاريخ، علم الاجتماع، الفلسفة العلوم الطبية، اللغة العربية وآدابها، العلوم التكنولوجية، علوم التسيير والاقتصاد التجارة، العلوم الاسلامية، الرياضيات، الإلكترونيك، الفرنسية.

❖ متغير مكان الاقامة:

جدول رقم (07) توزع مفردات العينة حسب مكان الاقامة*

الحالة العائلية	التكرار	النسبة %
بيئة حضرية (مدينة)	39	%38.2
بيئة ريفية (قصور)	63	%61.8
المجموع	102	%100

يبين الجدول أن أغلب المبحوثين هم من بيئة ريفية وتمثلهم نسبة61.8% تليها نسبة 38.2% التي تمثل المبحوثين اللذين هم من بيئة حضرية.

بداية يمكن الاشارة الى أن التكلم عن بيئة ريفية خالصة أو بيئة حضرية خالصة أمر يفنده الواقع الفعلي، إذ الوضع الراهن بات يعرف ظاهرة ترييف المدن وتمدن الأرياف فتلاحظ مظاهر ريفية في البيئات الحضرية ومظاهر مدنية في البيئات الريفية، الأمر الذي صعب عملية الفصل الحاسم لما يسمى مدينة ولما يسمى ريف «وذلك راجع الى نشوء ثقافات فرعية ذات قيم ومعايير اجتماعية معينة لم تستطع التخلي على نمطها المعيشي الأصلي»[1] الأمر الذي يتواجد أيضا في البيئة الأدرارية التي كانت تُعرف أريافها بمسمى ـــ **القصر** ـــ الذي كان يعرف حالة البساطة في

* الأمر الهام في هذا العنصر هو مدى التجاوب مع البحث وفق متغير مكان الاقامة حيث كان سكان القصور أكثر تجاوبا في ملأ الاستمارات ولا يقدمون أي تؤويلات أو تحفظات بخصوص تساؤلات الاستمارة في حين كان سكان المدينة ونعني بذلك تحديدا سكان "مدينة أدرار" أي مقر الولاية كان المبحوثين يظهرون أن ملأ الاستمارة يسبب لهم نوعا من الاحراج بحيث يعطون ايحاء وكأن الذاهب للراقي غير متحضر بمعنى كانت المسألة تعامل بنوع من المظهرية "**prestige**" وذلك لأننا لاحظنا أن في القصور مسألة الذهاب للراقي شيء يعتبر جزء من الحياة اليومية بل وينعتون من لا تذهب وكأنها غافلة وغير حاذقة، أما في المدينة فالذهاب للراقي يحاط بنوع من التستر ويفضل الذاهب عدم معرفة الآخرين بتردده على الراقي.

[1] **Marshall B .clinard ,Sums and Community Development, N.Y .coller macmillan Ltd ,free press ,1970 ,p4 .**

المسكن والتعامل والنمط المعيشي هذه على الأقل بعض المؤشرات التي من شأنها اعتبار القصر ريفاً.

إلا أننا في هذا الصدد تحديدا نجد أننا بحاجة الى معايير تصنيفية جديدة (للريف والمدينة) غير تلك الكلاسيكية التي أصبحت تقدم لنا تصنيفات بعيدة عن الدقة والواقعية، إذ هناك كثير من المؤشرات التصنيفية قد اختفت أو تعدلت أو ظهرت مؤشرات أخرى غيرها.

«وعلى العموم يمكن أن يتميز المجتمع الريفي عن المتمدن أنه صغير الحجم، منعزل نسبيا يتميز أعضاءه بالانتماء والأمية والتضامن الآلي وعدم التخصص في الأنشطة،والتخلف التكنولوجي ونمطية السلوك وتلقائيته، وعدم احتمال النقد والاحتماء العائلي والقرابي، والميل نحو الحكم على الأشياء بحكم العاطفة لا بمنطق العقل الأمر الذي أظهر في هذا النمط المجتمعي ألوان السحر والخرافات والشعوذة والمعتقادات الغيبية التي مثلت اطارا أساسيا لما يعرف بثقافة المجتمع الريفي»[1].

هذه المعايير الأخيرة التي إن تم وضعها على محك الواقع لظهر شيء آخر فالبيئة الريفية أصبحت تحتوي على بناءات راقية، وعلى التكنولوجيات، وعلى المستوى التعليمي العالي...الخ الأمر الذي جعلنا نقول أن التغير الاجتماعي قد طال ما يسمى ريف بالمعايير التقليدية وما يسمى مدينة بذات المعايير أيضا.

وفي الحديث عن البيئة الأدرارية نجد عندما تذكر كلمة ـــ قصر ـــ تكون مرادفة للريف من ناحية كما سبق لنا الذكر وتكون في ذات الوقت مرادفة لتسمية المكان فنقول مثلا "قصر أولاد علي" "قصر أولا أشن" ...اشارة الى مكان وحيز جغرافي معين، وقد لا يعني بالضرورة أن ما نطلق عليه قصر فلان أنه بيئة ريفية بل قد تكون لصيقة بوسط الولاية "مدينة أدرار" مثل القصريين اللذين تم ذكرهما آنفا.

---

[1] محمد عباس وآخرون، الأنتروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002، ص 231.

لكن بالمنظار الاجتماعي ما كان ريفا منذ زمن يبقى في نظرهم كذلك مهما لحقه من تبدلات وما كانت مدينة منذ زمن تبقى في نظرهم كذلك أيضا، وكأن ليس بإمكان أن تنقلب الأرياف مدنا أو المدن أريفا هذا إن صدق الحديث عن ريف بكل المعايير ومدينة بكل المعايير وليس "ريف متمدن"* يأخذ من الأولى ويأخذ من الثانية.

هذا عموما في الحديث عن ريفية القصور أما في الحديث عن تصنيفاتها نجد أن هناك من يصنفها إلى ثلاث أصناف هي[1]:

- قصور عتيقة وتضم 316 قصرا أساسيا.
- قصور متوسطة القدم والحجم فرعية.
- قصور حديثة ثانوية.**(أنظر الشكل رقم 05)**

شكل رقم (05): **تصنيف القصور التواتية.**

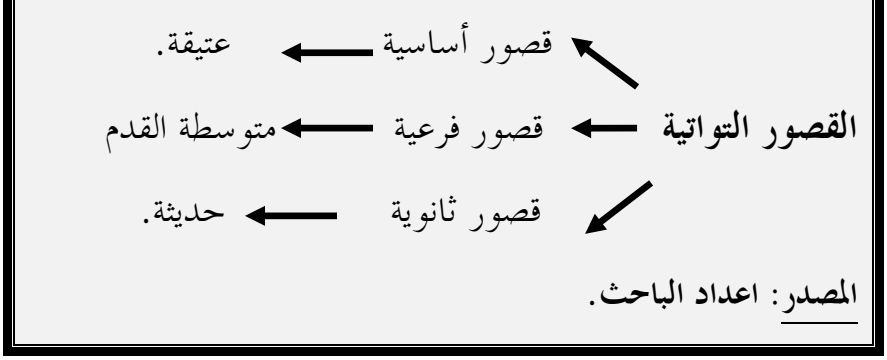

المصدر: اعداد الباحث.

فبفعل التوسع العمراني أصبحت تزداد التجمعات السكانية فتتشكل بذلك في كل مرة قصور جديدة ولكنها في النهاية مجمل القصور التواتية هي إما قصورا أساسية

*** لازال ما نسميه بـــ "المدينة/ الحضر" في المجتمع الجزائري بعيد عن ذلك المسمى على الأقل عند الحديث عن التمدن والتحضر الحقيقي وفق المعايير الجدية الصارمة، وإنما أصدق وصف لها هو أنها ريف متمدن فلازلنا في مرحلة السير نحو المدنية .**

[1] مبروك مقدم، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، دار هومة، ج1، الجزائر، 2008،ص 31.

أو فرعية أو ثانوية وذلك على اعتبار أن القصور القديمة هي التي تتوفر فيها الخصائص التالية[1]:

- وجود فقارة واحدة لمجوعة من القصور أو الأحياء كما هو الحال بفقارة "أكرينج" التي تسقي 09 قصور (أولاد علي، أولادأوشن، أولاد أحمد، أولاد أنقال، باعبد الله، أولاد ابراهيم المنصور، باعبد الله التحتاني).
- وجود مقبرة واحدة كما هو الحال بين أولاد علي و أولاد أوشن.
- اختلاط البساتين الناتج عن اختلاط الأرض.

فإذن مسمى قصر لا يعكس الحالة الريفية التامة كما لا تعكس المدينة الحالة الحضارية التامة، وهذا ما هو واضح في البيئة الأدرارية خاصة كونها واقعة في الجنوب الجزائري الذي بقي معزولا عن مظاهر التنمية لعقد من الزمن.

❖ متغير العمـــل:

جدول رقم (08) توزع مفردات العينة حسب متغير العمل

العمل		التكرار	النسبة %
يعـــــمـــل		27	%26.47
لا يعمل	في طور الدراسة "طالب"	38	%37.26
	بطال	37	%36.27
المجموع		102	%100

[1] نفس المرجع،ص 31.

نلاحظ من الجدول أن أعلى نسبة هي لدى المبحوثين غير العاملين سواء لكونهم لازالوا طلابـــا متمدرسون أو لكونهم بطالين حيث نسبتهم على التوالي 37.26% و 36.27%، تليها نسبة المبحوثين العاملين ونسبتهم 26.47%.

يعتبر الراقي بذلك مقصد غير العامل أكثر من العامل، لكون الراقي هو المعالج الشعبي الذي لا يُقدم له المال الكثير بالمقارنة مع الأطر الرسمية "الأطباء مثلا"، الأمر الذي يجد فيه الأشخاص اللذين لا يعملون مبتغاهم بأقل ثمن أو باللاثمن.

ثانيا: رؤية سوسيوتنظيمية لعمل الرقاة في منطقة أدرار

1) مصادر التعرف على الراقي:

جدول رقم (09) توزع أفراد العينة حسب مصدر التعرف على الراقي.

المصدر	التكرار	النسبة %
عن طريق الأقارب	47	%46.1
عن طريق الجيران	14	%13.7
عن طريق الأصدقاء	36	%35.3
عن طريق الإذاعة	02	%02
عن طرق التلفاز	01	%01
الراقي من أقاربي	01	%1
الراقي هو شيخي في المدرسة القرآنية	01	%1
المجموع	102	%100

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلب المبحوثين قد تعرفوا على الراقي عن طريق أقاربهم ونسبتهم 46.1%، تليها نسبة 35.3% التي تمثل المبحوثين الذين تعرفوا على الراقي عن طريق الأصدقاء ثم نسبة 13.7% التي تمثل المبحوثين الذين تعرفوا على الراقي عن طريق الجيران، وفي الأخير نجد المبحوثين الذين تتعرفوا على الراقي عن طريق الإذاعة

أو عن طريق التلفاز، أو لكونه من أقاربهم أو لكون الراقي مدرس في المدرسة القرآنية التي ينتمي اليها ونسبتهم تتراوح بين 2% و1%.

نستشف من ذلك أن الوسط العائلي هو أكثر وسيلة ساهمت في ذيوع المعرفة بالرقاة لكونه أكثر الأوساط التي تتوفر فيه فرصة الاحتكاك وتناقل الخبرات الحياتية، والتعرف على تجارب الآخرين (في مناسبات الزواج والختان،العقيقة،الزيارة ...وغيرها من المناسبات التي تجتمع العائلة على اثرها) الأمر الذي يمكن من توسع المعرفة بالراقي.

وقد تختلف هذه الوسيلة باختلاف البيئة الجغرافية "مدينة/ريف" الأمر الذي نطلع عليه من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (10) العلاقة بين مكان الاقامة ومصدر التعرف على الراقي.

المصدر / مكان الاقامة	الأقارب	الجيران	الإذاعة	التلفاز	الأصدقاء	الراقي هو شيخي في مدرسة القرآنية	الراقي من أقاربي	المجموع
بيئة ريفية	35 %55.6	6 %9.5	/	/	20 %31.7	01 %1.6	01 %1.6	63 %100
بيئة حضرية	12 %30.8	08 %20.5	02 %5.1	01 %2.6	16 %41	/	/	39 %100
المجموع	47 %46.1	14 %13.5	2 %2	1 %1	36 %35.3	1 %1	1 %1	102 %100

يبين الجدول أن جل المبحوثين الذين تعرفوا على الراقي عن طريق الأقارب هم في معظمهم من بيئة ريفية ونسبتهم 55.6%، في حين أن المبحوثين الذين تعرفوا على الراقي عن طريق الأصدقاء هم في معظمهم من بيئة حضرية ونسبتهم 41%، أما

الذين تعرفوا على الراقي عن طريق الجيران جلهم من بيئة حضرية ونسبتهم 20.5% والمبحوثين الذين تعرفوا على الراقي عن طريق الإذاعة والتلفاز فهم كلهم من بيئة حضرية ونسبتهم على الترتيب 2% و1% وفي الأخير نجد المبحوثين الذين تعرفوا على الراقي لكونه مدرس في المدرسة القرآنية التي ينتمون اليها أو لكون الراقي من أقاربهم فهم كلهم من بيئة ريفية ونسبتهم على حد سواء هي 1%.

من هذه القراءة الإحصائية المذكورة آنفا يمكن أن نشكل التصنيف التالي:

البيئة الريفية: الأقارب،شيخ المدرسة القرآنية، علاقة الدم أو القرابة(الراقي جزء من الأهل).

البيئة الحضرية: الجيران، الأصدقاء، الإذاعة ،التلفاز.

إذن هناك نوع من التمايز التصنيفي في مصادر التعرف على الراقي تعزى لمتغير البيئة (ريف/حضر) حيث نلاحظ أن المصدر يكون مرتبطا بالقرابة أو صلة الدم أو المؤسسة الدينية فيما يخص الريف، وهي كلها مصادر مباشرة وبشرية أهمها الروابط الأسرية أما فيما يخص البيئة الحضرية فنلاحظ أنها مصادر تبتعد عن علاقات القرابة وصلة الدم لتمس الجيران أو الأصدقاء أو الوسائط التكنواعلامية (الإذاعة/التلفاز) وذلك لأنه كما سبق لنا الذكر* أن في البيئة الريفية يعد الذهاب للراقي ممارسة اجتماعية يومية مطلوبة وتمارس بعفوية وتلقائية، في حين في المدينة يميل الأفراد إلى التستر وعدم علم الآخرين بذهابهم الى الراقي، الأمر الذي بدى واضحا من خلال هذا الجدول، حيث نجد أن سكان الحضر اتجهوا نحو الوسائط التي لا تعرف عنهم الكثير أو الوسائط التي ليس من شأنها معرفتهم لأنها تمتاز بالتفاعل غير المرئي (اذاعة/ تلفاز) فهذين الآليتين الأخيرتين ليس باستطاعتهما تشخيص الأفراد.

* أنظر ص 145 من هذه البحث.

وتبرير كل ذلك هو أن المجتمع يرسم للريفي شخصية نمطية تعد الممارسات الشعبية جزء من اعتقاداتها، أما الحضري فتُرسم له شخصية نمطية تقصي الممارسات الشعبية وتعتبرها أنها تخلف ورجعية، لذلك كل من يريد أن يُصنَف أنه حضري عليه الالتزام بضوابط الشخصية النمطية التي رسمها المجتمع للفرد الحضري.

إذن سيكون عليه بذلك التخلي عن ممارسات كثيرة لا تليق مع هذا النمط من الشخصية (الحضرية) أو أن يمارسها على غير مرأى المجتمع، وإلا سيستهجن ويقصى (على الأقل بحسب قاعدة القهر الاجتماعي الدركايمي) الأمر الذي يكرسه المبحوثين فعليا في ممارساتهم التي تتحرى التخفي.

فهم متمسكون بأن يصنفوا "حضاريين" لذا هم يخشون أن يتم اقصاءهم من ذلك التصنيف إذا ما علم المجتمع أنهم أخلوا بأحد بنود الشخصية الحضرية، فيكون بذلك التكتم أوالبحث عن الوسائط التي لا تشخصهم هو الحل الذي يراوغ به أفراد المجتمع بعضهم للحفاظ على المكانة الاجتماعية حتى و إن كانت تلك المكانة أساسا هي مكانة معنوية.

هذا عن الوسائط وفيما يلي نحاول في الآتي معرفة إن كان المبحوثين يتردون على ذات الراقي أم أن ذلك تحكمه رؤية أخرى يبررها المبحوثين قيد الدراسة.

جدول رقم (11) تردد المبحوثين على نفس الراقي في كل مرة.

التردد الدائم	التكرار	النسبة %
نعم	62	%60.8
لا	40	%39.2
المجموع	102	%100

من خلال الجدول نلاحظ أن المبحوثين يميلون الى الذهاب الى ذات الراقي في كل مرة ونسبتهم 60.8% في حين الذين لا يترددون على ذات الراقي في كل مرة كانت نسبتهم 39.2% وقد كانت تعليلات المبحوثين في هذا الصدد متمايزة حيث الذين يفضلون الذهاب إلى نفس الراقي في كل مرة عللوا ذلك بما يلي[1]:

1) لأن كفاءته مكنت من علاجي.
2) ارتحت له.
3) لأنه يرقي بالرقية الشرعية.
4) لأنه أهل للثقة.
5) لأن رقيته سليمة.
6) لأنه يحدد لي مواعيد للعودة في كل مرة.
7) لأنه من العائلة (خالي).
8) لأنه متخلق ومتدين.
9) لأنه الراقي الوحيد الذي أعرفه.

[1] من تصريحات المبحوثين في تعليقاتهم عن السؤال المفتوح في الاستمارة المتعلق بهذه الجزئية.

10) لأنه يسكن في قصرنا.

11) لا أفضل ذلك الخلط في الأدوية بالتداوي من أكثر من راقي.

فثبات المبحوثين على ذات الراقي مرتبط بثلاث عوامل هي:

- **عامل القرب المكاني و القرابي.**
- **عامل الحصول على الشفاء وتمكن الراقي من علاج المريض.**
- **العامل الأخلاقي المرتبط بتدين وأخلاق الراقي وكذا التزامه بالرقية السليمة والشرعية من منظور المبحوثين.**

أما المبحوثين الذين لم يثبتوا على الرقية من عند راقي واحد قد كانت مبرراتهم فيما يلي[1]:

1) عندما لا تفيد رقية الراقي الأول أذهب لغيره.

2) كلما أسمع أن هناك راقي جيد أذهب اليه.

3) لأنه لا يهمني الالتزام براقي واحد المهم أن أشفى.

4) لأنني أثق في العديد من الرقاة وليس في راق واحد.

5) لأنني بدأت أرقي نفسي بنفسي.

نجد كل هذه المبررات تتمحور في كون المبحوثين يسعون إلى الحصول على أكبر قد من المنفعة إما زيادة الشفاء أو للحصول على منافع أحسن من راقٍ آخر أحسن من الأول، وفي المبرر الأخير أين بدأ الاستقلال بالرقية (الرقية الشخصية) أي رقية الفرد لنفسه بنفسه.

[1] من تصريحات المبحوثين في تعليقاتهم عن السؤال المفتوح في الاستمارة المتعلق بهذه الجزئية.

2) أسباب التوجه للرقاة:

جدول رقم (12) توزع أفراد العينة حسب سبب توجهم للراقي.

السبب	التكرار	النسبة %
أعاني من مرض جسدي	34	%28.57
أعاني من مرض نفسي	27	%22.68
أعاني من مس جني	03	%2.52
أعاني من العين	10	%8.40
لإيجاد منصب عمل	07	%5.88
للرغبة في الزواج	10	%8.40
لتحصين نفسي	06	%5.04
لتقوية ايماني	01	%0.85
لوجود مشاكل مع الزوج (ة)	01	%0.85
للنجاح في الدراسة	01	%0.85
لأرقي أبنائي	19	%15.96
المجموع	*119	%100

نلاحظ من الجدول أعلاه أن معظم مفردات العينة كان سبب توجهم للراقي هو كونهم يعانون من مرض جسدي ونسبتهم 28.57%، وتلي هذه النسبة نسبة 22.68% التي تمثل المبحوثين اللذين يعانون من مرض نفسي، ثم تأتي نسبة 15.96% التي تمثل المبحوثين اللذين كان سبب ذهابهم للراقي هو لرقية أبنائهم

* تضخم في حجم العينة لأن المبحوث في بعض الأحيان كان يكون له أكثر من سبب واحد للذهاب للراقي.

وبنسب متقاربة تأتي باقي الأسباب المتمثلة في العين8.40%، للرغبة في الزواج 8.40%، الحصول على منصب عمل5.88%، التحصن 5.04%، المس الجني 2.52%، مشاكل مع الزوج 0.85%، تقوية الايمان 0.85%، للنجاح الدراسي0.85%.

من ذلك تعد الأهم الأسباب التي تستدعي من المبحوثين التوجه للراقي هي:

- **الاصابة بمرض جسدي**: حيث تمثلت الأمراض الجسدية التي ذكرها المبحوثين في مايلي:ألم المفاصل، الدوار، التشنج العضلي، ألم الأسنان، القرحة المعدية، الصداع، ألم في اليدين، الربو، ألم الظهر، النحافة.

- **الاصابة بمرض نفسي**: حيث حدد المبحوثين نوعية هذا المرض بـــ: الاكتئاب الكوابيس، القلق غير المبرر، الوسواس، الشعور بالاختناق، النسيان، كثرة النوم أثناء العمل، الخوف، توهم وتخيل رؤية أشياء غير موجودة.

- **للرغبة في رقية الأبناء**:وفيما يأتي نحاول معرفة أهم الأسباب التي تستدعي المبحوثين لرقية أبنائهم.

جدول رقم (13) توزع أفراد العينة حسب سبب توجهم لرقية أبنائهم.

السبب	التكرار	النسبة %
لتحصينهم من العين	17	%68
لأنهم في سنة امتحان مصيري (باكالوريا،شهادة المتوسط أو الابتدائي)	01	%4
لانحرافهم (سرقة، تدخين...)	02	%8
رسوبهم	02	%8
الأرق	01	%4
النهوض ليلا والكلام أثناء النوم	02	%8
المجموع	*25	%100

نلاحظ من الجدول أنه تتنوع الأسباب التي تستدعي من الوالدين أخذ أبنائهم للرقية إلاّ أن جلهم يكون سببهم هو الرغبة في تحصين الأبناء من العين ونسبتهم 68% تليها نسبة 8% التي تمثل المبحوثين الذين كان سبب أخذ أبنائهم للراقي هو انحراهم أو رسوبهم، أو لأنهم يعانون من النهوض والكلام ليلا، وآخر نسبة نجدها تمثل المبحوثين الذين يأخذون أبنائهم للرقية لأنهم يعانون من الأرق أو لأنهم في امتحان مصيري ونسبتهم على حد سواء هي 4%.

* تغير في المجموع لسببين هما: أولا هذا السؤال معني به فقط من توجهوا للراقي لغرض رقية أبنائهم، ثانيا هناك من المبحوثين من كان له أكثر من سبب استدعاه لأخذ ابنه لرقية.

نجد أن الأسباب الآنفة الذكر تنقسم الى أسباب تربوية تنشيئية (امتحان مصيري الانحراف، الرسوب) وأسباب اضطرابية سلوكية (الأرق، النهوض والكلام ليلا) وأسباب متافيزيقية (العين) إلا أن المبحوثين يعلون من السبب الميتافيزيقي وهو الأكثر الحاحا عندهم لأخذ أبناهم للرقية من أي سبب آخر، وذلك لأن الأسباب الأخرى قد يكون لها مصادر أخرى لضبطها "المعلم، دروس الدعم، المعالج النفسي..." ولكن (العين) حسبهم يعد الراقي هو المعني المحوري الذي من شأنه تخليص أبنائهم منها.

فإذن تعد عبارة "العين" هي التفسير الأول الذي يعطيه الآباء حال تغير حالة أبناءهم «فرسوب أحد الأبناء أو رفضه استكمال دراسته أو الرغبة المستمرة في النوم والشعور الدائم بالتعب والضيق كلها أعراض غالبا ما تعزى إلى الاصابة بالعين الحاسدة لذا فإن اعلان نجاح الأبناء أو تفوقهم لا بد أن تصاحبه عبارات لدرء الحسد أو ادعاء مرضه أو اصابته بالصداع المستمر، وكذا ذكر الأعباء الثقيلة التي تتحملها الأسرة بدون عائد وخاصة أمام الأقارب والجيران ممن تتماثل ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية معهم ولديهم أبناء في نفس المرحلة الدراسية[1] فهي ممارسات اجتماعية يعتقد بها الوالدين أنهم يبعدون بها أذى العين عن أبناءهم هذا اضافة الى العمل على رقيتهم المستمرة لزيادة تحصينهم.

[1] محمد عبده محجوب، فاتن محمد شريف، التراث الشعبي، دار الوفاء، الاسكندرية، 2007، ص 45.

3) مواعيد العمل:

جدول رقم (14): وجود مواعيد عمل للراقي.

وجود المواعيد	التكرار	النسبة %
نعم	37	%36.3
لا	29	%28.4
لا أدري	36	%35.3
المجموع	102	%100

نلاحظ من خلال الجدول أن جل المبحوثين صرحوا بأن للراقي مواعيد عمل ونسبتهم 36.3%، وبنسبة متقاربة من هذه النسبة نجد المبحوثين الذين صرحوا بعدم معرفتهم إن كان للراقي مواعيد عمل أم لا ونسبتهم 35.3%، وفي الأخير نجد نسبة 28.4% التي تمثل المبحوثين اللذين صرحوا بأنه ليس للراقي أي مواعيد عمل.

يعد تحديد مواعيد العمل أمر هام لأي عمل كان لأنه يضبط حضور العامل ومتلقي الخدمة في ذات الموعد، كما أن ضبط مواعيد العمل يمكن العامل من برمجة باقي مهامه وأدواره الحياتية الأخرى؛ وفي الحديث عن مواعيد عمل الراقي نجد أنها خاضعة لاعتبارات يحددها الراقي ذاته كأوقات فراغه، والمناخ ...وغيرها، و يحرص الراقي على اعلام المبحوثين بهذه الأوقات كأن يكتبها على باب مسكنه أو في قاعة الانتظار أو يعتمد الاعلام الشفوي لها.

وعلى العموم قد تباينت المواعيد العمل التي صرح بها المبحوثين وهي بحسبهم كمايلي[1]:

الموعد1: يوميا من 7:00 صباحا إلى 13:00 زوالا.

الموعد2: يوميا عدا الجمعة من 8:00 صباحا إلى 18:00 مساءا.

الموعد3: من السبت إلى الخميس من 8:00 إلى 12:00 ظهرا.

الموعد 4: كل يوم اثنين وخميس من 8:00 الى 17:00 مساءا.

حيث هذه المواعيد الأربع هي التي كان يكررها المبحوثين في كل مرة، وعلى العموم كما سبق لنا الذكر يعمل الراقي على تحديد هذه المواعيد حتى يترك فسحة من الوقت لأدواره الاجتماعية الأخرى خاصة و أن الرقاة هم في أغلبهم يدرسون في كتّاب الحي أو في المدرسة القرآنية أو إمام مسجد.

وما يمكن ذكره أيضا أنه بالرغم من أن هناك تحديد دقيق للمواعيد (بالأيام والساعات) إلا أنها قد تخرق في بعض الأحيان عند الاستنجاد بالراقي في حالات مرضية طارئة، أو في حال قدوم أشخاص للراقي من مكان بعيد غير مكان وجود الراقي كان يأتوا من ولاية أخرى أو من دائرة أو بلدية بعيدة.

كما أنه في بعض الأيام يكون لدى الراقي حضور كثيف فيحين الوقت المحدد لانتهاء العمل ولكن يبقى هناك بعض الحاضرين اللذين لم يحضوا بالرقية بعد مما يضطر الراقي على البقاء إلى خروج آخر زبون لديه وليس عندما يحين موعد انصرافه المحدد سلفا.

[1] من تصريحات المبحوثين.

4) آليات العمل ووسائله:

جدول رقم (15) الآليات (المواد) المستخدمة في عمل الراقي.

المواد	التكرار	النسبة %
الأعشاب	30	%20.13
المـــــاء	87	%58.39
الزيوت	21	%14.09
البيض	04	%2.69
الخيط	01	%0.67
سعف النخيل	01	%0.67
لا شيء	05	%3.36
المجموع	*149	%100

نلاحظ من الجدول أن معظم المبحوثين صرحوا بأن الراقي يعتمد في عمله على الماء ونسبتهم 58.39%، تليها نسبة المبحوثين الذين صرحوا أن الراقي يعتمد في عمله على الأعشاب ونسبتهم 20.13% ثم تأتي نسبة 14.09% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن الراقي يعتمد في عمله على الزيوت، وهناك من صرح أن الراقي لا يعتمد في عمله على أية آلية مهما كانت ونسبتهم 3.36%، وبنسب متقاربة تأتي

* تضخم في المجموع بسبب اختيار المبحوث أكثر من آلية معتمدة عند الراقي.

تصريحات المبحوثين اللذين يرون أن الراقي يعتمد في عمله على البيض، الخيط وسعف النخل حيث نسبتهم لا تتجاوز 2.69%.

إذن يعد **المـــاء** أهم مادة يعتمد عليها الرقاة في عملهم وذلك برقيته ليتمكن المريض من الشرب منه أو الاستحمام به، حيث لم نكد ندخل عند راقٍ (في حدود اطلاعنا) من الرقاة النساء منهم والرجال إلا ونجد كماً من قارورات الماء أمامهم التي يسلمونها للمريض بعد الرقية خاصة إن كان يسكن بعيدا ولا يكون في وسعه الرقية بإستمرار.

وعلى العموم قد ذكر المبحوثين بعض تسميات المواد المعتمدة في الرقية وهي حسب تصريحاتهم كما يلي[1]:

الأعشاب:اكليل الجبل، الجاوي، لزير، الشيح، الخزامى، العرعار، السدرة، الزنجبيل الريحان، الحنة، الزعفران، عرق السوس، أمنّاس، الكروية، الشعير، حبوب القصبر البابونج، السانوج، الفجل، الكمون.

الزيوت:زيت الزيتون، زيت الحبة السوداء، زيت الخروع، زيت النعناع، زيت الثوم زيت اللوز، زيت الجزر، زيت الكافور.

السوائل: ماء الزهر، ماء زمزم، ماء المطر، ماء الورد، الخل.

ويضاف الى ذلك بعض المركبات كالعسل مثلا، واضافة الى هذه المواد قد يعتمد الراقي بعض الأدوات كالسكاكين، الصحن، النار للكي... و كل هذه الآليات ستوضح عند عرض أسلوب الراقي في الرقية.

[1] من تصريحات المبحوثين وقد كتبت التسميات كتابة حرفية كما دونها المبحوث.

5) أساليب العمل وخطواته:

لقد قدم المبحوثين من خلال تصريحاتهم أساليب عديدة للرقية حيث كانت كلها تدور في احدى الأساليب التالية[1]:

الطريقة 1: وضع يمناه على ناصيتي ـــ تلاوة آيات من القرآن والأدعية ـــ اخباري بما أعاني تقديم العلاج.

الطريقة 2: احضار بيضة (شرط أن تكون وضعت بيوم اثنين أو خميس) ـــ يضع البيضة فوق الرأس ويقرأ بعض الآيات ـــ يطلب مني النفخ في البيضة ـــ ثم يضع البيضة فوق كتفي ويقرأ مرة ثانية ـــ يفقس البيضة في اناء ويريني بقع سوداء ـــ ثم يطلب مني رمي البيضة في مفترق 3 طرق.

الطريقة 3: وضع الورقة فوق إناء ثم يبدأ في القراءة عليها ـــ ثم يضع سكين فوق رأسي ثم يقرأ أيضا بصوت خافت ـــ ثم يحرق الورقة بالنار و يضع الرماد وسط الماء ـــ ثم أمرني أن أصب ذلك الماء أمام البيت.

الطريقة 4: قراءة القرآن بصوت عالٍ جدا ـــ رش المريض بالماء المرقي.

الطرقة 5: احضار خيط الصوف ـــ يضع فيها بعض العقد ـــ يقرأ على الخيط ـــ ثم يأمرك بإدارة الخيط على راسك ويديك ورجليك ـــ يأخذ الخيط ويعاين العقد ـــ ثم يعيد نفس الخطوات حتى تختفي العقد.

الطريقة 6: يحضر إناء فيه ماء و ورقة بيضاء ـــ يغطي الإناء بالورقة ثم يحضر سكين ويضعه فوق منبت الشعر ـــ يبدأ في القراءة ـــ عندما ينتهي من القراءة يحرق الورقة

[1] من تصريحات المبحوثين.

ويضع السكين في الماء ـــ ثم يأمرك بصب الماء أمام المنزل وتحديد في الجدار المقابل لباب المنزل.

الطريقة 7: يضع البيضة فوق الرأس ثم على اليدين والرجلين ـــ ثم يبدأ في القراءة بصوت خافت ـــ وعندما ينتهي يرمي البيضة بعيدا دون أن أراها.

الطريقة 8: أولا يقرأ البسملة ثم لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ـــ ثم قراءة آيات قرآنية ـــ ثم يقدم لي حجابا يوضع تحت فراش النوم ـــ يقدم لي 5 لتر ماء ويطلب مني الاستحمام به.

الطريقة 9: يطلب مني قراءة سورة الفاتحة ـــ يقوم بالمسح على مكان العلة ـــ يكوي المكان إن استدعى الأمر ذلك ـــ يصف الدوام ـــ يقدم بعض النصائح.

الطريقة 10: جلوس المريض منبسط الأرجل ـــ يأخذ الراقي المصحف الشريف ويقوم بتدويره على كل الجسم وقراءة القرآن بصوت مرتفع عند التدوير ـــ ثم يقوم بوزن المصحف على الميزان وأخذ نفس وزن المصحف وزنا من الماء ثم يأمرك بالإستحمام به.

الطريقة 11: يطلب منك احضار بيضة محلية (بيض لبلاد) ـــ يكسر البيضة في اناء نظيف ثم يحضر قلم من قصب ويخلط به تلك البيضة مع قراءة القرآن والأدعية ـــ تظهر فقاعة في البيضة يقوم الراقي يثقبها بالقلم .

الطريقة 12: يحضر الراقي سعفة النخل الأخضر ويقوم بقياس طولها ـــ يأخذ الراقي بالقراءة على الرأس والسعفة مضمومة في يده الأخرى ـــ ثم يعاود الراقي قياس السعفة فيجد أن طولها قد زاد ـــ يقوم الراقي يقطع تلك الزيادة ويأمرني بحرقها.

نلاحظ من هذه الأساليب أن الرقاة في أغلبهم يعملون على تجسيد علة المريض (غير الملموسة) في مادة مرئية ملموسة (البيض، الخيط، السعف..) ثم يظهرون وكأن تغيرا قد طرأ عليها على اعتبار أن ذلك التغير حاصل نتيجة انتقال العلة من المريض الى المادة، ثم بعد ذلك يتم التخلص منها بطريقة لا تكون مؤلوفة (الحرق، الرمي على الجدار، الرمي أمام البيت، الرمي في مفترق الطرق..) ويكون بذلك التخلص من تلك المادة فيه تخلص أيضا من العلة الحقيقة.

نلاحظ من هذا السيناريو في الرقية وكأن المسألة فيها محاولة اعتبار المرض أو أي علة كانت (مشاكل مثلا) وكأنها نداً للراقي والمريض معا وبما أن التخلص منها كان مستعصي بمعنى لم نستطع قهرها في ذاتها نحاول خلق مماثلٍ لها في الواقع، حيث يكون ذلك المماثل أضعف من قدرتنا لنستطيع بسط سيطرتنا عليه فنقهره بالحرق مثلا معتقدين أننا قهرنا المرض ذاته وليس المادة (البيضة،الخيط...) فنحن ليس هدفنا حرق الخيط لذات الخيط بل لأن مرضنا مجسد فيه وبحرقه يكون التخلص منه (المرض) وقد نتحسن فعليا لأنه ببساطة المسألة فيها بعض من التأثير النفسي* حيث يشعر المريض أنه بفعله ذاك قد قهر العلة أو المرض .

ومن خلال الجداول الآتية نحاول عرض بعض المؤشرات التي من شأنها توضيح جوانب أخرى في أسلوب الرقية.

* لم يتم التعمق والاستزادة في الشرح لأنه سيكون فيه خروج الى مجال آخر غير مجالنا "علم النفس".

جدول رقم (16): رفع الراقي لصوته عند الرقية.

رفع الصوت	التكرار	النسبة %
نعم	67	%65.7
لا	35	%43.3
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن أغلب المبحوثين يصرحون بأن الراقي يرفع صوته عند الرقية ونسبتهم 65.7%، تليها نسبة 43.3% التي تمثل المبحوثين الذين صرحوا بأن الراقي لا يرفع صوته عند رقيتهم.

إن مسألة رفع صوت الراقي أو التمتمة بالرقية تعود للراقي ذاته وفي العادة لا يحتج المقبلين عليه في حال لم يرفع صوته عند رقيتهم.

جدول رقم (17): طبيعة الرقية التي يتلوها الراقي.

طبيعة الرقية	التكرار	النسبة %
آيات من القرآن	67	%74.44
أدعية	23	%25.56
المجموع	*90	%100

* تغير في المجموع لسببين :أولا لأن هذا السؤال معني به فقط الذين أجابوا بأن الراقي يتلو رقيته بصوت مرتفع، ثانيا لأن المبحوثين كانوا في بعض الحالات يختارون أكثر من اقتراح.

نلاحظ من النسب في الجدول أن الرقاة في معظمهم يعتمدون في رقيتهم على تلاوة آيات من القرآن الكريم ونسبتهم 74.44%، تليها نسبة 25.56% التي تمثل المبحوثين اللذين صرحوا أن الراقي يعتمد في رقيته على ذكر الأدعية.

حيث نجد أن لكل داء آياته إذ هناك آيات للسحر وللرزق وللزواج وللإنجاب وللأورام ...الخ حيث ما تم ملاحظته أن هذه الآيات يتم اختيارها لورود مسمى المرض الذي يريد المريض العلاج منه فعلى سبيل المثال للعلاج من السحر تتلى الآيات التي جاءت فيها كلمة "سحر" أو "ساحر" أو مرادفا لهما مثل الآيات التالية:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82)﴾[1]

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) ﴾[2]

وهكذا مع آيات الرزق والإنجاب... وغيرها من الطلبات التي تشغل المقبلين على الراقي، كما نجد أن هناك من يضيف بعض الأدعية المأثورة الى جانب الآيات القرآنية.

[1] سورة يونس، الآية 79 ــ 82.

[2] سورة طه، الآية 65 ــ 69.

جدول رقم (18):آليات التأكد من أن الرقية هي رقية شرعية.

آليات التأكد	التكرار	النسبة %
أسال الراقي ان كان قرأ القرآن أم شيء آخر	01	%2.86
أطلب من راقي رفع صوته عند الرقية	01	%2.86
أتأكد من خلال وصفة الدواء أنها إما قرآن أو طب نبوي	16	%45.70
لا أشك في ذلك الراقي لأني أعرفه شخصيا	14	%40
سمعت أنه راقي جيد ذهبت اليه ولم يهمني إن كان يرقي بالقرآن أم بشيء آخر	01	%2.86
أتأكد عندما أشعر بالشفاء	01	%2.86
لا أتأكد	01	%2.86
المجموع	*35	%100

نلاحظ من الجدول أعلاه أن أغلب المبحوثين يعتمدون على مضمون الوصفة التي يقدمها الراقي لتأكد من أن الرقية هي رقية شرعية ونسبتهم 45.70% وبنسبة قريبة من هذه نجد المبحوثين اللذين صرحوا بأنه بالرغم من أن الراقي لا يتلوا رقيته بصوت مرتفع إلا أنهم لا يشكون في ذلك الراقي لأنه تربطهم به معرفة شخصية ونسبتهم 40%، لتأتي باقي آليات التأكد الأخرى تحمل نفس النسبة وهي 2.86% وهي متعلقة بالاقتراحات التالية:

* تغير في المجموع لأن هذا السؤال يجيب عليه فقط الذين قالوا أن الراقي لا يرفع صوته عند رقيتهم.

أطلب من راقي رفع صوته عند الرقية؛ أسال الراقي إن كان قرأ القرآن أم شيء آخر سمعت أنه راقٍ جيد فذهبت اليه و لم يهمني إن كان يرقي بالقرآن أم بشيء آخر؛ لا أتأكد.

إذن يعتمد المبحوثين على عملية تمييز الوصفة المقدمة هل هي من الرقية الشرعية أم لا حيث إن ضمت القرآن المكتوب أو الأعشاب اطمئن بال المريض وإن ضمت ممارسات أخرى كذبح بعض الحيوانات أو الاتيان بها ...وغيرها من الممارسات الأخرى الشبيهة بذلك تكون الوصفة مصدر شك للمريض تحيله إلى أن الرقية غير الرقية الشرعية.

6) الأجر وضوابطه:

جدول رقم (19): تحديد الراقي للأجر المقدم له.

التحديد	التكرار	النسبة %
نعم يحدد	05	%4.9
لا يحدد	87	%85.3
أحيانا يحدد	05	%4.9
لا يأخذ أجرا	05	%4.9
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن جل المبحوثين صرحوا بأن الراقي لا يحدد الأجر الذي يجب أن يُقدم له ونسبتهم 85.3% تليها نسبة 4.9% التي تمثل على حد سواء المبحوثين

اللذين يرون أن الراقي يحدد الأجر الذي يجب على المريض تقديمه له والمبحوثين اللذين يرون أن الراقي أحيانا يحدد أجره وكذا المبحوثين اللذين صرحوا أن الراقي لا يأخذ أجرا.

وبصفة عامة نجد أن أجر العامل في الرقية له من الخصوصية بما كان وذلك لعدة اعتبارات هي:

- إن العمل في الرقية عمل من نوع خاص يرتبط بما هو دنيوي وبما هو ديني والمجتمع يتوقعون ضمن الاطار الديني أن الأجر الأجدر به أن يكون معنويا أو ميتافيزيقا بمعنى الراقي يأخذ "دعوات صالحة" أو يأخذ "حسنات" عند الله في حين يبتعد المخيال الاجتماعي عن منح تقدير مادي لهذا الأخير.

- إن أفراد المجتمع يضعون قاعدة شعبية يتداولونها بعفوية بينهم وهي أن كل راقٍ **يشترط** مبلغ معين للرقية فإن رقيته ليست بنافعة لأنها بحسبهم تجردت من النية الخالصة في مساعدة الآخرين.

- يضع أفراد المجتمع العامل في الطب الشعبي بما فيهم الرقاة مكملا أو بديلا عن المعالج في الأطر الرسمية وذلك لكونهم ينظرون له وفق القيمة الاقتصادية، فالعامل في الرقية مقابله زهيد بالمقارنة مع الطبيب مثلا وإن اشترط الراقي أجراً يساوي أجر الطبيب فسيكون حينها على الأفراد اعادة النظر في مدى أصلحية كليهما هل الراقي أم الطبيب؟ ولن يبقى بالضرورة الاقبال على الرقاة على ما هو عليه لأن من بين أهم العوامل المشجعة على الاقبال هو المقابل الزهيد للرقية أو اللامقابل.

جدول رقم (20): قيمة المبلغ المقدم للراقي.

المبلغ	التكرار	النسبة %
أقل من 100دج	17	%17.53
[100 ــ300دج[	63	%64.95
[300 ــ500دج[	12	%12.37
[500 ــ700دج[	03	%3.09
أكثر من 900 دج	02	%2.06
المجموع	*97	%100

يبين الجدول أن أغلب المبحوثين يترواح المبلغ المادي الذي يقدمونه للراقي ما بين 100 و300دج ونسبتهم 64.95%، تليها نسبة 17.53% التي تمثل المبحوثين اللذين يقدمون للراقي مبلغ أقل من 100 دج، ثم تأتي نسبة 12.37% التي تمثل المبحوثين الذين يقدمون للراقي مبلغ يتراوح ما بين 300 و500 دج، وفي الأخير نجد نسبة 3.09% ونسبة 2.06% التي تمثل على التوالي المبحوثين الذين يقدمون للراقي مبلغ يتراوح ما بين 500 و 700 دج والمبحوثين الذين يقدمون للراقي مبلغ تقدر قيمته بأكثر من 900 دج.

*** تغير في المجموع لكون هناك 05 مفردات صرحوا بأن الراقي لا يأخذ منهم أي مقابل ؛ سيلاحظ في الجدول غياب فئة من 500 ــ 700 دج وذلك لكون تكرارها يساوي 0 وقد تم اعتماد على هذا التصنيف الفئوي تحديدا لعدة اعتبارات هي:**

أولا قد تم الانطلاق من الاستطلاعات الميدانية أين تم ملاحظة أن الأجر في أغلب الأحيان لا يمكن أن يتجاوز 1000دج لذا تم اعتماد 900دج كسقف أعلى (تم اعتماد 900 وليس 1000دج احتراما لطول الفئات التي كانت قبلها) وتحسبا لاحتمال وجود مبحوثين يمكن أن يكونوا قد قدموا أكثر من 900دج تم فتح المجال بعبارة 900دج أو أكثر، كما تم الانطلاق من فئة أقل من 100دج مع تعمد تجزئة الفئات الى 05 تفرعات (ولم نقتصر على فئتين أو ثلاث) لكي نستطيع حصر المبلغ الى أقصى قدر ممكن ولكي نستطيع معرفة الى أي مدى يمكن أن يكون الأجر زهيدا.

فالمقابل المادي للعامل في الرقية هو رمزي يقدم "كهبة"* للراقي أكثر منه تعويضا عن أتعابه فالأجر عند الراقي لا تراعي فيه المجهودات المبذولة من طرفه أو المواد المسخرة للرقية ولا طول زمن الرقية بل الأجر يبقى رهين تقدير الزبون والذي هو في كل الأحوال يبقى رمزيا.

جدول رقم (21): العلاقة بين عمل المبحوثين و قيمة المبلغ المقدم للراقي.

المبلغ / العمل	أقل من 100دج	[100 ــ300دج[	[300 ــ500دج[	[500 ــ700دج[	أكثر من 900 دج	المجموع
يعمل	12 %16.4	48 %65.8	10 %13.7	03 %4.1	/	73 %100
لا يعمل	5 %20.8	15 %62.5	02 %8.3	/	02 %8.3	24 %100
المجموع	17 %17.5	63 %64.9	12 %12.4	03 %3.1	2 %2.1	**97 %100

نلاحظ من خلال الجدول أن المبحوثين الذين يقدمون للراقي مبلغ ما بين [100 ــ300دج[هم بنسبة متقاربة بين اللذين يعملون والذين لا يعملون ونسبتهم على الترتيب 65.8% و 62.5% والمبحوثين اللذين يقدمون للراقي مبلغ أقل من 100 دج هم أيضا بنسب متقاربة بين العاملون وغير العملين ونسبتهما على التوالي 20.8% و 16.4%، أما المبحوثين اللذين يقدمون للراقي مبلغ ما بين [300 ــ500دج[هم في أغلبهم من اللذين يعملون ونسبتهم 13.7%، في حين اللذين لا يعملون كانت نسبتهم 8.3%، والمبحوثين اللذين يقدمون للراقي مبلغ

* وفي أحيان كثيرة عندما يقدم الزبون المبلغ للراقي ينعته بالبركة (هاك شويا بركة) وكأنه تعبير ينم على شيئين هما: أولا "قلته" أي أنه مبلغ زهيد، وثانيا هو اعتراف ضمني بأن الراقي يستحق أكثر من المقدم له أو أنه مهما قدم الفرد من مبلغ لن يستطيع ايفاء الراقي حقه.

** تغير في المجموع لكون هناك 05 مفردات صرحوا بأن الراقي لا يأخذ منهم أي مقابل.

ما بين [500 ــ700دج[هم كلهم من المبحوثين اللذين يعملون ونسبتهم 4.1% وفي الأخير نجد المبحوثين اللذين يقدمون للراقي مبلغ أكثر من 900 دج وهم كلهم من المبحوثين غير العاملين ونسبتهم 2.1%.

نلاحظ من خلال هذه القراءة الاحصائية أنه ليس هناك تأثير لعمل الراقي على ارتفاع المبلغ أو انخفاضه بل كل المبحوثين العاملين وغير العاملين تركزت نسبهم في الفئات الأولى أي أقل من 100دج وفئة [100 ــ 300[دج، إلاّ أنه قد يكون للأجر تأثر بعوامل أخرى نحاول توضيح احداها في الجدول اللاحق.

جدول رقم (22): العلاقة بين تحديد الراقي لأجره والمبلغ المقدم من طرف المبحوثين.

المبلغ / العمل	أقل من 100دج	[100 ــ300دج[	[300 ــ500دج[	[500 ــ700دج[	أكثر من 900 دج	المجموع
نعم	1 %20	1 %20	1 %20	1 %20	1 %20	5 %100
لا	13 %14.9	61 %70.1	10 %11.5	2 %2.3	01 %1.1	87 %100
أحيانا	3 %60	01 %20	01 %20	/	/	05 %100
المجموع	17 %17.5	63 %64.9	12 %12.4	03 %3.1	2 %2.1	*97 %100

نلاحظ من الجدول أن أغلب المبحوثين الذين يقدمون للراقي أجر من [100 الى 300 [دج هم في معظمهم صرحوا أن الراقي لا يحدد الأجر الواجب على الزبون تقديمه له ونسبتهم70.1%، أما المبحوثين الذين يقدمون للراقي مبلغ أقل من 100دج هم في أغلبهم صرحوا أن الراقي أحيانا يحدد المبلغ المقدم له ونسبتهم

* تغير في المجموع لكون هناك 05 مفردات صرحوا بأن الراقي لا يأخذ منهم أي مقابل.

60%، في حين المبحوثين الذين يقدمون للراقي مبلغ ما بين [300 الى 500[دج صرحوا بنسبة واحدة قدرها 20% بين الذين قالوا نعم يحدد الراقي أجره واللذين صرحوا بأنه أحيانا يحدد الراقي أجره، أما الذين يقدمون للراقي أجر يقدر من [500 الى 700[دج فأغلبهم صرحوا أن الراقي يحدد الأجر المقدم له ونسبتهم 20%، وفي الأخير نجد المبحوثين اللذين يقدمون للراقي أجر أكبر من 900 دج وهم في معظمهم أشاروا إلى أن الرقي يحدد الأجر المقدم له ونسبتهم 20%.

فكلما كان الراقي هو من يحدد قيمة الأجر المقدم له نجد أن الأجر يرتفع عن 500دج وعندما يكون الراقي يحدد الأجر المقدم له في بعض الأحيان فقط أو لا يحدده أبدا نجد أن المبلغ لا يفوق 300دج.

وذلك لأن هناك فرق بين تقدير الراقي للأجر الواجب أخذه وتقدير الزبون للأجر الواجب تقديمه، فالأول يسعى إلى تعظيمه والثاني يسعى إلى تقليله، حيث كلما ترك الراقي أمر تحديد أجره للعرف أو للزبون كان أجره زهيدا ورمزيا وعندما يتدخل هو (الراقي) في تحديده يبقى الأجر زهيدا ولكنه يرتفع عما لو كان الزبون هو من قدمه بمحض ارادته (نسبة الارتفاع حسب تصريحات المبحوثين قدرت بـــ 60%)*.

* عندما حدد الراقي الأجر كان فوق 500 وعندما لم يحدده كان أكبره يصل إلى 300دج إذن نسبة الزيادة هي 60%.

جدول رقم (23): امكانية تقديم مؤونة عوض المال كأجر للراقي.

الامكانية	التكرار	النسبة %
نعم يمكن	56	%54.9
لا يمكن	33	%32.4
لا أدري	12	%11.8
الرقية الشرعية لا تتطلب أي تعويض	01	%1
المجموع	102	%100

يبين الجدول أن جل المبحوثين يرون أن بإمكان الأفراد تقديم عوض المال مؤونة ما وكانت نسبتهم 54.9%، تليها نسبة 32.4% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أنه لا يمكن تقديم مؤونة عوض المال للراقي، ثم تأتي نسبة 11.8% التي تمثل المبحوثين الذين لا يدرون إن كان يمكن تقديم مؤونة عوض المال أم لا يمكن ذلك، وفي آخر نسبة نجد المبحوثين اللذين صرحوا بأن الرقية الشرعية لا يجب فيها على المريض تقديم أي تعويض ماليا كان أو مؤونة ونسبتهم 1%.

فمن خلال الزيارات الميدانية كنا نلمح أن هناك من يقدم للراقي بعضا من المواد الغذائية كالسكر أو علب الشاي أو كمية من الكسكس (غير مطهي) أو التمر...وغيرها من المؤن التي كانت في أغلبها تعبر عن نمط غداء أهل المنطقة هذا مع أن هذه الحالات كانت تبدوا قليلة فالأغلب كان يقدم مبلغاً ماليا.

جدول رقم (24): العلاقة بين رد الراقي للأجر وانزعاجه من عدم تقديم أي مقابل له.

رد الأجر / الانزعاج	نعم	لا	أحيانا	المجموع
نعم	/	12 %92.3	01 %7.7	13 %100
لا	5 %8.5	41 %69.5	13 %22	59 %100
أحيانا	/	8 %50	8 %50	16 %100
لا أدري	/	11 %78.6	03 %21.4	14 %100
المجموع	5 %4.9	72 %70.6	25 %24.5	102 %100

يبين الجدول أن المبحوثين الذين يرون أن الراقي لا يقوم برد الأجر المقدم له هم في أغلبهم أشاروا إلى أن الراقي ينزعج عندما لا يقدمون له مقابلا لرقيته ونسبتهم 92.3%، في حين المبحوثين الذين يرون أن الراقي أحيانا يقوم برد المقابل الذي يقدمونه له هم في أغلبهم صرحوا أن الراقي أحيانا ينزعج عندما لا يقدون له مقابلا ونسبتهم 50%، أما الذين يرون أن الراقي يقوم برد المقابل الذي يُقدم لهم في مجملهم يرون أن الراقي لا ينزعج في حال عدم تقديم أي مقابل للراقي ونسبتهم 8.5%.

إن انزعاج الراقي من عدم تقديم الأفراد له أجر الرقية لا يكون إلاّ إذا كان من عادته أن لا يرد المقابل المقدم له، أما الراقي الذي من عادته رد المقابل فلا ينزع مطلقا من الأفراد إن لم يقدموا له مقابلا لقاء رقيته وذلك لأن الراقي في الحالة الأولى كـــأنه

يصرح ضمنيا برغبته في المقابل في حين الحالة الثانية يكون فيها الراقي غير مكترثا بالمقابل لذا هو لا ينزعجوا من الأفراد سواءا قدموا أو لم يقدموا.

في ظل هذه الخصوصية المحاطة بأجر الراقي نجد أن حتى طريقة تقديمة لحقتها نوع من الطقوسية الخاصة وهي محاولة تقديمه بنوع من التستر بوضعه في يد الراقي وكأنك ترغمه على قبوله وكل ذلك يتم بصمت مرفق ببعض الايماءات الوجهية المتبادلة التي توحي في النهاية برضى الطرفين وسنحاول من خلال الجدول التالي التعرف على السبب الذي يجعل طريقة تقديم الأجر تحظى بهذه الممارسة الخاصة.

جدول رقم (25): توزع المبحوثين حسب سبب محاولة التستر في تقديم أجر الراقي.

السبب	التكرار	النسبة %
لقلة المبلغ الذي يدفعه الزبون	09	%8.57
لعدم احراج الراقي عند أخذ المال	09	%48.57
لأن الراقي هو من يشترط ذلك	51	%08.57
لإجبار الراقي على عدم رد المال	29	%27.62
لأن الراقي لا يحدد مبلغا بعينه تقدمه له	01	%0.95
لكي لا أظهر للآخرين كم حجم المبلغ الذي قدمته	01	%0.95
عُرف	03	%2.86
لا أدري	02	%1.91
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أعلاه أن جل المبحوثين يرون أن سبب تقديم الأجر للراقي بطريقة مستترة هو عدم احراج الراقي ونسبتهم 48.57%، تليها نسبة 27.62% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن السبب هو اجبار الراقي على عدم رد المال، و تأتي باقي الأسباب الأخرى بنسب متقاربة حيث نسبة 8.57% تمثل على حد سواء المبحوثين يرون أن السبب هو قلة المبلغ الذي يدفعه الزبون، و من يرون أن الراقي هو من يشترط ذلك، ثم نجد نسبة 2.86% التي تمثل الذين يرون أن السبب يكمن في أنه عرف دأب الناس عليه، وبعدها نسبة 1.91% الممثلة للذين صرحوا بأنهم لا يدرون

ما السبب في ذلك، وفي الأخير نجد نسبة 0.95% التي تمثل على حد السواء المبحوثين اللذين رأوا أن السبب يكمن في كون الراقي لا يحدد للزبون مبلغا بعينه والسبب الآخر هو لعدم رغبة المبحوثين في أن يعرف الآخرون المبلغ الذي يقدمونه.

إن أهم سببين يدفع الأفراد إلى تقديم الأجر للراقي بطريقة مستترة هما:

- لعدم احراج الراقي عند أخذ المال.
- ولإجبار الراقي على عدم رد المال.

بالرغم من أن المبحوثين قدموا تعليلا لهذه الممارسة بالسببين الآنفين الذكر إلا أن في الواقع الفعلي لا تناقش هذه المسألة بتاتا على مستوى الزبائن، فهم لا يفكرون في أسلوب تقديم الأجر عند ذهابهم عند الراقي، بل بطريقة عفوية الكل يقوم بتلك الممارسة عند التقديم حتى بدت وكأنها عرف متفق عليه بينهم، بل وحتى عندما تُحاول تقديم الأجر بطريقة عادية* ستجد نفسك وكأنك تحاول الاذلال بالراقي (كأنك تقول له ضمنيا قدمت لي خدمة وقدمت لك مقابلها) كما أنك تضع الراقي في موقف لا يمكن إلا أن يرد المال المقدم له وهذا لكي يبقى في مستوى الصورة التي يشكلها له المخيال الاجتماعي (الرجل التقي الزاهد).

في حين عندما يقدم المال للراقي بطريقة مستترة يظهر وكأن الراقي أُجبر على عدم رده فيظهر وكأن أخذه للمال كان احتراما لإلحاح الزبون وليس لأنه يريده، بذلك

*** لقد تم في أحد المرات محاولة تقديم المال للراقي بطريقة عادية "غير مستترة" وعند انتهاء الراقي من رقيته وعزمنا على تقديم المبلغ المالي للراقي لم نستطع الخروج مطلقا عن ذلك العرف لأن عند عملية التجسيد الفعلية للفكرة جعلتنا في موقف آخر حيث شعرنا وكأن المسألة فيها قلة الأدب أو اللاحترام (هذا هو الشعور الفعلي الذي انتابنا ساعتها) فلم يكن إلا وأن سرنا مع العرف؛ وهي محاولة كنا نقصد منها أن نضع أنفسنا في نفس موقف الزبون فوجدنا أن المسألة ترتبط بشقين هما :الشق النفسي وهو الشعور الذي أحسسنا به عندما قررنا عدم الالتزام بذلك العرف وشق اجتماعي فحواه أن المجتمع أصّل هذه الممارسة إلى درجة أن أصبحت عفوية وهي لا تشد استغراب أي أحد منهم إلا إن كان جديدا في تردده على الرقاة.**

يكون الراقي قد أخذ الأجر دون أن يخل بشروط الشخصية النمطية لشخص الراقي في المخيال الاجتماعي (التقي الزاهد كما سبق لنا الذكر).

ثالثا: نماذج من الرقاة الأكثر شعبية بولاية أدرار:

يوجد بولاية أدرار العديد من الرقاة حيث يكاد كل **"طَالَبْ"*** (بلغة سكان المنطقة) من شأنه أن يرقي حيث يلجأ الجيران في حال مرض ما الى "طالب" الناحية للرقية، كما أن هناك من يفتح بيته للرقية عن قصد بمواعيد عمل محددة.

وإذا ما سألت عن الرقاة في ولاية أدرار فإن الجميع يكاد يشترك في الأسماء التالية: **(الطالب جلول، لالة الزهرة، راقي تسفاوت، الطالب بكراوي)****.

وقد تم الاعتماد في هاته الدراسة على نموذجين هما **"الحاج جلول"** ، و**"لالة الزهرة"** وقد تم اختيارهما تحديدا لأنه تم ملاحظة أنهما الأكثر شعبية في المجتمع الأدراري، كما تم ملاحظة مدى الاقبال الكثيف جدا عليهما حيث يبدأ التوافد عليهما من ساعات الصباح الباكر لحجز فرصة للرقية عندهم[1].

1) الراقي "الحاج جلول" :

❖ **المسمى**: يعرف هذا الراقي باسم الراقي جلول أو الطالب جلول أو الحاج جلول أو أبّا جلول فكلها مسميات ينعتها بها الأفراد عند الحديث عنه***.

---

* يطلق مسمى "الطَالَبْ" في المجتمع الأدراري على كل مدرس للقرآن في كتّاب ما.

** هذه الأسماء تم ذكرها كما ينعتها المجتمع الأدراري وكما هو متعارف عليها في وسطهم.

[1] قد تم جمع المعلومات من هاذين الراقيين باعتماد الملاحظة بالمشاركة كأداة منهجية معتمدة في هاته الدراسة.

*** الاسم الحقيقي له هو "رحماني جلول" وتم الحصول على اسمه من أحد معارف الراقي.

❖ **سميولوجية الراقي**: الراقي رجل متوسط القامة، أسمر البشرة، متوسط البنية يرتدي في كل مرة عباءة وعمّة عريضة نوعا ما، يمتاز تعامله باللباقة، ويبدوا عليه الاحترام في كلامه وحركاته كما يبدوا أنه شخصية تمتاز بالصبر والمقدرة على المحاورة كما أنه يمتاز بالبساطة والتواضع.

❖ **مكان العمل**: يعمل الراقي جلول في مكان سكنه الكائن بالحي الغربي وقد كان سابقا يمارس عمله في مكان آخر واقع بحي 104 بمدينة أدرار، وكان ذلك المكان عبارة عن ثلاث غرف احداها للنساء والثانية للرجال والغرفة الثالثة يقوم فيها بالرقية للمريض كما يضم المكان باحة متوسطة، وقد كان تأثيث المكان بسيطا جدا هو عبارة عن بعض الحصير و الأفرشة البالية الى حد ما.

أما الآن فهو يرقي بمسكنه ويخصص أيضا غرفة للنساء وأخرى للرجال والثالثة للرقية.

أما عن غرفة رقيته فهي تحوي على مكان للجلوس وطاولة عليها أوراق بيضاء وقلم الدواة (القلم المعتمد في كتابة اللوح في الكتاتيب) و تحتوي الغرفة أيضا مجموعة من قارورات الماء المعدني لغرض رقيتها.

❖ **مواعيد العمل**: ينظم الراقي مواعيد عمله بـــإعلان يضعه على مدخل مسكنه (الذي هو مكان الرقية أيضا) بحيث يكون العمل كل أيام الأسبوع عدا الجمعة من 8 الى 12:00 وهو عمل مستمر دون انقطاع بمعنى لا يعمل بدوامين صباحي ومسائي، هذا مع العلم أنّ هذا التوقيت يتعدّل صيفا أين يبدأ عمله من 7:00 صباحا لطبيعة مناخ المنطقة الذي يمتاز بشدة الحرارة صيفا.

وكما سبق لنا الذكر نجد أن كل هذه المعلومات مصاغة في اعلان مكتوب على باب المدخل حيث يضم محتوى الإعلان وقت العمل وهاتف الراقي (**أنظر الصورة رقم 05**).

صورة رقم (05): مواعيد عمل الراقي جلول.

المصدر:تصوير فتوغرافي للباحث.

❖ **طريقة العمل**: يجتمع المقبلين على الراقي في مكان الانتظار الى أن يحين دور كل واحد منهم، بحيث لا يوجد شخص يقوم بمهمة تنظيم الدخول عند الراقي، بل كل من يصل يكون عليه أن يحصي عدد الأفراد اللذين أتى بعدهم وبذلك يتحدد دوره رمزيا.

وعند الدخول إلى غرفة الرقية* يكون على الفرد الجلوس في المكان المخصص للرقية في حين يجلس الراقي أمامك ويضع يده على قمة رأسك(الناصية)** ثم يبدأ بقراءة القرآن والدعاء بصوت عال يكاد يسمع من مدخل المسكن.

وبعد القراءة يقول لك هل تشعر بشيء ما؟ وعليك أن تجيب، ثم يخبرك بدائك وعلاجه كما أنه يقوم بإعطاء بعض النصائح للوقاية من الشرور والأمراض كبعض الأدعية مثلا وضرورة التحصن بالقرآن ...وغيرها.

*** إن هذا الراقي لا يقبل دخول النساء فرادى بل على المرأة إما أن تدخل بصحبة أحد محارمها أو بصحبة إمرأة أخرى، أما الرجال فلا بأس بدخولهم فرادى.**

**** بحيث هذا الراقي لا يقوم بملامسة الناصية مباشرة بالنسبة للنساء بل يقوم بجدب رداء المرأة قليلا "الخمار" ويقوم بوضع يده فوق الرداء.**

❖ **وصفة العلاج**: إنّ الراقي "جلول" يمزج بين العلاج بالقرآن والأدعية وكذا العلاج بالأعشاب وفي أحيان كثيرة كان يقدم على غرار الأعشاب بعض السوائل والزيوت كالخل وزيت الزيتون.

كما أنه قد يعطي بعض الأوراق الصغيرة الحجم المكتوب عليها بمحلول أصفر* ويأمرك إما بمسحها بماء وشربه، أو بمسحها بماء والاستحمام به وأحيانا قد يأمر برش أماكن من البيت به (أنظر الصورة 06).

الصورة رقم (06) :**ورقة علاج بمحلول الزعفران.**

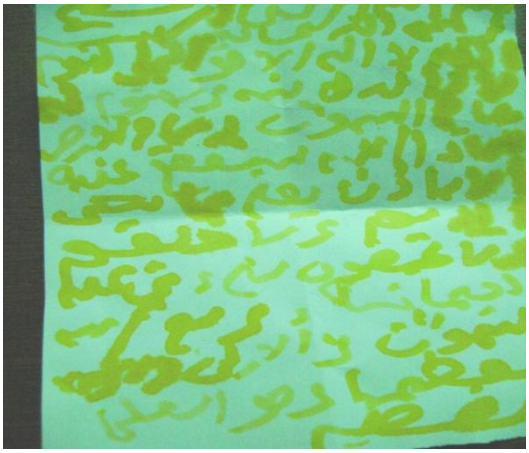

المصدر: **أحد زبونات الراقي جلول** ** .

❖ **الأجـــر**: لا يحدد الراقي قيمة المقابل المادي لرقيته، مع العلم أن ما تم ملاحظته هو أنّ هناك من يقدم له مقابلا ماليا وهناك من يقدم له مقابلا عينيا (سكر، عجائن...)، في حين هذا الراقي لا يحرص على أخذ المقابل المادي للرقية، بل بمجرد الانتهاء من رقيتك يقوم مباشرة للإسراع بإدخال المريض التالي وكأنه لا ينتظر منك شيء، ولكن إذا ما قدّم له مقابل ما فإنه لا يرده بل يقبله بصمت دون مناقشة حوله.

---

* مكونات هذا المحلول هو ماء + زعفران أما مقدار الزعفران فهو تابع لحجم الماء المراد استعماله، ويكون اضافة الزعفران إلى أن يتلون الماء بالأصفر الفاتح وهناك من يشير أن الزعفران المعتمد هو ما يسمى بالزعفران الحر وهو يباع عند العطارين.

** الصورة عبارة عن تصوير فتوغرافي قامت به الباحث لورقة الزبونة المقدمة لها من الرّاقي.

❖ **خصائص المقبلين عليه:** يمتاز المقبلين على الراقي بالتنوع فهم من النساء والرجال مع العلم أن وجود النساء أكبر بكثير من الرجال، وهم من الشباب والكهول والشيوخ وكذا الأطفال، كما يلاحظ أن فئة التوارق تتواجد بعدد معتبر لأنه في الأساس يعد الحي الغربي جهة معروف بكثرة الطوارق فيها.

أما عن مشاكلهم فهي متنوعة في محتواها ولكن أهمها تلك المرتبطة بالعين، والزواج والامتحانات المدرسية وللتحصين.

2) الراقية "لالة الزهـــرة":

❖ **المسمى:** تعرف هذه الراقية باسم شريفة زهرة(نسبة للأصل الشريف)، أو لالة زهرة* مع أن هذا الاسم الأخير يعد الأكثر شعبية في المجتمع الأدراري.

❖ **سميولوجية الراقية:** الراقية تمتاز بكونها بيضاء البشرة، طويلة القامة و بدينة البنية، كما أنها ترتدي حجابا**،أما عن شخصيتها فهي تمتاز بالمقدرة على المحاورة وطول البال، «وتعد هذه الراقية المشرفة على مدرسة عائشة أم المؤمنين القرآنية بأولاد ابراهيم بأدرار»[1].

فهي المـــدرِسة للقرآن في تلك المدرسة، وكذا تقدم حديثا للنسوة كل أربعاء وغيرها من الأعمال المتعلقة بجانب التعليم الديني "كالمساعدة على التجويد، كتابة لوح كبيرات السن..وغيرها.

---

* مع العلم أن اسمها الحقيقي هو مسلم الزهرة ،وقد تم الحصول على هذه المعلومة من المعتمدية التابعة لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار التي تم زيارتها يوم 2012/11/18 على الساعة 11:00 .

** عباءة منزلية طويلة الكمين وخمار يغطي كل شعرها.

[1] المعتمدية التابعة لمديرية الشؤون الدينية لولاية أدرار، مرجع سبق ذكره.

❖ **مكان العمل**: تعمل الراقية في المدرسة القرآنية بحيث تلك المدرسَة هي عبارة عن بيت كبير يضم قاعات كبيرة مفروشة على شكل قاعات الاستقبال (salon)، حيث تلك القاعات كل واحدة منها مخصصة لشيء ما (تحفيظ القرآن، الرقية، القاء دروس الوعظ...).

فإذن مكان الرقية هو أحد تلك القاعات الكبيرة المفروشة بنوع من الزرابي الكبيرة ومحفوفة بأفرشة اسفنجية ووسائد.

في أحد أركان هذه القاعة تجلس الراقية مع مساعدتها وأمامهم طاولة كبيرة بها مجموعة من الأوراق البيضاء ومحلول الزعفران وكتب ذكر ومصحف.

أما باقي القاعة (غير ذلك الركن) فيعد مكانا للانتظار، مع العلم أن زوارها يحضون بكرم الضيافة فيعد لهم المأكل عند الغداء ناهيك عن وجبة الضحى وذلك لأنه وكما سبق لنا الذكر أنها تعمل بمدرسة قرآنية تعد بمثابة الزاوية في أولاد ابراهيم «وهي عبارة عن وقف»[1].

❖ **مواعيد العمل**:تعمل الراقية يوميا وهي لا تحدد مواعيد عملها بشكل صارم ومضبوط بل يأتي المقبلين عليها في أي وقت شاءوا ا وإن كانت الراقية غير جاهزة للرقية بعد بسبب انشغالها بشيء آخر يكون عليهم الانتظار إلى أن تفرغ وتأتي إليهم.

❖ **طريقة العمل**: تقوم مساعدة الراقية عند دخول أي أحد من الأفراد بالتوجه اليه وفي يدها قصاصة ورق مكتوب عليها مجموعة من المعلومات التي تطلبها الراقية (الاسم، اسم الأم، الموضوع) حيث على الفرد أن يكتب اسمه واسم والدته والموضوع الذي جاء من أجله للرقية.

[1] معتمدية ولاية أدرار ،مرجع سبق ذكره.

وعندما يحين دورك تقوم الراقية بقراءة القرآن بصوت عال وبعض الأدعية ولكنها عند قراءة رقيتها لا تنقطع للرقية فقط بل تكون مشغولة بأشياء أخرى غيرها كأن تكون ترقي لك وتكتب دواءا لشخص آخر، أو تكتب لوح امرأة ما...وغيرها كما أنه من حين لآخر تدخل أحد مساعداتها لتسلم عليها* وهكذا الى أن تنتهي قراءة رقيتها ثم تقدم للمريض الماء المرقي لشربه.

❖ **وصفة العلاج**: وصفة الراقية مزيج من الأعشاب أو المشروبات أو القرآن المكتوب بمحلول الزعفران وهي تستعين بمجموعة من الكتب تضعها أمامها.

❖ **صفات المقبلين عليها**:

للراقية اقبال كبير من ولاية أدرار ومن خارجها وهي تعالج النسوة أو الأطفال وأحيانا هناك من النسوة من تشرح للراقية مرض زوجها وهي تصف له علاجا معينا يلتزم به.

وموضوعات المقبلين عليها هي كما اعتدنا الاشارة اليه (الزواج، التحصن من العين المرض العضوي...).

❖ **الأجر**: تحرص الراقية على أخذ المقابل الذي يقدمه لها الأفراد، وهي لا تأمرك بتقديمه ولكن طريقة أخذه من يدك التي تمتاز بالشراهة وكأنها تحاول الاسراع بالإمساك به تشعرك وكأنها حريصة عليه وعلى العموم لا تحدد الراقية قيمة المقابل المادي بل أي مبلغ تجود به يدك من شأنه أن يكون أجرا لها.

* حيث تكون تحية الراقية بتقبيل يدها وهذا ما كان يقوم به كل من يدخل من مساعداتها.

خلاصة الفصل:

يمتاز المبحوثين قيد الدراسة بجملة من الخصائص حاولنا من خلال هذا الفصل التركيز على ستة منها (الجنس، السن، الحالة العائلية، المستوى التعليمي،مكان الاقامة، العمل) حيث تم محاولة معرفة توزع المبحوثين انطلاقا من المتغيرات الآنفة الذكر.

حيث تميز المبحوثين أنهم في أغلبهم من جنس الإناث، كما أنهم في معظمهم ينتسبون إلى المرحلة الشبابية [20 ــ 40 [سنة ناهيك على أنهم في أغلبهم ذوي مستوى تعليمي جامعي ويسكنون في معظمهم بيئة ريفية (القصور) وهم في معظمهم أيضا غير عاملين.

أما فيما يخص الوصف السوسيوتنظيمي لعمل الرقاة في ولاية أدرار فقد تم ذلك انطلاقا من عدة متغيرات تنظيمية (مصادر التعرف على الراقي، أسباب اللجوء للراقي، مواعيد العمل، أليات العمل، أسلوب العمل، الأجر وضوابطه) حيث تم في كل مرة تقديم الطرح السوسيواحصائي الذي يعبر عن تصريحات المبحوثين حول تلك المتغيرات المعتمدة.

حيث تم الوصول الى أنّ أغلب وسيلة تُمكن المبحوثين من التعرف على الراقي هي "الأقارب" هذا مع أن هذه الوسيلة تختلف باختلاف مكان الإقامة (ريف/حضر) أما فيما يخص أهم الأسباب التي تستدعي من المبحوثين الذهاب عند الراقي هي "الأمراض الجسدية"، في حين أهم سبب يستدعي المبحوثين لأخذ أبنائهم للرقية هو الرغبة في تحصينهم من "العين".

كما قد صرح معظم المبحوثين أن للرقاة مواعيد عمل (بالأيام والساعات)، أما آليات العمل فقد تنوعت بين الأعشاب والزيوت، البيض ..وغيرها إلا أن أهم

وسيلة يستخدمها الرقاة هي "الماء"؛ كما قد أشار المبحوثون أن جل الرقاة يرفعون أصواتهم عند الرقية وفي حال عدم رفع الراقي لصوته يعتمد المبحوثين على مضمون الوصفة كآلية لتأكد من أن الرقية هي "رقية شرعية"، وفيما يخص الأجر نجد أنه تطغى عليه صفة "الهبة" أكثر منه مقابل لأتعاب الراقي ويمتاز بأنه مبلغ زهيد لا يتجاوز في الغالب 300دج مع أن هذا المبلغ قابل للارتفاع بنسبة 60% تقريبا إذا ما تدخل الراقي في تحديده.

وعلى العموم لكل راق طريقته في العمل ورؤيته للرقية الأمر الذي تجسد في النموذجين المعتمدين في هذا الفصل "الحاج جلول" و"لالة الزهرة".

الفصل السابع

عمل الرقاة في منطقة أدرار في ظل الخصوصية السوسيوقيمية لعينة الدراسة

(مناقشة فرضيات الدراسة)

تمهـــيد

تعد الاسقاطات الميدانية مرحلة مفصلية في الدراسات السوسيولوجية لأنه على اثرها يكون على الباحث وضع فرضيات الدراسة على محك الواقع، وذلك ليس لغرض تأكيدها فحسب بل وفتح المجال لإمكانية تفنيذها أو تعديلها بما يتلائم وخصوصية ميدان الدراسة.

وهذا ما سنحاول القيام به من خلال هذا الفصل وذلك بمناقشة مؤشرات فرضيات الدراسة في توجهها الاحصائي العام لنصل بعد ذلك إلى صياغة استنتاجات سوسيولوجية من شأنها الاجابة على تساؤلات الدراسة ومن ثمة اعطاء تفسير لإشكالية البحث.

أولا: التفسير القيمي للمشاكل الاجتماعية* و عمل الرقاة في منطقة أدرار:

(الفرضية الأولى)

من خلال الفرضية الأولى المعتمدة في الدراسة التي كان مفادها ما يلي:

تعد القيم الميتافيزيقية والقيم الدينية أهم القيم المجتمعية المدعمة للوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار

إذ تم في هذه الفرضية اقتراح امكانية وجود علاقة بين القيم (الدينية/ الميتافيزيقية) و عمل الرقاة، و كان منطق الافتراض منطلق من فكرة أن الأفراد لا يلجأون إلى الرقاة إلا إذا كانوا يقدمون تفسير قيميا**ميتافيزيقيا أودينيا (**القيم الميتافيزيقية /القيم الدينية**) للمشاكل الاجتماعية والأمراض التي يترددون من أجلها على الراقي، الأمر الذي من شأنه أن يعطي نوعا من الاستمرارية لوجود عمل الرقاة، في حين لو قدم الأفراد لهذه المشاكل تفسيرا قيميا ذي صبغة أخرى علميا مثلا تكون وجهتهم الى مصدر آخر لعلاجها غير الراقي (هذا على الأقل بحسب ما تم اقتراحه كافتراض).

---

* لقد تم انتقاء المشاكل التي تعد أساسا سببا في توجه الأفراد للرقاة حيث تم التعرف على هذه المشاكل انطلاقا من الاستطلاعات الميدانية ليتم اعتماد في النهاية ما يلي: الأمراض، العنوسة، المشاكل الزوجية، البطالة، المشاكل التنشيئية.

** وذلك لأن البحث ذي توجه ثقافوبي، وهذه النظرية ترجع أي ممارسة يقوم بها الأفراد إلى عناصر الثقافة ومنها القيم، ونحن نريد ارجاع سبب الظاهرة الى المعطي القيمي (قيم دينية/قيم ميتافيزيقية).

الشكل رقم (06):العلاقة بين التفسير القيمي للمشاكل والأمراض وعمل الرقاة.

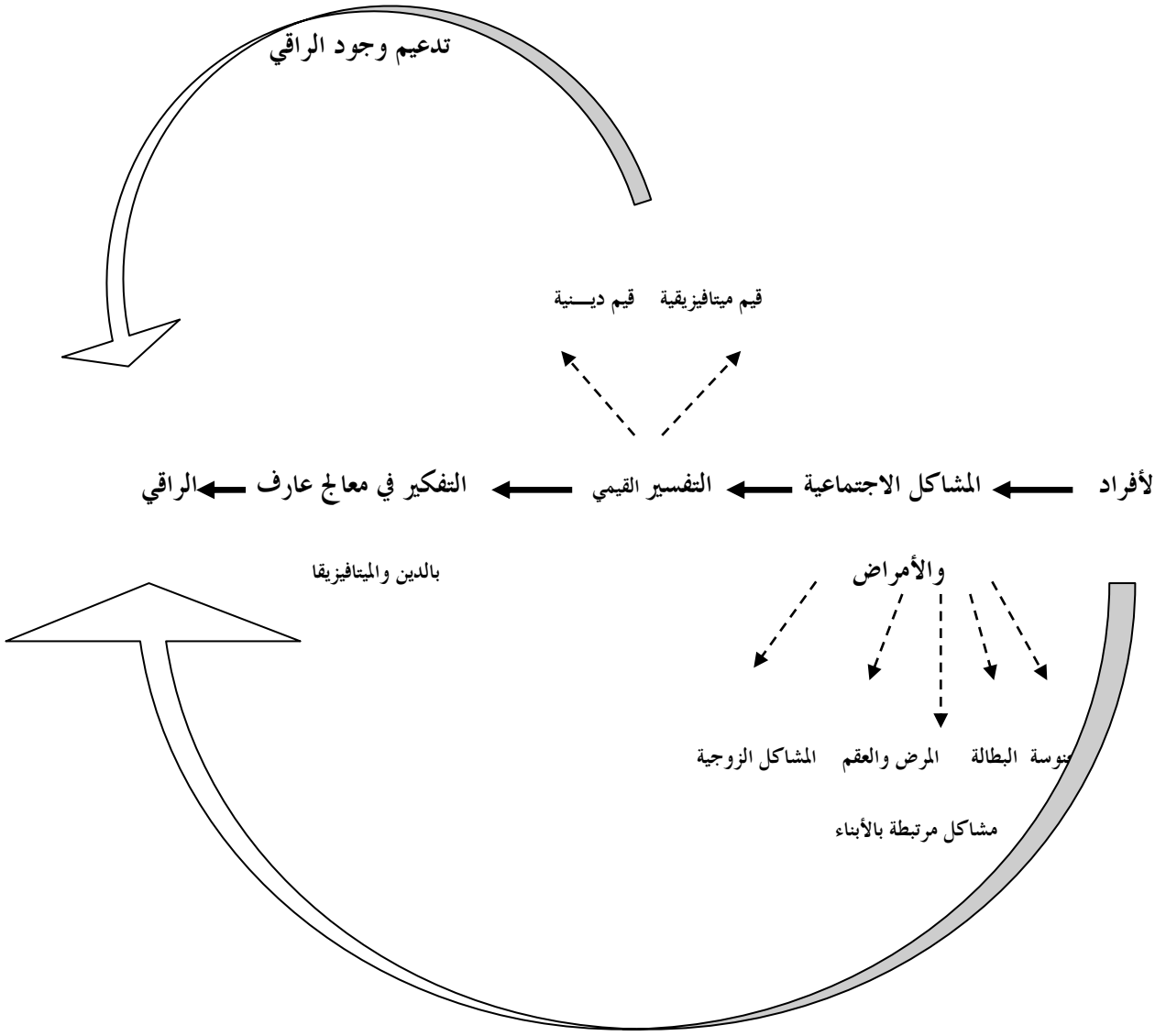

المصدر:اعداد الباحث.

1) النظرة السوسيوقيمية للأمرض:

جدول رقم (26) أسباب الإصابة بالأمراض حسب الأولوية*

الأسباب	التكرار	النسبة %
سلوكاتنا الخاطئة	09	%8.8
لكثرة سيئاتنا مع الله	07	%6.9
لابتعادنا عن القرآن	22	%21.6
هي قدر من الله	57	%55.9
لكثرة الملوثات والكمياويات	6	%5.9
مشاكل الحياة	01	%1
المجموع	102	%100

نلاحظ من خلال الجدول أن جل المبحوثين يرون أن سبب الأمراض التي نصاب بها هو قدر الله ونسبتهم 55.9%، تليها نسبة المبحوثين اللذين يُرجعون سبب الأمراض إلى ابتعادنا عن القرآن ونسبتهم 21.6%، ثم تأتي باقي الأسباب بنسب متقاربة وهي على الترتيب سلوكاتنا الخاطئة 8.8%، لكثرة سيئاتنا 6.9% لكثرة الملوثات والكمياويات 5.9% المشاكل الحياتية 1%.

* لقد كان هذا السؤال يحاول معرفة السبب الذي يعطى له المبحوثين الأولوية ضمن الأسباب المقترحة، وعلى هذا الأساس طُلب من المبحوثين ترتيب الاقتراحات المقدمة في الجدول أعلاه، وفي عملية التفريغ الآلي (spss) تم ادخال الترتيب الأول فقط (أي أن الذي يهمنا هو السبب الذي يعطيه المبحوثين الرقم 01 "الأول"فقط)؛ وهذه الملاحظة تنطبق على كل جداول الفرضية الأولى وذلك لأنه كان غرضنا أن نضع المبحوثين أمام مشكلة ما "بطالة ، عنوسة ، مرض..." ونطلب منهم ترتيب مجموعة من الاقتراحات التي تعد أسباب لتلك المشكلة مع العلم أن تلك الاقتراحات هي مؤشرات لأحد القيم "الاقتصادية ، الاجتماعية، الدينية، الميتافيزيقية..." لنرى طبيعة السبب الذي يعليه المبحوثين هل هو من القيم الميتافيزيقية والدينية "كما افترضنا" أم لا.

نستشف من ذلك أن المبحوثين يعلون من القيمة الدينية الميتافيزيقية في تفسير مسببات المرض، "فالقدر" حسبهم هو الذي من شأنه اصابتهم أو عدم اصابتهم بالمرض.

وبغض النظر عن فحوى المعاني الموضحة لدلالات القدر التي قد تختلف من مجال علمي إلى آخر، و التي قد لا يكترث لها أفراد المجتمع خاصة العاميون منهم وذوي الثقافة المتواضعة لأن الوظيفة الاجتماعية له أهم عندهم من ادراك معانيها الحقة.

وذلك لاعتبار أن "قدر الله" اصطلاح يجسد الفاعلون من ورائه وضعيات اجتماعية خاصة فهو اصطلاح يواسون به أنفسهم نتيجة ضجرهم من متاعب الحياة اليومية لأي سبب كان حتى و إن كان أنين المرض.

و بمرادفات مختلفة (المكتوب، معطى الله...) يحاولون التعبير عنه و اللإشارة إليه محاولين القاء كل مشكلة عجزوا عن تفسيرها الى ارادة غيبية ليس باستطاعتهم ادراكها ولا المقدرة على تغييرها، بل الأمر الواجب فعله هو التسليم بها وفقط، لأن أي نقاش فيها سيؤشر إلى حالة استهجان اجتماعي مفاذه أن المناقش متمرد على المسلمات الدينية.

كما أن هذا التعليل الذي يبدوا بسيطا (القدر) قد يكون من شأنه خلق تأثير بالغ في الكيان الاجتماعي، اذا من شأنه المساهمة في تقديم استتباب هادئ للكثير من الأوضاع الاجتماعية، و كذا من شأنه جعل الأفراد يكنون عن المعارضة والتذمر والضجر* وذلك دائما من منطلق الايمان به (القدر) الذي يدفعهم اليه تمثل النزعة الدينية لديهم.

---

* يعتبر "القدر" الوتر الذي لعبت عليه فرنسا بهدف اخضاع أفراد المجتمع الجزائري بمساعدة الزوايا العميلة التي كانت تسوق لفكرة أن فرنسا قدر الجزائريين أنظر ص 95 من هذا البحث.

جدول رقم (27) علاقة ترتيب أسباب الاصابة بالأمراض بالمستوى التعليمي.

الأسباب / المستوى التعليمي	سلوكاتنا الخاطئة	سيئاتنا مع الله	ابتعادنا عن القرآن	قدر من الله	لكثرة الملوثات والكمياويات	المشاكل الحياتية	المجموع
أمي	2 %40	/	/	1 %20	2 %40	/	5 %100
يقرأ ويكتب	/	/	1 %14.3	5 %71.4	1 %14.3	/	7 %100
ابتدائي	/	/	/	4 %80	/	1 %20	5 %100
متوسط	/	1 %25	1 %25	2 %50	/	/	4 %100
ثانوي	2 %8	2 %8	6 %24	14 %56	1 %4	/	25 %100
جامعي	5 %8.9	4 %7.1	14 %25	31 %55.4	2 %3.6	/	56 %100
المجموع	9 %8.8	7 %6.9	22 %21.6	57 %55.9	6 %5.9	1 %1	102 %100

يبين الجدول أن معظم المبحوثين الذين يُرجعون سبب أمراضنا إلى قدر الله هم في أغلبهم ذوي مستوى تعليمي ابتدائي ونسبتهم 80%، في حين المبحوثين الذين يرجعون السبب الى ابتعادنا عن القرآن هم بنسب متقاربة بين ذوي المستوى التعليمي المتوسط 25% والجامعي 25% وكذا الثانوي 24%، أما المبحوثين الذين أرجعوا ذلك لسبب سلوكاتنا الخاطئة فهم في مجملهم من المبحوثين ذوي مستوى تعليمي أمي ونسبتهم 40%،ومن كان السبب حسبهم هو سيئاتنا مع الله فهم في أغلبهم من ذوي مستوى تعليمي متوسط ونسبتهم 25% أما المبحوثين

الذين كان السبب عندهم هو لكثرة الملوثات والكمياويات فقد كانوا في أغلبهم أميين ونسبتهم 40%، وفي الأخير نجد المبحوثين الذين أرجعوا السبب في الأمراض هي المشاكل الحياتية هم في أغلبهم من ذوي مستوى تعليمي يقرأ ويكتب ونسبتهم 20%.

من خلال هذه القراءة الاحصائية يمكن أن نستشف أنه كلما كان السبب دينيا (سيئاتنا/ الابتعاد عن القرآن) كان لدى المبحوثين الذين هم بمستوى تعليمي متوسط أو أكثر.

في حين عندما كان السبب علميا (سلوكات/ ملوثات) مال اليه المبحوثين ذوي مستوى تعليمي أمي هذا مع أنه قد تركزت اجابات المبحوثين من مختلف المستويات التعليمية على سبب " القدر".

بذلك لا يعني بالضرورة المستوى التعليمي العالي أنه أميل الى اختيار المؤشرات العلمية والعكس بالعكس، بل قد اعتمد المبحوثين في صياغة اجاباتهم على تجربتهم الحياتية والشخصية أكثر من المعطي التعليمي و الثقافي.

2) الترتيب السوسيوقيمي للمسببات مشكلة العنوسة:

جدول رقم (28) أسباب العنوسة حسب الأولوية.

الأسباب	التكرار	النسبة %
طول مدة التعليم	20	%19.6
الإصابة بالعين الشريرة	12	%11.8
الممارسات السحرية	7	%6.9
التلبس الجني*	3	%2.9
غلاء المهور	28	%27.5
البطالة	26	%25.5
سوء سمعة العائلة	01	%1
عدم خروج بعض البنات من البيت	01	%1
المكتوب**	04	%3.9
المجموع	102	%100

يبرز من الجدول أن أغلب المبحوثين يرون أن سبب العنوسة هو غلاء المهور والبطالة ونسبتهما على الترتيب 27.5% و25.5%، تليها نسبة 19.6% التي

* يشير اليه البعض بمصطلح آخر وهو المس الجني .

** وهي عبارة أضافها المبحوثين للاقتراحات المقدمة لهم، للاشارة الى الارادة الإلاهية وكلمة ــ المكتوب ــ كلمة شائعة في القاموس اللغوي للمجتمع الجزائري فهم يعللون بها كل ما يصيبهم من فرح أو قرح وهم يريدون أن يعبر بها على أن الأمر خارج عن ارادتهم وإنما هي ارادة الله.

تمثل نسبة المبحوثين الذين يرجعون سبب العنوسة الى طول مدة التعليم، في حين اللذين يرون أن السبب هو الإصابة بالعين الشريرة كانت نسبتهم 11.8%، ثم تأتي الأسباب الأخرى بنسب متقاربة وهي على الترتيب الممارسات السحرية 6.9%، المكتوب 3.9% ،التلبس الجني 2.9%،سوء سمعة العائلة 1%، عدم خروج بعض البنات 1%.

فالمبحوثين بذلك يعلون القيمة الاقتصادية في النظر لموضوع الزواج إذ يرون أن أهم سببين يكرسان العنوسة هما غلاء المهر وعدم ايجاب مناصب عمل .

وللإشارة فإن العنوسة في المجتمع الجزائري تعد من بين الظواهر التي تفرض نفسها بإلحاح في ظل تغير المتطلبات الحياتية وفي ظل وجود بعض البدائل الأخرى التي من شأنها تأجيل التفكير في الزواج إلى أجل لاحق، إلا أننا نحاول في كل مرة اقتراح ذات السبب لهاته المشكلة وهو المهر.

حيث غلاء المهور هو السبب الكلاسيكي الذي اعتاد الأفراد تبرير تأخر زواجهم به في حين الآن أصبحنا نرى العنوسة حتى لدى من تتوفر لديهم الامكانيات المادية للزواج وذلك لأن الوضع الراهن بات فيه اصطلاح "الانفتاح" يبلغ ذروته في كل المجالات و على اثر ذلك تكرس ظهور معايير زواجية معقدة تحاول الميل الى المثاليات على قدر المستطاع، و لم يعد الزواج تلك العملية البسيطة الناتجة عن تفاهم عائلتين ووجود الود بينهما ليقترن ابنهم ببنتهم وفي حفل بسيط تزف اليه العروس ويتم بذلك الزواج.

بل الأمر أصبح يطاله التعقيد سواء في معايير الاختيار أو في الاعداد له وكذا إتمامه ولكن بحسب تصور المبحوثين اللذين نظروا للموضوع من خلال القيمة الاقتصادية (وليس الدينية ولا الميتافيزيقية بحسب افتراضنا) يظل المهر والبطالة أهم الأسباب التي من شأنها تكريس العنوسة في المجتمع.

جدول رقم (29) علاقة ترتيب أسباب العنوسة بالحالة العائلية.

الأسباب / الحالة العائلية	طول مدة التعليم	الاصابة بالعين	الممارسات السحرية	التلبس الجني	المهر	البطالة	المكتوب	سوء سمعة العائلة	عدم خروج بعض البنات من البيت	المجموع
أعزب	15 %23.1	5 %7.7	3 %4.6	2 %3.1	18 %27.7	20 %30.8	1 %1.5	/	1 %1.5	65 %100
متزوج	5 %15.2	5 %15.2	4 %12.1	1 %3	9 %27.3	5 %15.2	3 %9.1	1 %3	/	33 %100
مطلق	/	1 %100	/	/	/	/	/	/	/	1 %100
أرمل	/	1 %33.3	/	/	1 %33.3	1 %33.3	/	/	/	3 %100
المجموع	20 %19.6	12 %11.8	7 %6.9	3 %2.9	28 %27.5	26 %25.5	4 %3.9	1 %1	1 %1	102 %100

نلاحظ من الجدول أن الذين يرون أن السبب في العنوسة هو المهر هم في معظمهم من الأرامل ونسبتهم 33.33%، والمبحوثين الذين يرون أن السبب في العنوسة هو البطالة هم بنسة متقاربة بين الأرامل والعزاب ونسبتهما على الترتيب 33.3% و 30.8%، أما الذين يرجعون سبب العنوسة إلى طول مدة التعليم هو في أغلبهم من العزاب ونسبتهم 23.1% والذين يرون أن السبب هو الاصابة بالعين الشريرة هم في أغلبهم من المطلقين ونسبتهم 100%، في حين الذين يرجعون السبب إلى الممارسات السحرية هم في معظمهم من المتزوجين ونسبتهم 12.1%، واللذين رأوا أن السبب في العنوسة هو المكتوب كانوا في معظمهم من المتزوجين ونسبتهم 9.1%، أما الذين صرحوا بأن السبب هو التلبس الجني فهم بنسبة متقاربة بين العزاب والمتزوجين ونسبتهما على التوالي 3.1% و3%، في حين الذين يرون أن سبب العنوسة هو سوء سمعة العائلة كانوا في أغلبهم من المتزوجين ونسبتهم 3% بالإضافة الى أن الذين يرون أن السبب هو عدم خروج بعض البنات من البيت كانوا في معظمهم من العزاب ونسبتهم 1.5%.

من هذه القراءة الاحصائية نجد أن المتزوجين أميل إلى تبني القيم الميتافيزيقية في تفسير ظاهرة العنوسة (العين/المكتوب/التلبس الجني/السحر) أين كانت هذه المؤشرات تظهر أغلبيتها عند المتزوجين إلا في حالة واحدة أين تم ظهور مؤشر سوء سمعة العائلة.

أما العزاب فقد كانت تفسيراتهم مردها إلى مؤشرات القيم الاقتصادية أو التربوية أو الاجتماعية (طول التعليم/ البطالة/عدم خروج بعض البنات من البيت).

3) الترتيب السوسيوقيمي لمسببات المشاكل الزوجية:

جدول رقم (30) أسباب المشاكل الزوجية حسب الأولوية.

الأسباب	التكرار	النسبة %
اختلاف ثقافة الزوجين	31	%30.4
اصابة الزوجين بالسحر	06	%5.9
اصابة الزوجين بالعين	05	%4.9
ابتعاد الزوجين عن الدين	41	%40.2
تدخل الوالدين في العلاقة بين الطرفين	18	%17.6
تدخل أطراف من غير الأهل في العلاقة	01	%1
المجموع	102	%100

يبين الجدول أعلاه أن جل المبحوثين يرون أن السبب في خلق المشاكل الزواجية هو ابتعاد الزوجين عن الدين ونسبتهم 40.2%، تليها نسبة 30.4% التي تمثل المبحوثين اللذين يرون أن السبب هو اختلاف ثقافة الزوجين، في حين من يرى أن السبب في خلق المشاكل هو تدخل الوالدين في العلاقة كانت نسبتهم 17.6%، لتأتي باقي الأسباب بنسب متقاربة وهي على التوالي الإصابة بالسحر 5.9%، إصابة الزوجين بالعين 4.9%، تدخل أطراف من غير الأهل في العلاقة بين الزوجين 1%.

من ذلك نستشف أن المبحوثين أعطوا الأولية في تفسير سبب المشاكل الزوجية للمؤشر الديني فهم يعلون القيمة الدينية بالمقارنة مع باقي القيم الأخرى، وذلك

لاعتبار أن الدين بين الكثير من المعاملات الزواجية وحدد بعض الضوابط على الزوجين كل بحسب قدرته ومسؤولياته.

جدول رقم (31) علاقة ترتيب أسباب المشاكل الزوجية بالحالة العائلية.

الأسباب / الحالة العائلية	اختلاف ثقافة الزوجين	اصابة الزوجين بالسحر	اصابة الزوجين بالعين	ابتعاد الزوجين عن الدين	تدخل الوالدين في العلاقة بين الطرفين	تدخل أطراف من غير الأهل في العلاقة	المجموع
أعزب	18 %27.7	03 %4.6	04 %6.2	29 %44.6	11 %16.9	/	65 %100
متزوج	13 %39.4	3 %9.1	1 %3	10 %30.3	05 %15.2	01 %3	33 %100
مطلق	/	/	/	/	01 %100	/	1 %100
أرمل	/	/	/	2 %66.7	1 %33.3	/	3 %100
المجموع	31 %30.4	6 %5.9	5 %4.9	41 %40.2	18 %17.6	01 %1	102 %100

نلاحظ من الجدول أنّ أغلب المبحوثين الذين يرون أن سبب المشاكل الزواجية هو الابتعاد عن الدين هم في أغلبهم من الأرامل ونسبتهم 66.7%، أما الذين يرون سبب المشاكل الزوجية هو اختلاف ثقافة الزوجين هم في أغلبهم من المتزوجين ونسبتهم 39.4%، في حين الذين يرون أن سبب المشاكل الزوجية هو تدخل الوالدين في العلاقة بين الطرفين هم في أغلبهم مطلقين ونسبتهم 100%، و الذين يرجعون السبب إلى الاصابة بالسحر فهم في معظمهم بنسبة متقاربة بين المتزوجين والعزاب ونسبتهما على التوالي 9.1% و 4.6%، ونفس الشيء بالنسبة للذين يرون أن سبب المشاكل الزوجية هو الإصابة بالعين كانت أيضا بنسب متقاربة بين العزاب 6.2% والمتزوجين 3%، وفي الأخير نجد المبحوثين الذين يرون أن سبب المشاكل الزوجية هو تدخل أطراف من غير الأهل في العلاقة هم في معظمهم من المتزوجين ونسبتهم 3%.

نستشف من شكل تموضع النسب أن العزاب يعلون القيم الميتافيزيقة في تفسير المشاكل الزوجية (السحر/ العين) أما المتزوجين هم بين القيم الميتافيزيقية والقيم الاجتماعية (السحر/ العين/ اختلاف ثقافة الزوجين/ تدخل أطراف غير الأهل في العلاقة) في حين الأرامل كان لهم ميل نحو القيمة الدينية (الابتعاد عن الدين) والمطلقين كان ميلهم نحو القيم الاجتماعية (تدخل الوالدين).

4) الترتيب السوسيوقيمي لمسببات العقم:

جدول رقم (32) أسباب العقم حسب الأولوية.

الأسباب	التكرار	النسبة %
الاصابة بالسحر لعدم الانجاب	07	%6.9
الاصابة بتلبس جني	01	%1
الاصابة بالعين	04	%3.9
عقاب رباني نتيجة الابتعاد عن الله	22	%21.6
مشاكل جسدية لدى الزوجين	60	%58.8
مشاكل نفسية لدى الزوجين	03	%2.9
المكتوب	05	%4.9
المجموع	102	%100

نلاحظ من نسب الجدول أن جل المبحوثين يرون أن سبب العقم لدى الزوجين هو وجود مشاكل جسدية لديهما ونسبتهم 58.8%، تليها نسبة 21.6% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو عقاب رباني نتيجة الابتعاد عن الله ثم بنسب متقاربة تأتي باقي الأسباب الأخرى وهي على التوالي الإصابة بالسحر لعدم الانجاب 6.9% ،المكتوب 4.9% الإصابة بالعين 3.9%، مشاكل نفسية لدى الزوجين 2.9%، الإصابة بالتلبس الجني 1%.

من ذلك نجد أنّ المبحوثين يعلون من القيمة العلمية في النظر لمشكلة العقم لتأتي بالدرجة الثانية القيمة الدينية.

وكإشارة سوسيوثقافية يمكن أن نجد أن للممارسة الاجتماعية انتقاء جندريا (الرجل/المرأة) حول العقم «حيث عقم الرجل لا يحمل لزواجه تهديدا كالذي يحمله عقم الأنثى وذلك بحكم محافظة الأنثى والمجتمع على كبرياء الرجل وكذا بحكم وضعه الاقتصادي في البيت، كما أن هناك عدد من المجتمعات التي نلاحظ فيها أن النساء لا يرتقين إلى مرتبة النضج الكامل إلا حين يلدن طفلهن الأول وفي مجتمعات أخرى لا تعتبر العاقر أنثى بالغة حتى تلد...»[1].

فالعقم هو أحد المشكلات التي تهز الكيان الأسري كون الأسرة في الأساس قامت لأجل عدة أهداف يعد الانجاب من أهمها لتبدأ بعد ذلك الكشوفات الطبية لمعرفة إلى ما يعزى ذلك لذا فالمبحوثين رجحوا أن يكون للعقم سببا جسديا عضويا كأهم سبب من بين الأسباب المقترحة.

[1] السيد حافظ الأسود، الأنتروبولوجيا، دار الوفاء الجامعية، الأزاريطة، 2002، ص 308.

جدول رقم (33) علاقة ترتيب أسباب العقم بالمستوى التعليمي.

الأسباب / المستوى التعليمي	الاصابة بالسحر لعدم الانجاب	الاصابة بتلبس جني	الاصابة بالعين	عقاب رباني نتيجة الابتعاد عن الله	مشاكل جسدية لدى الزوجين	مشاكل نفسية لدى الزوجين	المكتوب	المجموع
أمي	1 %20	/	/	3 %60	1 %20	/	/	5 %100
يقرأ ويكتب	/	/	/	/	7 %100	/	/	7 %100
ابتدائي	/	1 %20	/	/	4 %80	/	/	5 %100
متوسط	/	/	/	1 %25	2 %50	/	1 %25	4 %100
ثانوي	1 %4	/	1 %4	4 %16	19 %76	/	/	25 %100
جامعي	5 %8.9	/	3 %5.4	14 %25	27 %48.2	3 %5.4	4 %7.1	56 %100
المجموع	7 %6.9	1 %1	4 %3.9	22 %21.6	60 %58.8	3 %2.9	5 %4.9	102 %100

نلاحظ من الجدول أن جل المبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو مشاكل جسدية هم في أغلبهم من ذوي مستوى تعليمي يقرأ ويكتب ونسبتهم 100%، أما المبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو عقاب رباني هم في أغلبهم ذوي مستوي تعليمي أمي ونسبتهم 60%، في حين المبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو الإصابة بالسحر هم في أغلبهم أميين ونسبتهم 20%، والمبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو المكتوب هم في أغلبهم من ذوي مستوى تعليمي متوسط ونسبتهم 25%، ثم المبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو الإصابة بالعين هم في أغلبهم من ذوي مستوى تعليمي جامعي 5.4% ومستوى تعليمي ثانوي بنسبة 4% ويأتي في الأخير المبحوثين الذين يرون أن سبب العقم هو مشاكل نفسية لدى الزوجين وهم في أغلبهم من ذوي المستوى التعليمي الجامعي ونسبتهم 5.4%.

نستنتج من ذلك أن للمستوى التعليمي أثر في غياب معرفة بعض أسباب العقم لدى بعض الفئات حيث كانت متمركزة لدى فئة بعينها ونجد ذلك تحديدا في "المشاكل النفسية" فالمبحوثين ذوي مستوى تعليمي جامعي هم فقط من أشاروا أن للعقم مسببات نفسية.

وعدا ذلك لا يمكن أن نقول أن من هم في مستوى تعليمي عالي أميل للقيمة العلمية من غيرهم بل قد تواجد ذوي مستوى تعليمي بسيط ــ يقرأ ويكتب ــ قد أشاروا في أغلبهم إلى أن مسببات العقم هي مشاكل جسدية، في حين تواجد ذوي مستوى تعليمي عالي ويعزون العقم لمسببات تعد مؤشرات للقيم الميتافيزيقية (العين)

5) الترتيب السوسيوقيمي لمسببات البطالة:

جدول رقم (34) أسباب البطالة حسب الأولوية.

الأسباب	التكرار	النسبة %
الفشل في تخطيط السياسة الاقتصادية	41	%40.2
عدم سعي الأفراد في البحث عن عمل	20	%19.6
العزوف عن المهن والحرف اليدوية	24	%23.5
غياب القيم الدينية في مجالات العمل	17	%16.7
المجموع	102	%100

يبين الجدول أن المبحوثين في معظمهم يرون أن سبب البطالة هو الفشل في تخطيط السياسة الاقتصادية ونسبتهم 40.2%، ثم تأتي باقي الأسباب الأخرى بنسب متقاربة هي على الترتيب كما يلي: العزوف عن المهن والحرف اليدوية 23.5%، عدم سعي الأفراد في البحث عن عمل 19.6% ثم غياب القيم الدينية في مجالات العمل 16.7%.

إذن حسب هذه القراءة الاحصائية يعزى سبب البطالة حسب المبحوثين لعامل التخطيط السياسي الأمر الذي فيه اعلاء للقيمة الاقتصادية/السياسية لتأتي القيمة الدينية كآخر سبب يخلق البطالة.

«إذ تنتج مشكلة البطالة من قصور النمو الإقتصادي عن ملاحظة النمو السكاني وما يترتب عليه من زيادة القوى العاملة إلى جانب ضعف المدخرات المحلية وعجزها عن توفير الاستثمارات لخلق فرص العمل فمن الطبيعي مع بقاء معدلات نمو التعليم

ومعدلات النمو السكاني على مستواها وفي حالة بطء النمو الاقتصادي أن تظهر مشكلة البطالة وتتراكم عبر السنين»[1].

والتخطيط السياسي للاقتصاد تدخل فيه عدة مؤشرات منها مخرجات التعليم المؤسسات الاقتصادية، الاستثمار...وغيرها إلا أن ما يهمنا هنا ليس حصر أسبابها بقدر ما يهمنا السبب الذي يعطيه المبحوثين الأولوية في تفسيرها وقد كان هنا الأولوية للقيمة السياسية/الاقتصادية.

جدول رقم (35) علاقة ترتيب أسباب البطالة بالعمل.

الأسباب / العمل	الفشل في تخطيط السياسة الاقتصادية	عدم سعي الأفراد في البحث عن عمل	العزوف عن المهن والحرف اليدوية	غياب القيم الدينية في مجالات العمل	المجموع
يعمل	18 %66.7	2 %7.4	2 %7.4	5 %18.5	27 %100
لا يعمل	23 %30.7	18 %24	22 %29.3	12 %16	75 %100
المجموع	41 %40.2	20 %19.6	24 %23.5	17 %16.7	102 %100

نلاحظ من الجدول أن المبحوثين اللذين يرون أن السبب في خلق البطالة هو الفشل في تخطيط السياسة الاقتصادية هم في أغلبهم يعملون ونسبتهم 66.7%، في حين المبحوثين اللذين يرون أن السبب هو العزوف عن المهن والحرف اليدوية هم في معظمهم لا يعملون ونسبتهم 29.3%، أما المبحوثين اللذين يرون أن سبب البطالة هو عدم سعي الأفراد في البحث عن عمل هم في أغلبهم لا يعملون ونسبتهم 24%

[1] أنور حافظ عبد الحليم، مرجع سبق ذكره،ص 62.

ثم نجد المبحوثين الذين يرون أن سبب البطالة هو غياب القيم الدينية في مجالات العمل وهم بنسبة متقاربة بين اللذين يعملون واللذين لا يعملون ونسبتهما على التوالي 18.5% و 16%.

من ذلك نستشف أن المبحوثين العاملين يرجعون سبب البطالة لعامل خارجي عن شخص الأفراد ويربطونه بسياسة الدولة مثلا، أما غير العاملين فيرجعون سبب البطالة إلى مسببات تعود لشخص البطال (عزوفهم عن المحن والحرف اليدوية/ عدم سعيهم في البحث عن عمل) .

6) الاستنتاج الجزئي الأول:

من خلال جملة الجداول السابقة و توجهها العام نجد أن للمبحوثين رؤية قيمية تختلف باختلاف المشكلة التي يتعرضون لها وهذا ما بدى واضحا من تباين نمط التوجه الاحصائي الغالب إذ بعد حصر بعض المشكلات التي رأينا أنها تعد أسباباً لتوجه الأفراد إلى الرقاة تم محاولة معرفة الأولوية التي يعطونها لتفسير تلك المشاكل.

وقد وجدنا بعد تحديد التوجه العام لتصريحات المبحوثين أن معظم مفردات العينة يرون أن السبب في الأمراض التي نتعرض لها هو "قدر الله" ونسبتهم 55.9% اللأمر الذي فيه اعلاء للقيمة الدينية الميتافيزيقية، أما عن مشكلة العنوسة فأرجعها المبحوثين إلى الغلاء المهور 27.5% والبطالة 25.5% حيث قد أعلوا بذلك القيمة الاقتصادية، في حين أهم مسببات المشاكل الزوجية حسبهم تعزى إلى "الابتعاد عن الدين" 40.2% أي هناك ميل للقيمة الدينية وفي الأخير نجد أن رؤية المبحوثين لمشكلة البطالة ترتبط بالقيم السياسية/الاقتصادية "الفشل في تخطيط السياسة الاقتصادية" ونسبتهم 40.2%، كما يمكن أن نضيف هنا المشاكل التنشيئية كسبب يتوجه من أجله الأفراد للرقاة وهي بحسب ما سبق الاشارة اليه*

تعزى لمتغير (العين) 68% الأمر الذي فيه اعلاء للقيمة الميتافيزيقية .

الأمـــــــــراض ← القيمة الدينية/ الميتافيزيقية.

المشاكل الزوجية ← القيمة الدينية.

المشاكل التنشيئية ← القيمة الميتافيزيقية.

العنوســـــــــة ← القيمة الاقتصادية.

البطـــــــــالة ← القيمة الاقتصادية/السياسية.

* أنظر ص 158 من هذا البحث.

إذن إن للقيمتين التي تما افتراضهما (الدينية/الميتافيزيقية) حضور غالب نسبيا في الرؤية للمشاكل والأمراض لدى المبحوثين، إلا أنه كلما كانت المشكلة تميل نحو العمومية **(عنوسة /بطالة)** كان تفسير المبحوثين يبتعد عن القيمتين المفترضتين (الدينية/الميتافيزيقية).

ونقصد بعمومية المشكلة أن تواجدها واحد لدى الكل، فكل العانسين مصابهم واحد وهو أنهم متأخرون عن سن الزواج، ولا تأخذ العنوسة أشكلا مختلفة باختلاف الأفراد، وكذا كل البطالين مصابهم واحد أيضا و هو أنهم لم يجدوا عملا أما حين يكون للمشكلة حضور خاص ومميز لدى كل فرد على حدى يعطي لها الأفراد تفسيرا ميتافيزيقيا أو دينيا (المرض، المشاكل الزوجية، المشاكل التنشيئية) ونعني بالحضور الخاص للمشكلة أنها تختلف باختلاف الأشخاص فهي ليست حاضرة على نفس الشاكلة لدى الكل فإذا كنا كلنا مرضى إلا أن لكلٍ مرضه الخاص، و إن كان لدى الكل مشاكل زوجية إلا أن لكلٍ مشاكله الزوجية الخاصة وكذا لكل مشاكله التنشئية الخاصة أيضا فهذا النوع من المشاكل نجد أنه يختلف عن الأولى التي وصفناها بالعمومية.

إذن نصل في النهاية إلى فكرة مؤداها أن فرضيتنا تتحق إذا كان مضمون مشاكل المقبلين على الرقاة يختلف باختلاف خصوصيتهم، واعتبار أن القيم الميتافيزيقية والدينية تساهم في تدعيم الوجود الاجتماعي للرقاة كافتراض هو محقق من حيث مبناه إلا أنه يمكن أن نضيف إليه أن هذا التحقق يكون أكثر قوة إذا ما كانت المشاكل التي يعاني منها الأفراد المترددون على الرقاة لا تمتاز بالعمومية.

ثانيا:علاقة القيم بالنموذج التصوري للعامل في الرقية (الفرضية الثانية):

يحاول الافتراض الثاني للدراسة الكشف عن مكمن العلاقة بين القيم والنموذج التصوري للعامل في الرقية، حيث منطق الافتراض كان منطلقا من أن للقيم التقليدية دور في صياغة هذا النموذج التصوري أي أن أفراد المجتمع عندما يحددون ملامح الشخص الراقي في بعض المؤشرات (جنسه، سنه، علمه...) هم يحددونها من خلال ما يتبنونه من قيم تقليدية خالصة هذا على الأقل كافتراض نناقشه في الآتي:

1) الخصائص الشخصية للعمل:

- **الجنـــس:**

جدول رقم (36) الجنس الأكفأ في ممارسة الرقية.

الأكفأ	التكرار	النسبة %
الرجل أكفأ من المرأة	77	%75.5
المرأة أكفأ من الرجل	06	%5.9
معا	12	%11.8
لا أدري	07	%6.9
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن أغلب المبحوثين يرون أن الرجل أكفأ من المرأة في عمل الرقية ونسبتهم 75.5% تليها نسبة 11.8% اللذين يمثلون المبحوثين الذين يرون أن الرجل والمرأة أكفاء معا في عمل الرقية ثم نجد نسبة 6.9% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن المرأة أكفأ من الرجل في ممارسة الرقية.

وقد كانت تعليلات المبحوثين في تفضيلهم لجنس الرجل في عمل الرقية كما يلي[1]:

❖ لقوة التحمل.

❖ لأن الرجال قوامون على النساء فالله أعطى خطبة الجمعة للرجال لا النساء والرقية تنطبق على ذلك.

- الرجل باستطاعته أن يرقي للرجل وللمرأة ولكن المرأة لا ترقي إلا للمرأة.
- لأن الرجل رزين وعاقل مقارنة بالمرأة.
- الرجل أكفأ في التنقل الى مكان السحر و اخراجه وفي اخراج الجني.
- مهما كان يبقى الرجل أقوى من المرأة.
- لأن الرجل يكون في كل الأحيان طاهرا.

بذلك نجد أن المبحوثين أعطوا الفرصة للقيم التقليدية في تأطير تفضيلهم لجنس الذكر فلطالما حظي هذا الأخير (لاعتبارات تقليدية) بتعزيز مكانته منذ ولادته حيث كانت الأم لا تسعى إلى الإنجاب فحسب بل إلى انجاب الذكر تحديدا «لأن ذلك كان من شأنه أن يزيد من تأثيرها وسيطرتها على عائلتها...وبدون الذكور سيحكم عليها بالفناء لأنه ببساطة لم يعد لها أسلافا...»[2] ثم تستمر حظوظ اللاتكافئ بعد ذلك لتطال امكانية التعليم و امكانية العمل...وغيرهما.

لقد كانت هذه هي النظرة التقليدية المعززة لجنس الرجل و التي برغم من أنها سادت لعقد من الزمن إلا أنها الآن تكاد تتبدد بفعل عوامل مختلفة، فالوضع الراهن قد أوجد للمرأة موطأ قدم في كل مجالات الحياة وفي كل مرافق المجتمع.

---

[1] من تصريحات المبحوثين.

[2] محمد عباس ابراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 309.

❖ **السـنـ:**

جدول رقم (37) السن الذي يستحسن أن يكون فيه الراقي.

السن	التكرار	النسبة %
20 ــ 40 سنة	08	%7.8
41 ــ 60 سنة	77	%75.5
60 سنة و أكثر	09	%8.8
لا أدري	01	%1
لا تقاس المسألة بالسن	07	%6.9
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن جل المبحوثين يفضلون أن يكون الراقي في سن ما بين 41 ــ60 سنة ونسبتهم 75.5%، تليها باقي النسب الأخرى بفوارق متقاربة وهي على الترتيب سن من 60 سنة فأكثر 8.8%، سن مابين 20 ــ40 سنة 7.8%، العامل بالرقية لا تقاس مهنته بمتغير السن 6.9%، وفي الأخير نسبة 1% التي تمثل المبحوثين اللذين لا يدرون ما هو السن الأمثل للعامل في الرقية.

وقد تكررت في تعليلات المبحوثين حول تفضيلهم لسن 41ــ60 سنة للراقي ما يلي[1]:

- ليدرك الراقي ما يقول وما يفعل.
- ليكون لدى الراقي نضج عقلي وفكري.

[1] من تصريحات المبحوثين.

- يكون الراقي فيها أكثر قوة وخبرة.

لقد أعطى المبحوثين تعليلات ليس لها ارتباط بالقيم التقليدية أين كان المجتمع يعتبر الحكمة عند الشيخ الكبير الذي يعد محل وقار حنكة بل كانت تبريراتهم مرتبطة النضج وكأنهم يرون أن فترة الكهولة فترة مثالية للعمل من منطلق أنها لا هي معرضة لطيش الشباب ولا هي معرضة لخرف الشيوخ (Alzheimer) وهو اعتبار أرجع عامل السن المناسب إلى معايير عقلية ومعرفية أكثر منه شيء آخر.

جدول رقم (38) العلاقة بين الجنس و الأكفأ في عمل الرقية.

الأكفأ / الجنس	الرجل	المرأة	معا	لا أدري	المجموع
ذكر	17 %73.9	3 %13	3 %13	/	23 %100
أنثى	60 %75.9	3 %3.8	9 %11.4	7 %8.9	79 %100
المجموع	77 %75.5	6 %5.9	12 %11.8	7 %6.9	102 %100

نلاحظ من الجدول أعلاه أن المبحوثين الذين يرون أن الرجل أكفأ في عمل الرقية كانوا بنسب متقاربة بين الذكور والإناث ونسبتهما على التوالي 75.9% و 73.9%، أما المبحوثين الذين يرون أن المرأة والرجل معا أكفاء في عمل الرقية كانوا أيضا بنسبة متقاربة بين الذكور والإناث ونسبتهم على الترتيب 13%

و11.4% في حين المبحوثين الذين لا يدرون من الجنس الأكفأ في عمل الرقية كانوا في مجملهم من الإناث ونسبتهم 8.9%، وفي الأخير نجد المبحوثين الذين يرون أن المرأة أكفأ من الرجل في عمل الرقية هم في أغلبهم من الذكور ونسبتهم 13%.

نستنتج من ذلك أنه ليس هناك ميل إلى ذات الجنس (رجال←رجال /نساء←نساء) إذ الذين رأوا أن الرجل أكفأ في عمل الرقية كانوا متقاربين بين الذكور و الإناث واللذين رأوا أن الرجال والنساء معا أكفاء في ممارسة الرقية كانوا أيضا متقاربين بين الذكور والإناث ومالت النسب فقط عند من رأوا أن المرأة هي الأكفأ في ممارسة الرقية حيث كانوا أغلبهم من الذكور فإذن هناك توجه نحو الرقاة الرجال من كلا الجنسين وإن كان هناك من سيعطي الفرصة للراقيات الإناث فسيكون جنس الرجال.

2) الجانب التكويني والمعرفي للعامل في الرقية

جدول رقم (39) وجوب حفظ القرآن للعامل في الرقية.

الوجوب	التكرار	النسبة %
نعم ضروري ذلك	80	%78.4
ليس ضروري	22	%21.6
المجموع	102	%100

يبين الجدول أن جل المبحوثين يرون أن على الراقي أن يكون حافظا للقرآن الكريم ونسبتهم 78.4% تليها نسبة 21.6% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أنه ليس من الضروري أن يكون الراقي حافظا للقرآن.

وقد برر المبحوثين ضرورة أن يكون الراقي حافظا للقرآن بالتالي[1]:

- لأنه سلاحه الوحيد.
- لأن الرقية الشرعية تنبني على القرآن.
- لأن القرآن منزل فيه الشفاء.
- لتحصين نفسه من أذى الجن.

في حين الذين رأوا أنه ليس من الضروري أن يكون الراقي حافظا لكتاب الله كانت تبريراتهم تُردد في كل مرة جملة النقاط التالية:

- لأن الرقية حكمة من عند الله مع قليل من القرآن (سورة البقرة).
- السور التي يرقي بها الراقي محدودة ومعروفة.
- لأن الرقية قد تكون هبة من الله.
- لأن النية أبلغ من العمل.

لقد كانت تبريرات المبحوثين متضمنة لتوجهين هما:

أولا: توجه يرى أن عمل الراقي متمحور حول القرآن لذا وجب حفظه وكذا لتحصين.

ثانيا: توجه يرى أن الرقية شيء له علاقة بأمر غيبي يضعه الله في الفرد فيصبح قادر على عمل الرقية (الرقية حكمة/الرقية سر).

فالتوجه الثاني ذو مسار تقليدي لم يتجه اليه المبحوثين لكونهم أيدوا في أغلبهم التوجه الأول فهم في هذا الاطار لم يكرسوا القيم التقليدية في النظر لضرورة حفظ القرآن بل

[1] من تصريحات المبحوثين.

نظروا اليه من حيث أن لكل عمل وسيلة رئيسية تكون عمادا له والقرآن هو عماد الرقية بحسبهم.

جدول رقم (40) أهمية التكوين العلمي العالي (الجامعي) للراقي.

الأهمية	التكرار	النسبة %
مهم جدا	05	%4.9
مهم	18	%17.6
غير مهم	66	%64.7
غير مهم مطلقا	12	%11.8
بدون اجابة	01	%1
المجموع	102	%100

يبين الجدول أن جل المبحوثين يرون أن التكوين العلمي العالي (الجامعي) للراقي غير مهم ونسبتهم 64.7% تليها نسبة 17.6% التي ترى أن التكوين العلمي العالي للراقي مهم ثم نسبة 11.8% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن التكوين العلمي العالي للراقي غير مهم مطلقا ثم نجد المبحوثين اللذين يرون أن التكوين العلمي العالي للراقي مهم جدا ونسبتهم 4.9% وفي الأخير نجد المبحوثين الذين لم يجيبوا على السؤال ونسبتهم 1%.

فالراقي إذن حسب المبحوثين ليس بحاجة إلى أن يكون قد أتم تعليمه الجامعي لأن التكوين العلمي العالي للراقي أساسا غير مهم، وذلك لأن الراقي يدركه أفراد المجتمع

كمعالج شعبي والثقافة الشعبية ترى أن العلم يؤخذ بالتجربة أو بالتوارث أو الهبة...وغيرها من الوسائط الشعبوية الدلالة.

الأمر الذي يجعل المستوى التعليمي عديم الجدوى في شخص الراقي هذا مع أن الآن بدأت تظهر بعض التوجهات في عرض الرقية كإطار رسمي يحاول الاقتران بالعلم كأنشاء عيادات طبية تزاوج العلاج الكيميائي بالرقية.

ومن خلال هذا التوجه العام نجد أن المبحوثين كانت رؤيتهم منطلقة من القيم التقليدية في تفسير مؤشر المستوى التعليمي العالي (الجامعي).

جدول رقم (41) علاقة المستوى التعليمي للمبحوثين بتفضيلهم أن يكون الراقي ذو مستوى تعليمي عالي.

أهمية التكوين العالي / المستوى التعليمي	مهم جدا	مهم	غير مهم	غير مهم مطلقا	المجموع
أمي	/	5 %100	/	/	5 %100
يقرأ ويكتب		2 %28.6	5 %71.4	/	7 %100
ابتدائي	/	2 %40	2 %40	1 %20	5 %100
متوسط	/	1 %25	2 %50	1 %25	4 %100
ثانوي	1 %4.2	4 %16.7	16 %66.7	3 %12.5	24 %100
جامعي	4 %7.1	9 %16.1	36 %64.3	7 %12.5	56 %100
المجموع	5 %5	18 %17.8	66 %65.3	12 %11.9	102 %100

نلاحظ أن جل المبحوثين الذين يرون أن التكوين العلمي العالي للراقي غير مهم هم في أغلبهم من ذوي المستوى التعليمي يقرأ ويكتب ونسبتهم 71.4%، أما الذين يرون أنه مهم فهم في أغلبهم من ذوي المستوى التعليمي الأمي ونسبتهم 100%، في حين الذين يرون أن التكوين العلمي العالي غير مهم مطلقا هم في معظمهم بنسبة متقاربة بين من لهم مستوى تعليمي متوسط 25% ومن لهم مستوى تعليمي ابتدائي 20% وفي آخر نسبة نجد المبحوثين الذين يرون أن التكوين العلمي العالي للراقي مهم جدا وهم بنسبة متقاربة بين الجامعيين 7.1% و مستوى التعليمي الثانوي 4.2%.

من خلال هذه القراءة الاحصائية نستنتج أنه ليس هناك تأثير للمستوى التعليمي على ضرورة أن يكون الراقي ذا مستوى تعليمي عالي وذلك لأنه هناك معايير أهم بحسب الذهنية الشعبية يجب أن تتوفر في الراقي خاصة وأن سلاح الراقي كما سبق الاشارة (القرآن، والأعشاب، الماء ..) و هي آليات لا تتطلب دراية كبيرة في معرفة منافعها كما أن أثرها لا يكون في الغالب مضرا.

جدول رقم (42) ضرورة امتلاك الراقي لمعرفة في العلوم الأخرى (الطب ،علم الاجتماع، علم النفس..).

ضرورة امتلاكها	التكرار	النسبة %
نعم	**50**	**%49**
لا	**17**	**%16.7**
لا أدري	**35**	**%34.3**
المجموع	**102**	**%100**

يبين الجدول أن أغلب المبحوثين يرون أن على الراقي امتلاك معرفة في العلوم الأخرى ونسبتهم 49%، تليها نسبة 34.3% التي تمثل المبحوثين اللذين لا يدرون إن كان على الراقي امتلاك معرفة في العلوم الأخرى أم لا، ثم نجد نسبة 16.7% التي تمثل المبحوثين اللذين يرون أنه ليس من الضروري على الراقي امتلاك معرفة في العلوم الأخرى.

وقد قدم المبحوثين مجموعة من الأسباب جعلتهم يؤيدون أن يكون للراقي معرفة في العلوم الأخرى وهي[1]:

- يساعده ذلك في علاج بعض الحالات كالطفل الصغير مثلا.
- يجب على الراقي الاطلاع عن نفسية الانسان "علم النفس".
- لأنه يكون أدرى بما يدور حوله.
- حتى يستطيع التعمق في تشخيص الأمراض.
- لتعدد مسببات الأمراض.
- ليستطيع أن يشمل علاجه الجانب الجسدي والروحي.
- لأن الراقي يقدم للمريض بعض الأعشاب والزيوت ويجب عليه معرفة تأثيرها وفعاليتها.

كما قد قدم المبحوثين مسببات جعلتهم لا يرون أنه من الضروري امتلاك الراقي للمعرفة في العلوم الأخرى وهي[2]:

- لأن الرقية موهبة من عند الله.
- الأساس هو تمكنه من العلوم الدينية فقط.
- يستوجب على الراقي أن يكون حافظا للقرآن فقط.
- معظم الرقاة الحاليون لم يتجاوزوا المدرسة الأساسية وهم فاعلون.
- الراقي لا تهمه نوعية المرض.
- لأن القرآن الكريم جامع لجميع المعارف الدنيوية.
- لأن في القديم لم تكن هذه العلوم وكانت الرقية ناجحة.

[1] من تصريحات المبحوثين.

[2] من تصريحات المبحوثين.

وبتأييد المبحوثين للضرورة أن يكون الراقي ذو اطلاع على العلوم الأخرى هم بذلك يبتعدون عن القيم التقليدية في النظر للموضوع، الأمر الذي يبدوا منه في الوهلة الأولى وكأنه متضمن لنوع من التناقض لدى المبحوثين بين أنهم لا يرون ضرورة أن يكون للراقي مستوى جامعي وبين امتلاكه للمعرفة في العلوم الأخرى، إلا أن مرد ذلك قد يرجع إلى أن المبحوثين لا تهمهم اجازات الراقي وترقيه في التعليم النظامي ولكن يهمهم مدى درايته وعلمه.

3) الأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالعمل.

❖ الأصل العرقي:

جدول رقم (43) ضرورة أن يكون الراقي من أصل شريف (شرفة/مرابطين)

ضرورة الأصل الشريف	التكرار	النسبة %
نعم	11	%10.8
لا	91	%89.2
المجموع	102	%100

يبين لنا الجدول أن جل المبحوثين يرون أنه ليس من الضرورة أن يكون الراقي من أصل شريف ونسبتهم 89.2%، تليها نسبة 10.8% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن على الراقي أن يكون من أصل شريف.

حيث من يرون أن الأصل الشريف شرط غير ضروري لعمل الرقية كان حسبهم للاعتبارات التالية:

- إن الله يؤتي الحكمة من يشاء.
- العبرة بالخُلق وليس بالأصل.
- الشرفة والمرابطين تعد مجرد خرفات.
- التداوي والرقى لا تقتصر على الأصل لأن الله يضع سره في أضعف خلقه.
- المهم أن يكون برهانه واضح.
- الرقية ليست وراثية وإنما تُعلم وتكتسب.
- الرسول جد كل تقي.

أما من يرون أن الأصل الشريف شرط ضروري لعمل الرقية قد برروا ذلك بما يلي:

- حتى يتمكن من جلب الناس.
- لأن بهم بركة، وهناك من صاغها بعبارات أخرى مثل: لتبرك بآل البيت.
- لأن نسبهم ينتمي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

إذن كانت رؤية المبحوثين منافية للقيم التقليدية التي تحّل بعض الأصول العرقية دون الأخرى الأمر الذي يجعلها تخص بعض الفئات (الراقية بحسب التصنيف الاجتماعي) تختص بمهام دون الأخرى والتي تعد المداوة الشعبية من بينهما، وذلك لكون أن لهم لمسة ــ بركة ــ كما وصفها المبحوثين المؤيدين للأصل الشريف للعامل في الرقية.

فالمبحوثين كانوا غير مؤيدين لكل هذا بل توجه أغلبهم إلى أن العمل في الرقية بحاجة إلى حكمة وخُلق وتعلم وهي معايير عقلانية إلى حد كبير كونها لم تصبغ بصبغة تعاطف للعادات الاجتماعية والتقاليد المجتمعية.

جدول رقم (44) ضرورة أن يكون الراقي من خريجي الزوايا*.

ضرورة الدراسة في الزاوية	التكرار	النسبة %
نعم	32	%31.4
لا	70	%68.6
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن جل المبحوثين يرون أنه ليس بالضرورة أن يكون الراقي من خريج الزوايا ونسبتهم 68.6%، تليها نسبة 31.4% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن على الراقي أن يكون من خريج الزوايا بالمنطقة.

وقد قدم المبحوثين غير المؤيدون لضرورة دراسة الراقي بالزاوية تعليلات هي:

- المهم أن يكون ذو معرفة بعلمه ومحترما.
- لأن حفظة القرآن لا يكونون بالضرورة خريجي زوايا.
- العلم لا يتحدد بمكان.
- وماذا ينفع إن كان من خريج الزوايا ولا يجيد الرقية.
- هناك رقاة غير متخرجين من الزوايا بالضرورة بل من معاهد عليا .

أما المؤيدين لضرورة أن يكون الراقي من خريج الزوايا قد برروا بالآتي:

---

* تم تصنيف مؤسسة الزاوية ضمن هذا العنصر (الأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالعمل في الرقية) لأنه لم يتم تقديم هذه المؤسسة كإطار تربوي ديني فحسب بل لكون أن مؤسسة الزاوية اضافة إلى كونها كذلك هي مؤسسة تحاط بنوع من الهالة الخاصة في المجتمع التواتي إذ لها مكانتها الاجتماعية ووقعها الخاص في المجتمع ونحن هنا نريد النظر إليها من هذا المجال تحديدا بمعنى لا تهمنى الزاوية بما تقدمه من أهداف تربوية تعليمية بقدر ما يهمنا مكانتها الاجتماعية بأدرار.

- حتى يكون حافظا لكتاب الله.
- لكون طلاب الزاويا أكثر معرفة بعلوم الدين والقرآن.
- لمعرفة أساليب الرقية.
- لكي يبتعد عن شبهات الشعودة.
- لأن ذلك سيكون له مصدرا وثقة.

حاول المبحوثين هنا أيضا الابتعاد عن القيمة التقليدية وذلك على اعتبار أن مؤسسة الزاوية ليس من شأنها تفعيل رقية الراقي بالضرورة، كما قد اهتم المبحوثين بأن يأخذ الراقي العلم من أي مكان كان وليست الزاوية بحسبهم هي المكان الوحيد الأمثل لزيادة التمكن في الرقية.

جدول رقم (45) ضرورة زيارة الراقي لبيت الله (حاجا/ معتمرا)*.

ضرورة زياة بيت الله	التكرار	النسبة %
نعم ضروري	13	%12.7
ليس ضروري	89	%87.3
المجموع	102	%100

* تم اضافة فريضة زيارة بيت الله تحديدا من بين كل الفرائض الأخرى لأن في الاستطلاعات الميدانية تم ملاحظة أن بعض المترددين على الرقاة يرون أن الراقي الفلاني جيد عن غيره لأنه زائر لبيت الله لذا تم ادراجه كمؤشر يعبر عن الرؤية الاجتماعية للقائم بهذه الفريضة (الحج/العمرة).

يبين الجدول أن أغلب المبحوثين يرون أنه ليس على الراقي بالضرورة أن يكون زائرا لبيت الله 87.3%، تليها نسبة 12.7% التي تمثل المبحوثين اللذين يرون أن على الراقي أن يكون زائرا لبيت الله.

وقد كان تعليل المبحوثين في ذلك متمحور حول عبارة **(الحج لمن استطاع اليه سبيلا)**.

أما من قالوا أنه يستحسن أن يكون الراقي زائرا لبيت الله قد أوردوا الحجج التالية[1]:

- لزيادة الالمام بأحكام الشرع.
- حتى يكون قد أدى فريضة صعبة من فرائض الله.
- لأن ذلك يجعل الأفراد أكثر اطمئنانا وثقة في الراقي.
- حتى يكون مكملا للفرائض الخمس.

لقد حاول المبحوثين أن يقدموا تعليلا دينيا في النظر لضرورة أن يكون الراقي زائرا لبيت الله و لم يعتبروا أن الراقي الحاج أو المعتمر أكثر فاعلية في رقيته، ولا أكثر تبصرا بها بل وليس حتى أكثر بركة كما عللوا بذلك في مواطن أخرى من البحث الأمر الذي فيه عدم اقتران رؤية المبحوثين بالقيم التقليدية للمجتمع.

[1] من تصريحات المبحوثين.

4) لبـــاس العـــمل:

جدول رقم (46) ضرورة التزام الراقي بلباس معين عند الرقية.

الرجـــل			المـــرأة		
الالتزام بلباس معين "العباءة والعمة"	التكرار	النسبة %	الالتزام بلباس معين "الحجاب"	التكرار	النسبة %
نعم	46	%45.1	نعم	77	%75.5
لا	56	%54.9	لا	25	%24.5
المجموع	102	%100	المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أن معظم المبحوثين صرحوا بأن ليس على الرجل الالتزام بلباس معين أثناء الرقية ونسبتهم 54.9%، أما فيما يخص المرأة فيرون أن عليها الالتزام بلباس معين أثناء الرقية (الحجاب) ونسبتهم 75.5%.

وقد كانت وجهة نظر المبحوثين في أهمية مؤشر "لباس الراقي" مبنية على النقاط التالية[1]:

- المظهر مهم لأنه يعبر عن المحتوى.
- السترة لطرفين مهمة.
- إن للهندام تأثير نفسي على الأشخاص.
- إن الهندام هو الذي يحدد شخصية الفرد ويشعرك بالراحة.

[1] من تصريحات المبحوثين.

- نوع اللباس مهم لأنّ لو لبس الراقي أو الراقية لباس فيه نوع من الموضى لتعرض لعدم الوقار.
- العلاج والشفاء هو المقصود ولكن باللباس يستطيع الراقي كسب ثقة الزبائن.
- يعد نوع اللباس مهم لأجل الوقار ولتأكد من مدى ايمان الراقي .
- من لباس الراقي نستطيع معرفة الى أي مدى رقيته شرعية.
- الراقي معالج شعبي ويجب أن يكون له لباس مميز عن الآخرين مثل الطبيب.
- اللباس مهم للعامل في الرقية لأنه يجب أن يكون لباسا محتشما أي لباس المسلم.

أما من أشار أن هناك نوع من التمايز في اللباس باختلاف جنس الراقي كان حسبهم نظرا لوجود الأسباب التالية:

- الرجل معظم لباسه عادي ومحتشم والمرأة حجابها فرض وإجباري.
- الرجل حتى في الصلاة يمكن له الصلاة دون لباس يغطي كل جسمه لكن المرأة لا.
- الرجل لا تعيبه ملابسه ولكن المرأة يفرض عليها الشرع الحجاب.
- لاختلاف العورة بينهما.
- العباءة والعمة للرجل الراقي مهم لأن هذا اللباس محل احترام في المنطقة والحجاب واجب شرعي على المرأة.

كما هناك من رأى أن اللباس جزء غير مهم للعامل في الرقية وذلك للاعتبارات الآتي ذكرها:

- الراقي لا يعمل في القطاع الرسمي لذا يعمل بلباسه العادي اليومي.
- اللباس ليس له علاقة بالرقية.
- الأعمال بالنيات والنية تكون في القلب وليس في المظهر الخارجي.

فإذن نجد أن لدى المبحوثين تمييز في الرؤية لأهمية اللباس للعامل في الرقية حيث هذه الأهمية تختلف باختلاف جنس الراقي إذ تزداد لدى المرأة أكثر من الرجل لاعتبار أن الدين في الأساس ألزم المرأة بلباس خاص (الحجاب).

كما يبقى اللباس حسب المبحوثين مهم أيضا في صفته (محتشم، شرعي، منافي للموضى...) و هم هنا أميل للقيمة التقليدية لكونهم يرون أن الرؤية التقليدية للباس تعتبر أكثر احتراما ومناسبة لشخص الراقي.

5) مكـــان العـــمل:

جدول رقم (47) خصائص مكان عمل الراقي حسب الأولوية.

ضرورة زياة بيت الله	التكرار	النسبة %
أن يكون مكان الانتظار واسعا	12	%11.8
أن يكون في مكان غير معزول	04	%3.9
أن يكون فيه فصل للرجال عن النساء	26	%25.5
أن يكون نظيفا	39	%38.2
أن يكون مكان خاص للعمل بعيد عن مسكنه	02	%2
لا تهم مواصفات مكان العمل المهم أخذ الرقية	13	%12.7
المجموع	102	%100

نلاحظ من الجدول أعلاه أن يركزون على عنصر نظافة مكان العمل ونسبتهم 38.2%، تليها نسبة المبحوثين الذين يركزون على ضرورة أن يكون في مكان العمل فصل بين الرجال والنساء ونسبتهم 25.5%، وبعدها نجد نسبتي 12.7% و11.8% التي تمثل على التوالي المبحوثين الذين لا يشترطون أي صفة في مكان العمل المهم أن يأخذوا الرقية و المبحوثين الذين يرون ضرورة أن يكون مكان العمل به مكان انتظار واسع، وفي الأخير نجد نسبتي 3.9% و2% التي تمثلان على الترتيب ضرورة أن يكون مكان العمل غير معزول وضرورة أن يكون مكان العمل خاص بعيدا عن مسكن الراقي.

بالرغم من أن الممارسين الشعبين مهما كان مجالهم عُرفوا ببساطة مكان تأديتهم لعملهم بالمقارنة مع الأطر الرسمية الأخرى، وذلك لكون أن النظرة التقليدية كانت تكرس عدم أهمية مواصفات مكان المداوي الشعبي و المهم هو الشفاء فقط مهما كانت خصائص المكان.

إلا أن المبحوثين لم يطلق العنان للقيمة التقليدية في النظر لمكان العامل في الرقية، بل طرحوا شروطا تعد مهمة لنجاعة التداوي عند الراقي وأول صفة مهمة حسبهم هي "النظافة" وذلك لكون مؤشر النظافة ذاته يحمل بعد التعافي والمكان الذي لا تتوفر فيه هذه الصفة هو حسب المبحوثين لا يصلح أن يكون مكانا للرقية.

6) الاستنتاج الجزئي الثاني:

إن القراءة السوسيواحصائية لمؤشرات قياس مفاهيم الفرضية الثانية التي حاولت البحث في علاقة القيم بالتصور النموذجي للعامل في الرقية، هذا النموذج الذي صاغه المبحوثين وفق عدة محددات (الخصائص الشخصية، التكوين المعرفي،الأبعاد الاجتماعية للعمل، لباس العمل، مكان العمل).

وقد أظهرت توجهات المبحوثين أن من الأفضل أن يكون الراقي من جنس الذكور 75.5% وفي سن 41 ــ 60 سنة 75.5%، كما يجب أن يكون حافظا للقرآن 78.4%، ولا يهم أن يكون له تعليم جامعي 64.7%، مع أنه يجب أن يكون له معرفة في باقي العلوم الأخرى (الطب، علم النفس،علم الاجتماع...) 49%.

أما فيما يخص الأبعاد الاجتماعية الأخرى فقد صرح المبحوثين أن الأصل العرقي للراقي غير مهم 89.2%، كما أن أيضا ليس على الراقي أن يكون من خريجي الزوايا بالضرورة 68.6% ولا أن يكون بالضرورة زائرا لبيت الله 87.3%.

وقد أشار المبحوثين فيما يخص لباس العمل أنه ليس على الرجل التقيّد بلباس معين 54.9% ولكن على المرأة التقيد بلبس الحجاب 75.5% أثناء العمل، وفيما يخص مكان العمل فرأى المبحوثين أن من أهم شروط الواجب التوفر فيه هو "النظافة" وبدونها لا يمكن أن يكون المكان صالحا للعمل (للرقية) 38.2%.

هذا عن تصور المبحوثين للعامل في الرقية، أما عن علاقة القيم التقليدية بهذا التصور (حسب الفرضية الثانية) فقد كانت النتائج كما يلي:

- الخصائص الشخصية: القيمة التقليدية ارتبطت فيه بمؤشر الجنس.
- الجانب التكويني والمعرفي: القيمة التقليدية ارتبطت فيه بمؤشر التعليم العالي (الجامعي).

- الأبعاد الاجتماعية للعمل: لم ترتبط في مجملها بالقيمة التقليدية.
- لباس العمل: له ارتباط كلي بالقيم التقليدية.
- مكان العمل: ليس له أي ارتباط بالقيمة التقليدية.

نجد من هذا أن صياغة النموذج التصوري للراقي مرتبط بمركب هجين بين القيم التقليدية وغير التقليدية بحيث لا يحدد الأفراد نموذج العامل في الرقية بإحدى هذين النوعين إما قيما تقليدية أو غير تقليدية بل بهما معا.

فبالرغم من أن الرقية تعد عملا شعبيا بعيدا عن الأطر الرسمية والضوابط الصارمة إلا أن المقبلين على الرقاة يضعون بعض المحددات البسيطة التي من شأنها أن تجعل للراقي صورة اجتماعية نمطية متعارف عليه بها (سنه، جنسه، زيه...).

و بالرغم من ذلك إلا أنه لا تفرض على الراقي شروطا صارمة وصعبة التجسيد بل في أحيان كثيرة يكفي أن يكون باستطاعته تلاوة بعض الآيات أو الأدعية.

من ذلك نجد أن فرضيتنا هي محققة تحققا جزئيا لكون ليس كل مؤشرات النموذج التصوري للراقي هي مصاغة وفق القيم التقليدية، بل يختلف نمط القيم (تقليدية/غير تقليدية) المؤثرة في صياغة نموذج العامل في الرقية باختلاف محددات هذا النموذج الأمر الذي لا ينفي تحقق الفرضية الثانية للدراسة وإنما يكيفها وفق ما تم الوصول إليه من نتائج في ظل خصوصية عينة الدراسة.

الاستنتاج العام:

إن اتساع مفهوم القيم أدى إلى ضرورة تصنيفها تصنيفات متكاملة من حيث مبناها ومن حيث غايتها، إذ جعل كل واحد منها (التصنيفات) معيارا يستند عليه كأساس تصنيفي منطقي من شأنه تقديم تحليلات قيمية برؤى مختلفة، الأمر الذي سارت على سياقه هاته الدراسة حيث تم الانطلاق من نمطين تصنيفيين الأول يعتمد على معيار المحتوى (قيم دينية/ قيم ميتافيزيقية) و في ظل هذين القيمتين تم افتراض وجود تأثير لهما على الوجود الاجتماعي للعامل في الرقية.

أما الثاني فهو يعتمد على معيار الجِدّة والقِدم (قيم تقليدية/ قيم غير تقليدية) وهنا تم افتراض أن للقيم التقليدية دور في صياغة النموذج التصوري للعامل في الرقية حيث انصهرت هذين الفرضيتين ضمن فرضية عامة تكرس وجود علاقة بين القيم وعمل الرقاة.

وفي ظل الخصوصية الميدانية (ولاية أدرار) التي لها نمطها الثقافي الخاص وقيمها المجتمعية الخاصة أيضا تم معاينة الظاهرة قيد الدراسة، حيث بعد مناقشة مؤشرات الفرضيتين تم التوصل إلى أنّ للقيم تأثير على عمل الرقاة من منطلق أن القيم هي بالأساس موجهات للفعل الاجتماعي وكل ما يقوم به الفاعلون الاجتماعيون من ممارسات هو لا محالة منطلق من نسقهم القيمي الذي يتبنونه والذي يعطيه المجتمع شرعيته وتقبله لدى الجميع.

و استنتاجا لذلك تم التوصل إلى أن القيم بنوعيها الدينية والميتافيزيقية تأثر على الوجود الاجتماعي لعمل الرقاة وذلك من خلال نمط الرؤية للمشاكل والأمراض التي يتوجه الأفراد بسببها للرقاة حيث عندما يفسر الأفراد هذه المشاكل والأمراض تفسيرا منطلقا مما يتبنونه من قيم دينية وميتافيزيقية يكون الراقي حسبهم هو المعالج المنطقـــــــي

لمشاكلهم، وقد وجدنا أن افتراضنا هذا محققا تحديدا عندما تكون المشكلة المتوجه بسببها للراقي تمتاز **بالعمومية**.

أما عن الافتراض الثاني الذي استطعنا من خلاله صياغة النموذج التصوري للراقي بحسب مفردات عينة الدراسة حيث يكون بوسعنا الآن تقديم تعريف للعامل في الرقية من وجهة نظر المبحوثين **وهو ذلك الشخص الذي يستحسن أن يكون رجلا وعمره مابين 41 ــ60 سنة و حافظ للقرآن الكريم، وله معرفة في بعض العلوم الأخرى (الطب، علم النفس...)، ولا يهم في ذلك أن يكون حاملا لمؤهل علمي جامعي أو لا، كما لا يهم أن يكون من خريجي الزوايا، ولا حتى أن يكون من أصل عرقي راقي (شرفة/مرابطين).**

أما عن زيّه فلا يُشترط ارتداء لباس معين، ولكن تشترط صفات لهذا الباس بغض النظر عن ماهيته وهذه الصفات أهمها أن يكون محتشما ومحترما ومنافي للموضى، في حين على المرأة الالتزام بارتداء الحجاب عند العمل.

أما عن مكان العمل فيجب أن تتوفر فيه جملة من الشروط تعد النظافة أهمها بحيث لا يمكن قيام العمل في مكان يغيب فيه هذا الشرط.

وفي ظل هذه الصياغة للنموذج التصوري للراقي حسب المبحوثين تم البحث في أوجه الربط بينه وبين القيم التقليدية حيث تم التوصل إلى أن الأفراد ينطلقون في صياغتهم هذه من خلال التوليف بين القيم التقليدية وغير التقليدية ولا يكرسون نمطا واحد بحيث مؤشرات الصياغة (الجنس،السن، التعليم الجامعي، الأصل،الزي...) هي من تحدد نمط القيم الواجب مراعاته في ذلك.

و بالرغم من هذه الضوابط الشعبية للعامل في الرقية إلا أن أفراد المجتمع يتعاملون معها بمرونة مطلقة خاصة إن حصلوا على مبتغاهم منه (العلاج الشافي) إذ كل تركيز أفراد

المجتمع منصب حول **حل** مشكلتهم حتى وإن غابت في هذا المعالج بعض البنود التي كان يضعها سابقا.

ومما سبق يمكن تلخيص أهم نتائج هاته الدراسة في ما يلي:

- إن النظر لممارسة الرقاة "كعمل" نظرة تكتسب جديتها انطلاقا من التحديد الصارم للمؤشرات التنظيمية لهذا العمل (وظائف العمل، مواعيد العمل، مكان العمل، زي العمل آليات العمل، المتطلبات الشخصية والمعرفية للعمل، الأجر).
- إن النظر للممارسة الرقاة "كعمل" لا يعني بالضرورة محاولة التطويع القصري للمفاهيم التنظيمية خاصة وأن الشائع هو تداول هذه المفاهيم في الأطر الرسمية أكثر منه في الأطر الأخرى بل الأجدر هو استخدام المفاهيم التنظيمية بروح الخصوصية المتواجدة في العمل الشعبي (الرقاة).
- يكتسب عمل الرقاة خصوصيته انطلاقا من عدة نقاط أهمها:

1) **موضوع العمل**: مهمة الراقي هي العلاج والمداوة ولكن من أي شيء؟ إذ الإجابة على هذا التساؤل هي التي تعطي لعمل الراقي خصوصيته إذا قد تكون معضلة المقبل على الراقي مرضا عضويا (الصداع، ألم المفاصل..)، أو مرضا نفسيا (الإكتئاب، الخوف...)، أو مرضا ميتافيزيقيا (العين، المس الجني...) أو مشكلة اجتماعية(عنوسة، بطالة..)أو اللاّمشكلة (التحصن).

2) **قانون العمل**: يكتسب العمل شرعيته وبنود تسيره من العرف الاجتماعي والتقاليد المجتمعية بحيث يرسم المجتمع للراقي شخصية نمطية انطلاقا مما يحملونه من قيم يحاول بعدها العامل في الرقية العمل على تجسيدها أو الاقتراب منها.

3) **تصنيف عمل الرقاة**: يميل الأفراد إلى إلحاق عمل الراقي بالإطار الديني الأمر الذي يجعلهم ينظرون له بمنظار قيمي أخروي أكثر منه عمل دنيوي .

- يكتسب عمل الرقاة أهميته في كونه يحقق للأفراد العديد من الامتيازات المتمحورة حول كونه يعد ملجأً للتخفيف من وطأة المشاكل اليومية، حيث الراقي بحسب الأفراد هو معالج يقره النظام الديني بالمجتمع الأمر الذي يزيد من رضاهم ويضيف المبحوثين نقاط أخرى يقرون من خلالها أهمية وجود الراقي في المجتمع أهمها ما يلي:

1) لوجود بعض الأمراض التي لا تعالج إلا بالراقي مثل العين.

2) لمساعدة الناس اللذين لا يملكون مال في الذهاب للمستشفى.

3) ربما هو الحل حاليا لتردي الأوضاع داخل المؤسسات الطبية الرسمية.

4) لإبعاد الحظ السيئ.

5) للتبشير بفوائد القرآن الكريم.

6) التقليل من نسبة الإصابة بالأمراض النفسية.

7) معالجة بعض الأمراض التي عجز الطب الحديث عنها.

8) للقضاء على وجود المشعوذين.

9) الاقتصاد في المال.

10) العمل على توجيه وإرشاد الأمي من خلال النصائح التي يقدمها الراقي للتحصين.

- يقدم الراقي من خلال اجراءات عمله برنامجا علاجيا لا يتحمل على اثره مسؤولية عدم نجاعته، مع أن هذه الآخيرة (عدم النجاعة) من شأنها أن تقلل من عدد المقبلين عليه مرة بعد الأخرى.
- يرى الأفراد أن الراقي أكثر تأهيلا منهم في الرقية ويرون أن الراقي بوسعه أن يرقيهم بأحسن مما يرقون أنفسهم.
- هناك عدة عوامل من شأنها توسيع دائرة المقبلين على الراقي أهمها:

1) ابتعاد الراقي عن ممارسات الشعوذة.

2) زهد الراقي في المال.

3) وجود حالات مرضية شفيت عن طريق الراقي خاصة وإن كانت مستعصية.

4) لجوء بعض الشخصيات البارزة في المجتمع إلى ذلك الراقي.

5) الخصائص الشخصية للراقي: اللباقة، الاحترام، التواضع...

- وجود علاقة بين القيم وعمل الرقاة حيث أن القيم الميتافيزيقة والدينية من شأنها أن توجه الأفراد للراقي عن طريق النظر للهذه المشكلة بالمنظار القيمي الميتافيزيقي أو الديني الأمر الذي يزداد قوة عندما تكون هذه المشكلة تمتاز بالعمومية.

كما أن القيم من شأنها التأثير على عمل الرقاة من خلال مساهمتها في صياغة النموذج التصوري للعامل في الرقية على اعتبار أن الأفراد يقومون بالمزج بين القيم التقليدية وغير التقليدية لصياغة هذا النموذج.

خاتمة

خاتمة:

إن الدراسة العلمية السوسيولوجية تعد خطوة منهجية لفك شفرة ظاهرة اجتماعية ما ومن ثمة التمكن من تفسيرها تفسيرا موضوعيا يخدم سياق العلم و يفتح آفاق التنبؤ بها وكذا ضبط تواجدها الاجتماعي.

الشيء الذي حاولت هاته الدراسة بلوغه بإيجاد تفسير لظاهرة عمل الرقاة في ظل المحتوى السوسيوقيمي الذي تنطلق منه المقاربة الثقافوية المعتمدة في الدراسة، والتي تم من خلالها ايجاد معنى خاص للظاهرة ببعد اجتماعي وتنظيمي غير رسمي.

إذ يعتبر عمل الرقاة عملا شعبيا تختص به فئة معينة في البناء الاجتماعي حيث يكون على هذه الفئة التمثل للنموذج التصوري الذي يرسمه الفاعلون الاجتماعيون للعامل في الرقية حيث يتميز هذا النموذج بالمرونة التامة، ولا يعامل بأي صرامة كانت كون المقبلين على الرقاة يركزون كل اهتمامهم في الحصول على الحل أو العلاج ولا يهمهم في ذلك تكوين الراقي أو أصله... أو غيرها من المحددات السوسيو تنظيمية الأخرى.

فممارسة الرقاة بذلك تعد عملا متميزا لكونه منطلقا من الذهنية الشعبية والعرف المجتمعي اللذين يعتبران بمثابة "قانون عمل" لهاته الممارسة التي لاحظنا أنها لها من الأهمية بما كان خاصة وأن أفراد المجتمع يشعرون بنوع من الرضا اتجاهها كونها حسب تصورهم تساير النسق الديني بالمجتمع، الأمر الذي من شأنه أن يعطي نوعا من الكمون والاستتباب للمشاكل المجتمعية المختلفة.

وكما سبق لنا الذكر لكل دراسة زاوية محددة للمعالجة الأمر الذي يمنعها من الاحاطة الشاملة والنهائية بمجمل أبعاد الممكن أن تأخذها الدراسة، وهو ما ينطبق على هاته الدراسة التي حاولت تفسير جزء من الظاهرة لتترك المجال لتغطية أبعاد أخرى هامة من شأنه أن تكمل هاته الدراسة، و يمكن أن نقترح في هذا الاطار العناوين التالية التي تشكل أفاق بحثية ضمن تخصصات مختلفة وهي بالصياغة التالية:

- ❖اتجاهات المجتمع الجزائري نحو الهيكلة الرسمية لعمل الرقاة.
- ❖دراسة استطلاعية لعيادات الرقية في الجزائر.
- ❖ممارسة الرقية في المجتمع الجزائري بين العبادة والامتهان.
- ❖آليات التكوين العلمي للرقاة ودورها في ضبط ممارسة الرقية.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المصادر و المراجع

الكتب العربية:

- القرآن الكريم.
- ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، دار الامام مالك، القاهرة، 2004.
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب،ج 4، بيروت، 1998.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500ـــ1830 ، دار البصائر،ج1، الجزائر، ب ت.
- أبو منذر خليل بن ابراهيم أمين، الطرق الحسان في علاج أمراض الجان،دار الامام مالك، الجزائر 1997.
- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطـــبوعات،ط6، الكويت، 1982.
- أحمد عياد ، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2006.
- أحمد مريوش ،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،2007.
- أسامة السيد عبد السميع، مشكلة البطالة في المجتمعات العربية والاسلامية، دار الفكر الجامعي الاسكندرية، 2007.
- أسامة عبد الرحيم علي، القيم التربوية في صحافة الأطفال ، إتراك للنشر والتوزيع، مصر،2005.
- انتوني غدنز،علم الاجـــتماع،تر:فائز الصيَاغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4،بيروت، ب ت.

❖ أنور حافظ عبد الحليم ،مشاكل البطالة والادمان، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008.

❖ بلقاسم مصباحي، أسرار الرقية الشرعية والحجامة النبوية، دار الهدى، الجزائر، 2005.

❖ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي و جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، تفسير القرآن الكريم، دار احياء الثراث العربي بيروت،ب ت.

❖ حاج أحمد الصديق آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات،منشورات الحبر،ط2، الجزائر 2011.

❖ حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات،مديرية الثقافة لولاية أدرار، أدرار، 2003.

❖ حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي، دار الكتب الحديثة ، الإسكندرية ،2000.

❖ حسان هشام ، مدخل لعلم الاجتماع التربوي، مطبعة النقطة، ب ب،2008.

❖ حسن علي خاطر، المجتمع العربي المعاصر، دار الشروق، الأردن، 2001.

❖ خالد بن عبد الرحمن الجريسي ،ارق نفسك وأهلك بنفسك ، مؤسسة الجريسي ، ب ب.ب ت.

❖ خليل عبد الرحمان المعايطة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، ط3، عمان، 2010

❖ دنيس كوش،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر:منير السعيداني ،المنظمة العربية لترجمة، بيروت 2007.

❖ الزبير عروس ، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990

❖ سعاد عثمان، التراث والتغير الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية،القاهرة،2002.

❖ السيد حافظ الأسود، الأنتروبولوجيا، دار الوفاء الجامعية، الأزاريطة، 2002.

❖ صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ،دار البرق ،لبنان،2002.

❖ عامر مصباح ، علم الأنتـــــروبولوجيا ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، 2009.

❖ عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة ،الكويت، 1981.

❖ عبد الحق زداح ، التداوي بالقرآن والدعاء ، دار الهدى ، الجزائر ، 2004.

❖ عبد السلام بن عبد العالي ،الميتافيزيقا (العلم والايديولوجيا) ،دار الطليعة، بيروت، ب ت.

❖ عبد الفتاح بوخمخم، تسيير الموارد البشرية، دار الهدى، الجزائر، 2011.

❖ عبد الكريم علي اليامالي ، فلسفة القيم التربوية ،دار الشروق،عمان ،2007.

❖ عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم ، عالم المعرفة، الكويت، 1992.

❖ عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية، دار الشروق ، الأردن، 2004.

❖ عبد الله عقلة مجلي الخزاعلة، الصراع بين القيم الاجتماعية والقيم التنظيمية في الإدارة التربوية ، دار الحامد ، الأردن ، 2009.

❖ عبد المجيد الشاعر وآخرون ، علم اجتماع الطبي، دار اليازوري العلمية، الأردن ، 2000.

❖ عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة،بدون ذكر دار النشر،ب ب 2006.

❖ عثمان عمر بن عامر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، 2002.

❖ عصام توفيق وآخرون، المشكلات الاجتماعية المعاصرة، دار الفكر، عمان، 2008.

❖ عصام محمد منصور، المدخل الى علم الاجتـــــماع ، دار الخليج، الأردن، 2010.

❖ عمر سليمان الأشقر ، عالم السحر والشعودة، دار النفائس ،ط3، الأردن ، 1997.

❖ غريب سيد أحمد وآخرون ،المدخل في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية 2002 .

❖ فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2008.

❖ فاروق مداس، مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني ، ب ب، 2003.

❖ فالح شبيب العجمي، تحت القشرة (دراسات في الثقافة والموروث)، مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2008.

❖ فوزية دياب ،القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية،بيروت ،1980.

❖ كامل محمد عويضة ،علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1996.

❖ كمال التابعي ،ليلى البهنساوي، علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة 2007.

❖ ماجد الزيود، الشباب والقيم، دار الشروق، الأردن، 2006.

❖ ماجد زكي الجلاد ،تعلّم القيّم وتعليمها ، دار المسيرة ،ط2 ،الأردن ،2007.

❖ مادلين غراويتز ، مناهج العلوم الاجتماعية،تر:سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق 1993.

❖ مالك ابن نبي،شروط النهضة، تر:كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق، ب ت.

❖ مبروك مقدم ، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي،دار هومة،ج1، الجزائر،2008.

❖ محمد الجوهري وآخرون، الصحة والمرض من وجهة علم الاجتماع والأنتروبولوجيا، دون ذكر دار النشر، القاهرة ، 2005.

❖ محمد السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية ، ج4،ط4، بيروت ،دت.

❖ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هـــومـــة،ج2 ،ب ب،2005.

❖ محمد جاسم لعبيدي ،باسم محمد ولي، علم النفس الاجتماعي ، دار الثقافة ، الأردن ، 2009.

❖ محمد عباس ابراهيم ،الثقافة والشخصية ،دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2009.

❖ محمد عباس وآخرون، الأنتروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002.

❖ محمد عبده محجوب، فاتن محمد شريف، الثرات الشعبي، دار الوفاء، الاسكندرية، 2007.

❖ محمد علاء الدين عبد القادر،البـــــطـــالة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2003.

❖ محمد علي البدوي، دراسات سوسيواعلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 2006.

❖ مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.

❖ منظمة المرأة العربية، النوع وعلم اجتماع العمل والمؤسسة، منظمة المرأة العربية، القاهرة، 2011.

❖ موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، تر:بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة،ط2، الجزائر،2006.

❖ ناصر دادي عدون ،اقتصاد المؤسسة، دار المحمدية، الجزائر، 1998.

❖ ناصر قاسيمي، دليل مصطلحات علم اجتماع التظيم والعمل ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2011.

❖ نخبة من أعضاء هيئة التدريس، الأنتروبولوجيا ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2009.

❖ نورهان منير حسن فهمي ،القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي، الأزاريطة، 1999.

❖ ولاية أدرار، أدرار جوهرة الجنوب ، ولاية أدرار ، أدرار ،دت.

❖ يوسف دلاندة ،قانون الأسرة، دار هومة، الجزائر، 2002.

المعاجم والقواميس:

❖ إبراهيم مصطفى ،المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، ج1، ط2، تركيا ،د ت.

❖ ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، بيروت، ب ت ، المجلد 10 .

❖ ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، بيروت، ب ت، المجلد 12.

❖ دار المشرق ، المنجد الأبجدي ، دار المشرق ، ط5 بيروت، 1987 .

❖ عبد الله البستاني، البستان المعجم اللغوي المطول ، مكتبة لبنان ، بيروت ،1996.

❖ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، ب ت.

❖ ميتشل دينكن ، معجم علم الاجتماع، تر:احسان محمد حسن، دار الطليعة،ط2، بيروت، 1986.

❖ EDITO CROEPS، معجم المصطلحات التجارية والاقتصادية والمحاسبية والمصرفية، EDITO CROEPS ، ب ب، ب ت.

الدوريات:

❖ أحمد جعفري، «المخطوطات التواتية (ولاية أدرار) وأعلامها في الخزائن والمكتبات الافريقية»،مجلة الواحات، المركز الجامعي غرداية، العدد الأول،2006.

❖ سمير اسماعيل الحلو ، «الطب الاسلامي نحو تطبيق عملي»، مجلة الحكمة ، مؤسسة المؤتمن، ب ب العدد 6، صفر 1416 هـ.

❖ الطيب العماري، «التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية»، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول بعنوان: الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري،ورقلة، 2011.

❖ عبد العزيز خواجة، «الدين،التاريخ، الثقافة:أي علاقة؟»، مجلة الحقيقة، منشورات الجامعة الافريقية، أدرار، العدد 18 ،2011.

❖ عبد الكريم بوهناف ، أسماء باشيخ ،«الزاوية وبعد القبيلة في منطقة توات»،مجلة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث، غرداية، العدد 16،2012.

❖ علي محمد العمري، «واقع الفضائيات الاسلامية في العالم العربي»، المجلة الدولية لدراسات الآسيوية جامعة كيبنغاسان، ماليزيا العدد الثاني، المجلد 3.

❖ لعلى بوكميش، أسماء باشيخ، «الزوايا ودورها في التربية الاسلامية بالجزائر»، الملتقى الدولي حول: رؤى تربوية اسلامية معاصرة،جامعة آل البيت،الأردن،2012.

❖ محسن الكناني، «القيم والنسق القيمي....التعريف والمفهوم »، كلية الإعلام بجامعة بغداد ،بغداد 2009.

الرسائل العلمية:

باشيخ أسماء، «النسق القيمي لدى طلاب الزوايا بإقليم توات»، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2012/2011

المواقع الالكترونية:

❖ ويكيبيديا الموسوعة الحرة،"ماوراء الطبيعة"، أنظر الموقع التالي:
http://ar.wikipedia.org/wiki

❖ http://www.facebook.com/profile.php?id=1318301848&notif_t=friend_confirmed.

❖ موسوعة المعرفة،«ولاية أدرار»،أنظر الموقع:
.http://www.marefa.org/index.php

❖ http://albordj.blogspot.com/2011/03/blog-post_15.html

❖ عبد الصمد مسلم، «عادات اجتماعية و ألعاب شعبية تواتية»، أنظر الموقع التالي:
.www.hadaik.com/vb/showthread

❖ الدرر السنية (موقع لتخريج الأحاديث)أنظر الموقع:http://www.dorar.net .

الكتب الأجنبية:

- E .Savaers ,méthodes des science sociales ,Edition ellipses , Paris 2006.
- Kluchohn Kelly ,The conceptof culture,A .Lintion ,New york,1945 .
- Loubet Del Bayle, Jean_Louis, Introduction aux méthodes des sciences sociale, Toulouse, Privat, 1986 .
- T .Parsons, *The system of modern societies,* traduit par G. Melleray, Englewood Cliffs, Prentice Hall, Dunod, 1973.
- Marshall B .clinard ,Sums and Community Development N.Y .coller macmillan Ltd ,free press ,1970 ,p4 .

الملاحق

الملحق رقم 01: الاستمارة.

الملحق رقم 02: دليل الملاحظة

الملحق رقم 03:جداول عن عينة الدراسة.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الافريقية "أدرار"

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية

قسم العلوم الاجتماعية

استمارة رقم.....

ملاحظة:

أخي أختي :نحن بصدد إعداد **رسالة ماجستير تخصص علم اجتماع التنظيم والعمل** تحت عنوان:

" **القيم والوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في الجزائر** "

دراسة ميدانية بولاية أدرار

وعليه نلتمس منك المساعدة على إتمام هذا العمل، وذلك بالإجابة عن أسئلة هذه الاستمارة بوضـــع علامة **(×)** في المكان المناسب لإجابتك، بالإضافة إلى التعليق على الأسئلة المفتوحـــة ونعلمك أن إجابتك لن تستخدم إلاّ لأغراض علمية بحتة .

شاكرين لك حسن تعاونك

الباحثة

اعداد الطالبة: **اشراف الأستاذ الدكتور:**

باشيخ أسمـــاء **شوشان محمد الطاهر**

الموسم الجامعي:2013/2012

I. **البيانات الشخصية:**

1) الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2) السن:.....سنة.

3) الحالة العائلية: أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐

4) المستوى التعليمي: أمي ☐ يقرأ ويكتب ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

5) المستوى التعليمي للوالدين:

الأب: أمي ☐ يقرأ ويكتب ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

الأم: أمي ☐ يقرأ ويكتب ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

6) في حالة ما إذا كنت ذا مستوى تعليمي جامعي ما هو تخصصك الجامعي؟.....

7) مكان الإقامة: بيئة حضرية (مدينة ☐) بيئة ريفية(قرية ☐)

8) المهـــنة (العمل):.....

II. **اجراءات عمل الرقاة (البعد التنظيمي):**

9) ماهو سبب توجـــــــــهك للراقي؟

أعاني من مرض جسدي ☐ لإيجاد منصب عمل ☐ للرغبة في الزواج ☐

أعاني من مرض نفسي ☐ أعاني من مس جني ☐ لأرقي أبنائي ☐

لوجود مشاكل مع الزوجة ☐) آخر

حدده.....

ـــ في حالة كنت تعاني من مرض جسدي أو نفسي ماهو بالتحديد؟.....

ـــ في حالة كان سببك "لترقي أبنائك" ما هي مشكلتهم بالضبط؟

اتباعهم لرفقة غير صالحة ☐ لتحـــصينهم من العـــين ☐

رســـوبهـــم المتكرر ☐ لانحرافهم (السرقة، التدخين ☐.)

لأنهم في سنة امتحان مصيري(باكالوريا،شهادة متوسط أو ابتدائي ☐)

سبب آخر

حدده.....

10) كيف تعرفت على الراقي الذي تتوجه إليه؟

عن طريق الأقارب ☐ عبر أحد المواقع الالكترونية ☐ عن طريق ☐

الأصدقاء

عن طريق الجيران ☐ عن طريق الاذاعة (الراديو) ☐ عن طريق ☐

التلفزيون

مصدر آخر

أذكره.....

11) هل تتردد على نفس الراقي في كل مرة؟ ☐نعم ☐ لا

أذكر

لماذا؟.....

12)هل للراقي الذي تتعامل معه مواعيد عمل محددة؟

☐نعم ☐ لا ☐لا رأي

ـــ في حال الاجابة بنعم أذكر تلك المواعيد (الأيام و

الساعة):.....

13)ما هي الآليات(المواد) التي يعتمد عليها الراقي في علاجه ؟

الأعشاب ☐ماء ☐الزيوت ☐لا يعتمد على شيء ☐شيء آخر

أذكره.....

ـــ في حال كان يعتمد على الأعشاب أو الزيوت أذكر بعضا منها:

—..... — ..... —

.....

14) هل يتلوا الراقي رقيته بصوت مرتفع؟ ☐نعم ☐لا

ـــ في حال الاجابة بـــ:"نعم" ماطبيعته تلك الرقية؟

آيات من القرآن ☐ كلام غير مفهوم ☐ شيء آخر

أذكره.....

ـ في حال الاجابة بـ:"لا" كيف تتأكد أنه يعالجك بالرقية الشرعية ؟

لا أشك في ذلك الراقي لأني أعرفه شخصيا ☐ أطلب منه أن يرقي لي بصوت مرتفع للتأكد ☐

أسأله إن كان قرأ القرآن في تمتمته أم شيء آخر ☐ أتأكد من خلال وصفة الدواء أنها إما قرآن أو طب ☐

نبوي

رأي آخر أذكره.....

15)هل يحدد الراقي الأجر الذي يجب أن تقدمه له؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐ لا يأخذ أجرا ☐

16)في العادة المبلغ الذي تقدمه للراقي هو في حدود:

100دج أو أقل ☐ أكثر من 100 ـ 300دج ☐ أكثر من300 ـ 500دج ☐

أكثر من 500 ـ 700دج ☐ أكثر من 700 ـ 900دج ☐ أكثر من 900دج ☐

لا أقدم أي مبلغ ☐

17) برأيك لما يقدم الأجر للراقي بطريقة مستترة (محاولة اخفاءه)؟

لقلة المبلغ الذي يدفعه الزبون ☐ لعدم احراج الراقي عند أخذ المال ☐

لأنه الراقي هو من يشترط ذلك ☐ لإجبار الراقي على عدم رد المال ☐

آخر

حدد.....

.

18)يمكن أن يقدم للراقي عوض المال مؤونة ما (عجائن، سكر، دقيق...)؟

نعم يمكن ☐ لا يمكن ☐ لا أدري ☐ رأي

آخر.....

19)في حال عدم تقديم أي مقابل للراقي هل ينزعج من ذلك؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐ لا أدري ☐ رأي

أخر.....

20) هل يقوم الراقي برد المال و المؤونة التي تقدمها له مقابل الرقية لك؟

☐نعم ☐ لا ☐أنا

21)ما هي الخطوات التي يتبعها الراقي عند رقيتك؟

أ. ..... ج.

.....

ب. ..... د.

.....

هـ. ..... و.

.....

III. المشاكل الاجتماعية (بين القيم الميتافيزيقية والقيم الدينية):

22) إن الأمراض التي نصاب بها هي نتيجة لـ: (رتب حسب الأولوية من 1 الى 4)

سلوكاتنا الـ☐ئة لكثرة سيئاتنا ☐لله لابتعادنا عن ☐آن

هي قـدر ☐الله لكثرة الملوثات والكميـ☐ات رأي آخر

حدده.....

23) من أسباب العنوسة ما يلي: (رتب حسب الأولوية من 1 الى 6)

طول مدة التـ☐م الاصابة بالعين الشريـ☐ة الممارسات السـ☐رية

التلبـــــس☐ني غلاء المهـــــ☐ البطـــــ☐ة

رأي آخر حدده.....

24) من أسباب المشاكل بين الرجل والمرأة بعد الزواج مايلي: (رتب حسب الأولوية من 1 الى 5)

اختلاف ثقافة الز☐ن اصـــــابة الزوجـــــين بالسـ☐ر اصابة الزوجين ☐

بالعـــين ☐ ابتعاد الزوجين عن الـ☐ تدخل الوالدين في

العلاقة بين الطرفين آخر حدده.....

25) تعد اصابة الزوجين بالعقم نتيجة لـ: (رتب حسب الأولوية من 1 الى 6)

الاصابة بالسحر لعدم الانجـ☐ب الاصابة بتلبس جـ☐ني الاصـــــابة ☐بن

عقاب رباني نتيجة الابتعاد عـ☐لله مشاكل صحية جسدية لدى الز☐بن

مشاكل نفسيـــة لدى الزوج□ن رأي آخر حدده.....

26) البطالة مشكلة سوسيواقتصادية ناتجة عن: (رتب حسب الأولوية من 1 الى 5)

الفشل في تخطيط السياسة الاقـ□دية عدم سعي الأفراد في البحث عـ□مل

العزوف عن المهن الـ□ية غياب القيم الدينية في مجالات الـ□ل

الربط عن العمل بآليات غيبية (سحر، عين تلبسـ□ن) آخر

حدده.....

27)برأيك لماذا يلجأ الأفراد للرقاة ؟ (رتب حسب الأولوية من 1 الى 6)

لأن الطـــب الحـــديث عاجز وفاشـــ□ل لغـــرض التـــبرك □

بالقـــرآن

لتحصن من الأرواح الشـــريرة (العين، الحسد، □) لأن النبي "صلهم" أوصى □

بالإسترقاء

لنجاح الراقي في علاج مشاكل أحد معارفهم "الـ□اة" لأن علاج الراقي إن لم ينفع لـ□

يضر

آخر

حدده.....

.

28)برأيك هل اللجوء للرقاة هو الحل الفعال لتخلص الأفراد من مشاكلهم؟

□م □ لا □انا

أذكر

لماذا؟.....

.

IV. القيم المجتمعية والنموذج التصوري للراقي:

29) هل يجب على الراقي أن يكون حافظا لكتاب الله؟

نعم ضروري ☐ ليس بالضرورة ☐ أذكر

لماذا؟.....

30) هل برأيك التكوين العلمي العالي "الجامعي" للراقي أمر مهم؟

مهم جدا ☐ مهم ☐ غير مهم ☐ غير مهم إطلاقا ☐

31) هل يحتاج الراقي في مجتمعنا الى امتلاك معرفة في العلوم الأخرى المعاصرة (علم النفس ،علم الاجتماع، الطب..)؟ ☐ نعم ☐ لا ☐ لا أدري

لماذا

برأيك؟.....

32) يستحسن أن يكون الراقي في سن:

20 ـ 30 سنة ☐ 31 ـ 40 سنة ☐ 60 سنة فأكثر ☐ أذكر

لماذا؟.....

33) هل برأيك يجب على الراقي الالتزام بلباس معين عند الرقية (عباءة وعمة للرجل /الحجاب للمرأة)؟

بالنسبة للرجل: نعم ضروري ☐ لا ليس بالضرورة ☐

بالنسبة للمرأة: نعم ضروري ☐ لا ليس بالضرورة ☐

أذكر

لماذا؟.....

.

34) هل ترى أن الراقي يجب أن يكون من أصل شريف (شرفة/ مرابطين)؟

نعم ☐ لا ☐ أذكر

لماذا؟.....

35)هل يشترط في الراقي أن يكون من خريجي الزوايا بالمنطقة؟

نعم ☐ لا ☐ أذكر

لماذا؟.....

36)من الأكفأ في ممارسة الرقية بين الجنسين الرجل أم المرأة؟

المرأة أكفأ من ☐حل الرجل أكفأ من ☐مرأة معا (الرجل ☐أة) رأي آخر

حدده.....

أذكر

لماذا؟.....

37)هل يستحسن أن يكون الراقي زائرا لبيت الله (حاجا أو معتمر)؟

☐عم ليس بالظ☐رة أذكر

لماذا؟.....

38)ما هي الخصائص التي يجب توفرها في مكان عمل الراقي؟(رتب حسب الأولوية من 1 ــ 8)

أن يكون مكان الانتظار ☐عا أن يضم بعض الكماليات"مراوح، مدفأ☐"

أن يكون في مكان غير ☐ل أن يكون مكان خاص للعمل بعيد عن م☐كنه

أن يكون فيه فصل للرجال عن ا☐ء أن يكون فيه غرفة خاصة للرقية بعيدا عن مكان ☐ الانتظار

أن يكون☐فا لا تهم مواصفات مكان العمل المهم أخذ ☐ة

صفة أخرى أذكرها.....

39)يجب على الراقي أن تتوفر فيه القيم التالية: (رتب حسب الأولوية من 1 الى 4)

ال☐ق حفظ☐ر الزهد في☐ال ☐بر آخر

حدده.....

40) برأيك فيما تكمن أهمية وجود الراقي في المجتمع؟

ـ.....

ـ.....

ـ.....

شكرا لتعاونك

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الافريقية "أدرار"

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية.

قسم العلوم الاجتماعية

دليل الملاحظة

دليل الملاحظة لإعداد رسالة ماجستير تخصص علم اجتماع التنظيم والعمل تحت عنوان:

" القيم والوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في الجزائر "

دراسة ميدانية بولاية أدرار

اعداد الطالبة: **اشراف الأستاذ الدكتور:**

باشيخ أسمـــاء **شوشان محمد الطاهر**

الموسم الجامعي:2013/2012

❖ **ملاحظات خاصة بمكان العمل:**

ـــ الموقع الجغرافي للمكان:.....

ـــ وصف هندسة المكان:.....

.....

..

ـــ اتساع المكان: م☐ متوسط الاتـ☐ ☐

ـــ مكونات المكان:.....

.....

❖ **ملاحظات خاصة بشخصية الراقي:**

ـــ السن أو الصفة العمرية "شاب/كهل/شيخ" .....

ـــ لباس الراقي:.....

ـــ شكل ملامحه:.....

ـــ طريقة تعامله.....

.....

❖ **ملاحظات خاصة بطريقة العمل:**

ـــ وجود مواعيد عمل: ☐م ☐

ـــ هذه المواعيد هي:.....

ـــ أدوات العمل:.....

ـــ خطوات العمل:.....

ـــ أسئلة الراقي:.....

.....

ـــ وصفة العلاج طبيعتها ومضمونها:.....

.....

.....

.

ـــ ملاحظة أخذه للأجر:.....

❖ **ملاحظات خاصة بالمقبلين على الراقي:**

ـــ وصف جنسهم:.....

ـــ أعمارهم .....

ـــ انشغالاتهم.....

ـــ أوصاف أخرى.....

.....

ملاحظات أخرى تبدو هامة:.....

.....

.....

.....

جدول خاص بالمستوى التعليمي للأب:

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة%
أمي	24	%23.5
يقرأ ويكتب	37	%36.3
ابتدائي	16	%15.7
متوسط	9	%8.8
ثانوي	9	%8.8
جامعي	7	%6.9
المجموع	102	%100

جدول خاص بالمستوى التعليمي للأم:

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة %
أمي	49	%48
يقرأ ويكتب	31	%30.4
ابتدائي	11	%10.8
متوسط	4	%3.9
ثانوي	6	%5.9
جامعي	1	%1
المجموع	102	%100

ملخص الدراسة

دراستنا هاته دراسة وصفية تحليلية، هدفت إلى الكشف عن الجانب القيمي (الثقافاوي) لعمل الراقي، حيث عملنا على الربط بين القيم الدينية والميتافيزيقية والوجود الاجتماعي لعمل الرقاة وكذا بين القيم التقليدية والنموذج التصوري للعامل في الرقية، هذا الربط الذي شكل افتراضات الدراسة المسقطة على الميدان (ولاية أدرار) الذي له خصوصيته السوسيوثقافية التي من شأنها اعطاء منحى خاص لنتائج الدراسة.

و قد تم في الاجراءات المنهجية الاعتماد على المنهج الوصفي و تقنيتي الملاحظة بالمشاركة (في مكان عمل الرقاة)، و الاستمارة بالمقابلة الموزعة بشكل قصدي على المبحوثين الذين تتوفر فيهم شروط الدراسة بحيث تم تحصيل 102 استمارة من المبحوثين الذين مثلوا في الأخير حجم عينتنا، وبعد العملية الإحصائية التي تمت باعتماد برنامج spss ثم إعداد الجداول التكرارية التي تم تحليلها تحليلا سوسيولوجيا للإجابة في الأخير على السؤال المحوري في البحث أين تم تأكيد وجود علاقة بين القيم والوجود الاجتماعي لعمل الرقاة في منطقة أدرار.

إذ تؤثر القيم الدينية والميتافيزيقية على الوجود الاجتماعي لعمل الرقاة خاصة اذ كانت المشكلة التي تعد سبب توجه الأفراد للراقي تمتاز بالعمومية، كما أن النموذج التصوري للعامل في الرقية يتأثر بالقيم إلا أن هذه القيم لا تمتاز بالضرورة بالتقليدية، فالأفراد يصيغون هذا النموذج بالقيم التقليدية وغير التقليدية إذ المتحكم في ذلك هو طبيعة محددات هذا النموذج االمصاغ.